نهاية الحكم العثماني في جزيرة كريت وهجرة المسلمين

OSMANLI İDARESİNDE GİRİT VE GİRİT MÜSLÜMANLARI



المؤتمر التاريخي الأول

■ إعداد: جمعية أولي النهى

بسم الله الرحمن الرحيم

نهاية الحكم العثماني في جزيرة كريت وهجرة المسلمين

إعداد وترجمة:

د. علي إبراهيم بكراكي د. وسيم إبراهيم بكراكي

إصدار:

جمعية أولي النهى

١٤٣٦/٢٠١٤



إهــــداء

إلى أرواح جميع المهاجرين

الذين تركوا أوطانهم

في سبيل قضية ما، في مكان ما، وفي زمن ما...

إلى دموع الأمهات وبكاء الأطفال وأنين الشيوخ

المترنحة على سفن النجاة...

إلى الشرفاء الذين يحملون في قلوبهم

قصص الماضي الأليم

ويزدادون كل يوم صفحاً وعذراً وتسامحاً!!!

مُقدِّمة

إنها القضية المنسية... قضية جزيرة خرج منها أجدادنا في يوم من الأيام... تعلمنا منذ نعومة أظفارنا أن نذكرها في سرنا... تعلمنا كيف نبقيها حبيسة في صدورنا الصغيرة... تعلمنا كيف نخفيها كما يخفي الطفل لعبته من أمام أعين رفاقه وأقرانه...

نحن أحفاد المهاجرين المسلمين من جزيرة كريت... لم ينصفنا مؤرخ ولا تاريخ... مشتتون في بلاد الله الواسعة... من لبنان وسوريا إلى مصر وليبيا، ومن تركيا إلى جزر اليونان المبعثرة أمام شواطئ إزمير...

لقد خرج أجدادنا منذ ما يزيد عن مئة عام على متن سفن عثمانية ليستقروا في بلاد قيل أنها ستكون أكثر أمناً... ولكن القدر أراد أن تكون هذه البلاد في معظمها مسرحاً لأكثر الأحداث ألماً ومرارة في مطلع القرن الواحد والعشرين...

نستذكر اليوم تاريخ أجدادنا لا لشحن النفوس بالبغضاء، ولا لإثارة الغرائز بالضغينة والكراهية بين الشعوب أو الدول، إنما نستعيد سرد الحكايات لننصف أجدادنا بإحياء صورهم واستذكار تضحياتهم وآلامهم ولنعيد سبك تاريخهم بمنظور علمي جديد ومتطور.

نحن اليوم نفتتح مؤتمراً أكاديمياً علمياً في طرابلس، في كنف جامعة الجنان، مع ثلة من رجال العلم وأصحاب الخبرة في التاريخ عموماً والقضية الكريتية على وجه التخصيص. لقد حاضر هؤلاء المؤرخون في مختلف دول العالم فكانوا منارة علم ومنبراً شامخاً بمصداقيته وموضوعيته في سرد حقائق التاريخ. لقد أضاء هؤلاء الناس دروبنا وعقولنا بكم هائل من المعلومات التي استقوا معظمها من ارشيف الدولة العثمانية التي أشاد العدو قبل الصديق بدقة أخباره وتفصيله للحوادث مهما صغر حجمها وقلت قيمتها. لقد أزال هؤلاء العلماء غبرة الماضي عن تاريخ المسلمين المهاجرين من جزيرة كريت...

إننا اليوم نقف أمامكم بعد عمل شاق وطويل استمر لأكثر من ثلاثة أعوام كنا نحضر فيها لهذا اليوم ونعد له العدة بالكتابة والدراسة والمراسلات. إنه حتماً إنجاز ضخم لجمعية أولي النهى التي قامت أساساً في سبيل خدمة تاريخ المهاجرين ليس في لبنان وحسب، وإنما في كل مكان حل فيه مهاجر من جزيرة كريت في يوم من الأيام.

إننا نشكر رئاسة شؤون الأتراك المغتربين ومجتمعات الأقارب في أنقرة على دعمها الكبير لهذا المؤتمر، فهم لم يتوانوا في تقديم كل انواع المساعدة حتى يبصر مشروعنا النور. لكم منا كل المحبة والعرفان بالجميل، راجين من الله أن نكون عند حسن ظنكم في إنجاح هذا المؤتمر وإخراجه بأبهى حلة ممكنة تليق بكم وبكل ضيوفنا الأعزاء.

إننا نشكر الأساتذة المؤرخين الذين قدموا لنا جهودهم وعصارة أبحاثهم من دون أي مقابل... فكل المحبة والتقدير للبروفسورة نوكهيت أضي ياكا وزوجها الأستاذ الدكتور نوري أضي ياكا، وكذلك إلى الدكتور محمد علي دميرباش وإلى الصديق العزيز الأستاذ الدكتور طونجاي أرجان سابتشي أوغلوو إلى الأخصائية في وزارة الثقافة التركية في أنقرة الدكتورة مليكة قايام... كل الشكر لكم وكل المحبة والتقدير.

كذلك لا بد من شكر صديق عزيز وأخ كريم أحب قضيتنا ووثق بقدرات جمعية أولي النهى على إنجاز هذا المؤتمر التاريخي الأول بالشكل اللائق والمطلوب، فأضاف إليه رونقاً وجمالاً بمعرض كريت في الصور والوثائق العثمانية التي تختصر بمجرد النظر اليها كلمات كثيرة وجمل طويلة. إنه مدير معهد يونس أمره للثقافة التركية في بيروت الدكتور جنكيز أروغلو المحترم.

ختاماً، لا بد أن أنحني أمام قامة رجل كبير، ما عرفته إلا سنداً قوياً وداعماً مخلصاً لنا في هذه المسيرة. إنه رجل أحب المهاجرين من جزيرة كريت وخبر عاداتهم وتقاليدهم منذ نعومة أظفاره ونشأته في مدينة إزمير. كان دائماً يشجعنا على إنجاز هذا المشروع الكبير، ولم يبخل عن جمعية أولي النهى بأي دعم وإسناد في الدوائر الحكومية العليا للجمهورية التركية. لطالما نظرت اليك ايها الرجل الكبير كما ينظر الطفل في عين أبيه، ولطالما حلمت أن أقدم لك شيئاً قيماً تذكرني به دائماً أبداً... إنني اليوم أهديك هذا العمل وهذا الإنجاز الذي لم يكن ليتحقق من دون عزمك وإصرارك. شكراً لك يا سعادة السفير التركي في لبنان السيد سليمان إينان أوزيلديز.

شكراً لكم

د. علي إبراهيم بكراكي

رئيس جمعية أولي النهى في لبنان

فهرس

الفصل الأول

جزيرة كريت
خلال الحكم العثماني
وبداية الهجرة منها
في القرن التاسع عشر

نشأة الإدارة والحكم العثماني في جزيرة كريت
نظام الأراضي والممتلكات

د. محمد علي دمير باش [1]

مقدمة:

كان لفتح رودوس (١٥٢١) وقبرص (١٥٧١) في القرن السادس عشر أهمية كبرى في طريق بسط الدولة العثمانية سيادتها وتوسيع نفوذها في حوض البحر الأبيض المتوسط. ومثل ما كان بحر إيجة ومضيق الدردنيل يمثلان أهمية استراتيجية لأمن اسطنبول وحمايتها، كذلك كان بسط النفوذ على جزيرة قبرص وعلى جزيرة كريت ثاني أكبر جزيرة في المتوسط أهمية استراتيجية كبرى لتأمين مصالح الدولة العثمانية وأمنها وتوسيع رقعة نفوذها في حوض البحر الأبيض المتوسط. إن موقع جزيرة كريت على مفترق طرق التجارة والحج جعلها ذات أهمية استراتيجية كبرى بالنسبة للدولة العثمانية، إلا أن الظروف لم تسمح بالسيطرة عليها حتى أواسط القرن السابع عشر حين بدأت الحملة عام ١٦٤٥ واستمرت لأسباب متعددة حتى العام ١٦٦٩.

استطاعت الدولة العثمانية ان تسيطر على مدينتي خانيا وريسمو عام ١٦٤٥، ولكنها لم تستكمل سيطرتها على قندية التي تعتبر مركز الجزيرة وعاصمتها حتى العام ١٦٦٩.

---

[1] دكتوراه في التاريخ

- ولد في ازمير في ٢١ تموز ١٩٦٤.
- أنهى درجة الليسانس في قسم التاريخ عام ١٩٨٥ من جامعة إيجة كلية الأداب، ومن بعدها نال درجة الماجستير من الجامعة نفسها عام ١٩٨٧ بعد تقديم اطروحة بعنوان : تقارير السفير الفرنسي دو فيرجين حول الأمبراطورية العثمانية.
- مارس التعليم في جامعة إيجة في الفترة الممتدة بين العام ١٩٨٦ والعام ١٩٩٨، ثم تابع التدريس في جامعة مرسين بين العام ١٩٩٨ وحتى العام ٢٠٠٣. ومنذ ذلك الوقت فهو يتابع المهنة نفسها في جامعة التاسع من ايلول.
- متخصص في الشؤون الإقتصادية والقانونية الحقوقية للدولة العثمانية وله في هذا المجال العديد من الأبحاث والمقالات.

تحرير الأراضي ونظام الإستمالة:

كان تسجيل الأراضي المنتجة والممتلكات تطبيقاً إلزامياً على المواطنين في كل الأماكن التي يتم فتحها وإلحاقها بالدولة العثمانية لتحديد الضرائب المتوجب عليهم دفعها. كان اسم هذا القانون (نظام تحرير الأراضي)، وكان السجل الذي تدون عليه هذه المعلومات يسمى (سجل تحرير الطابو)، وكان هذا السجل يخضع لتغيرات بعد القيد الأول بحسب تغير مدخول الفرد أو المحصول زيادة أو نقصاناً، كما يعاد التسجيل والمراقبة المالية عند صعود كل سلطان جديد وتوليه زمام الحكم في البلاد.

خلال عملية تحرير الأراضي، كان الموظفون الحكوميون ينتقلون بين المدن والقرى والنواحي والمزارع لتدوين كل شيء على سجلات التحرير وتحديد المسؤولين عن دفع الضرائب والمعافين منها أيضاً. كان يتم تدوين أسماء القرويين الذين يملكون أو لا يملكون أرضاً وكذلك البيوت التي يسكنها العازبون أو المتزوجون، وطلاب العلم، وكان العجائز والمسنون والمعاقون يدونون فرداً فرداً بعناية ودقة. كان يتم تدوين محاصيل كل أنواع الأراضي الموجودة في القرى من مزارع ومراعي ومحميات وغابات وجبال وسهول وتحديد منتوجاتها بالنوع والكمية، وكانت تحدد الضرائب التي يتوجب على الأهالي دفعها بموجب هذه البيانات. كان الموظفون يرسلون دفاترهم الى الدوائر التي كانت تقوم بنسخ معلوماتها على سجلات جديدة، وكانوا يضعون على رأس هذه السجلات المفصلة عادات البلدة وتقاليدها إضافة إلى وثيقة القوانين المتعلقة بجباية الضرائب وأنواع الجزاء والعقاب وغيرها من المواد القانونية الضريبية.

أما في دوائر الحكومة المركزية فكان يتم إيجاز محتويات هذه السجلات المفصلة على دفاتر أخرى يطلقون عليها إسم (سجلات الإجمال). كانت هذه السجلات تحتوي على الوحدات السكنية وما يتوجب جبايته من ضرائب في تلك المناطق. كانت الأراضي تقسم حسب كمية الضرائب التي ستجبى منها إلى أراض أميرية (١-١٩،٩٩٩ أقتشا عملة فضية) وأراضي الزعامات (٢٠،٠٠٠-٩٩،٩٩٩) والأراضي الخاصة (١٠٠،٠٠٠ أقتشا عملة فضية وما فوق). كان هناك موظفون مكلفون بجباية هذه الضرائب وكانت لهم أجور ومخصصات من الدولة لقاء قيامهم بهذا العمل. على صعيد آخر، كان هؤلاء الموظفون

موكلون بإرسال عدد معين من الجند إلى معارك الدولة العسكرية بما يتوافق مع مقدار الجبايات التي يحصلونها.

اما نظام الإستمالة فيمكن تلخيصه بالشكل التالي: يعمل القرويون الموجودون في مكان معين على استصلاح الأراضي الزراعيه فيه، على أن يقوم القروي المنتج بدفع إيجار الأرض الزراعية التي يعمل بها إلى الدولة دون أن يملك الحق بامتلاكها ولا بيعها ولا توريثها ولا هبتها او وقفها لأي جهة أو شخص. كما ان القوانين تحظر عليه مغادرة القرية للإستقرار في مكان آخر وتمنعه كذلك من ترك الأرض وعدم العمل فيها او زراعتها لمدة تزيد عن ثلاث سنوات. أما إذا أراد القروي أن يدفع الضرائب المتوجبة عليه فقط من إجمال المحاصيل فيكون عند ذلك مجبراً على الإلتحاق بالعسكرية ايام الحروب والحملات التي تقوم بها الدولة. كان هذا النظام يطبق ويراقب من قبل فرسان الإستمالة الموكلين بجمع الضرائب وإرسال المجندين الى العسكرية. كان هؤلاء الفرسان محرومين من امتلاك أي عقار كما كانوا يعاقبون بالعزل وتولية غيرهم عندما يتم التأكد من عدم قيامهم بواجباتهم على النحو الصحيح.

كانت الدولة بفضل هذا النظام قادرة على استمرار استصلاح الأراضي الزراعية الأميرية وتأمين مردود ثابت منها بشكل مستمر، مع احتفاظها الحصري الدائم بامتلاكها. هكذا كانت الدولة قادرة على جباية ضرائبها محلياً على اتم وجه كما كانت قادرة على تأمين موارد جيش قوامه ٨٠ الف فارس دون تأخير او انقطاع يكون ولاؤهم للدولة دون غيرها.

استمر هذا النظام المعروف بنظام الإستمالة أو نظام (تيمار) طيلة القرن السادس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر، ثم بدأت تجري عليه بعض التعديلات والإصلاحات لأسباب متنوعة لغاية تركه بالكامل واعتماد اسلوب جديد في جباية الضرائب واستصلاح الأراضي.

نظام الأراضي في جزيرة كريت:

اعتمدت الدولة العثمانية اساليب مختلفة لدعم وجودها في جزيرة كريت وتمويل استمرار حملتها العسكرية على الجزيرة لغاية استكمال فتحها وسقوط مدينة قندية.

كان من أول ما قامت به الدولة هناك هو تطبيق نظام التحرير وإجراء مسح كامل لكل الأراضي والممتلكات المنتجة في المناطق التي تم فتحها. وعلى الفور بدأ في مدينة خانيا نظام الإقطاعيات الكبيرة التي بدأت أعمالها وبذلت مجهودها بشكل منظم. من ضمن هذا السياق، بتاريخ ١٣ آذار ١٦٥٠ أمر الدفتردار محمد باشا بإجراء المسح الكامل للأراضي والممتلكات حسب مقتضيات قانون التحرير في المناطق التي تم فتحها من الجزيرة. وقد أتم محمد باشا كتابة تقريره المفصل بين الرابع والرابع عشر من شهر تشرين الثاني عام ١٦٥٠. بناء على هذا المسح والتقرير، تم تقسيم الجزيرة إلى أربع محافظات إدارية هي خانيا، ريسمو، قندية وإيستية تابعة كلها لإقطاعية خانيا، كما تم إلحاق عشرين ناحية بهذه المحافظات الأربع.

لقد كان اول سجل تحرير في جزيرة كريت هو سجل العام ١٦٥٠ وقد أضيف إليه وثيقة القوانين المخصصة لولاية خانيا. كان البند الثالث من هذه الوثيقة قد خصص لقوانين رعاية المناطق الريفية في الجزيرة، وكان على الشكل التالي:

- مع بداية الحكم العثماني للجزيرة، تصبح الأراضي فيها تابعة حكماً للقوانين المرعية والمطبقة في بقية أراضي الدولة العثمانية ويطبق عليها النظام العشري.
- يتوجب على القرويين الكريتيين تقديم عشر محاصيلهم من البقليات والحبوب للدولة العثمانية
- يتوجب على رعايا الولاية تقديم عشر ما ينتجونه من محاصيل الزيتون والقطن والحبال. كما سيتعين على الرعايا المسلمين الذين سكنوا الجزيرة واستقروا فيها أن يدفعوا نفس النسبة أيضاً للدولة وهي العشر من إجمالي الإنتاج.

إن قانون تحرير الأراضي الذي تم تطبيقه في مدينة خانيا عام ١٦٥٠ قد طبق بنفس الطريقة في مدينة ريسمو وريفها. إذ يظهر في الوثائق العثمانية نص القانون المؤرخ في العام ١٦٥٢/١٦٥١ الذي أرسل إلى قرية كاستيلو الواقعة ضمن حدود مدينة ريسمو والذي نص على ضريبة العشر بالطريقة المعتمدة نفسها في القانون الساري في مدينة خانيا.

بموجب الوثيقة القانونية المؤرخة عام ١٦٥٠ والمتعلقة بنظام الأراضي، قد يخيل للمرء أن نظام الاستمالة قد تم تطبيقه في كريت كما جرى شرحه مسبقاً وبنفس

التفاصيل والطريقة المعمول بها في الممالك العثمانية الأخرى، إلا أن السجلات الشرعية التابعة لمحافظة ريسمو تشير بوضوح إلى المقاومة الكبيرة التي قام بها السكان المحليون برفضهم الانصياع لنظام الأراضي العثماني كما هو اعتباراً من العام ١٦٥١.

إن نظام التمليك الخاص كان معمولاً به في جزيرة كريت منذ أيام حكم البنادقة للجزيرة، لذلك كانت الملكيات الخاصة منتشرة بين الأهالي والسكان المحليين في كريت. واعتباراً من بدايات القرن السادس عشر فإن الأراضي قد فرزت وقسمت الى قطع صغيرة واستملكت بإجمالها من قبل الأهالي المحليين، بل إن قسماً منها قد استملك من قبل طبقات إجتماعية هي دون ما كان يعرف وقتها بطبقة النبلاء في الجزيرة. لقد كان معظم المزارعون في الأرياف والقرى يعملون في مزارعهم الخاصة وكانت قلة قليلة منهم يعملون أجراء في مزارع ليست لهم. بين هذين الصنفين، أي القرويين المالكين وغير المالكين للمزارع والأراضي، كان هناك صنف ثالث يدعى (غونيكاري) وهم القرويون الذين يعملون في أراض ليست ملكاً لهم، ولكنهم كانوا يديرونها طيلة حياتهم ويورثونها لأبنائهم بعد مماتهم. لقد استلمت الدولة العثمانية جزيرة كريت وهي محكومة بهذه الأنظمة والأعراف.

ولكن النظام التقليدي لقانون الأراضي في الدولة العثمانية كان له هدف مختلف ورؤية أخرى. فكما تم شرح ذلك سابقاً، كان القروي المنتج في مزرعة معينة يدفع بدل إيجار استثماره للأرض إلى الدولة دون أن يملك أي حق في البيع والتوريث والهبة والوقف، ولكن السجلات الشرعية في مدينة ريسمو كانت مليئة بمن كان يخرق هذا القانون ولا ينصاع لأوامره.

لقد عثر في هذه السجلات على ٨٧ حالة بيع للأراضي في أرياف ريسمو في الفترة الممتدة بين نيسان ١٦٥٢ و شباط ١٦٥٨، وكانت هذه الأراضي زراعية ومنتجة في معظم حالات البيع التي تم التثبت من حصولها. في الواقع كانت السجلات في كريت تشير إلى حصول عمليات بيع الممتلكات الفردية بمختلف الأشكال، إما على شكل بيع أرض أو مزرعة أو مجموعة من الأملاك مع بعضها البعض. في الفترة المذكورة سابقاً تم بيع ٣٠ حقلاً، و١٩ حقل زيتون، حقلاً واحداً مزروعاً بتسعة وعشرين شجرة زيتون وتسع أشجار

فاكهة، ٩ مزارع، ١٣ طاحونة ماء وهواء وزيت، ٢٧ كروم عنب، ٢ معمل زيوت، و٦ معاصر عنب.

كان من بين هؤلاء الذين قاموا بعمليات البيع ٦١ شخصاً غير مسلم، ١٨ مسلم، و٨ أشخاص من الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً. أما الذين قاموا بشراء هذه الممتلكات فكانوا على الشكل التالي: ٥٨ مسلماً و٢٧ غير مسلم، واثنان منهم كانت عملية الشراء شراكة بين مسلم وغير مسلم. ويتبين من عمليات البيع الحاصلة في تلك الفترة انتقالا واضحاً للملكيات من قبل غير المسلمين لمصلحة المسلمين، الحاكمين الجدد لجزيرة كريت.

وبين كانون الثاني ١٦٥١ وآب ١٦٥٧ وجد في السجلات تغيير أسماء المالكين على شكل توريث عقارات في المدن والضواحي بلغ تعدادها ٢٢ عقاراً. من ضمن هذه الأملاك التي تم توريثها كان هناك ١٢ حقلاً، ٨ كروم عنب، طاحونتان، ٨ حقول زيتون ومزرعة واحدة. وكان الوارثون والمورثون جميعهم من غير المسلمين حسب ما ورد في السجلات الشرعية، إلا أن واحداً من الورثة كان من الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً.

وبين آب ١٦٥٤ وتموز ١٦٥٧ نجد أن هناك قيداً لواحد وعشرين (٢١) هبة، ثمانية منها في المدينة، ١٢ في الأرياف، وواحدة غير معروفة المكان. الجدير بالذكر أن كل الأملاك الموهوبة كانت عبارة عن أراض زراعية، منها ثمانية حقول، ٥ أراضي زيتون، ٤ كروم عنب، بستان واحد وحقل قمح واحد. كما تم العثور على هبات أخرى عبارة عن ١٣ منزلا منها ثلاثة في حالة أنقاض. من الواهبين ١١ غير مسلم وعشرة من المسلمين.

من كل ما تقدم ذكره، يبدو واضحاً أن القانون العثماني للأراضي المؤرخ عام ١٦٥٠ لم يدخل حيز التنفيذ في جزيرة كريت بالشكل المطلوب وأن خروقات عديدة مورست من قبل المسلمين وغير المسلمين على حد سواء. وقد وجدت الحكومة العثمانية ضرورة تغيير بعض الأصول والقوانين في كريت بعد استكمال فتحها بسقوط مدينة قندية لاحقاً. لقد قررت الحكومة المركزية قوانين تحرير جديدة للأراضي في جزيرة كريت.

تطبيق النظام الجديد للأراضي في جزيرة كريت

انتهت العملية الإفتراضية لمسح الأراضي في عموم كريت عام ١٦٧٠ ، وقد صدر عن ذلك سجلان مفصلان، واحد منهما مخصص لمحافظتي خانيا وريسمو بينما كان الآخر لقندية وإيستيا. وقد بدأ السجل المخصص لقندية وإيستيا بوثيقة قانون جديد للأراضي والأملاك مدون في الصفحة الثانية وحتى الخامسة من السجل المذكور. تقول هذه الوثيقة بوضوح أن نظام ١٦٥٠ لم يعد مطبقاً بعد اليوم وأن قانوناً جديداً اسمه ضريبة الأراضي قد دخل حيز التنفيذ.

يوجد في هذه الوثيقة بيان لكل من قبل حكم العثمانيين في كريت ولم يغادرها أن تبقى جميع الأراضي التي كان يستثمرها ويدير شؤونها في يده وتحت تصرفه كما كانت عليه من قبل شرط ان يقوم بدفع الجزية وضريبة المحصول للدولة العلية. وقد قسمت الضريبة إلى نوعين بحسب نوع المزروعات في الأراضي فهي إما ضريبة مقسمة إذا كانت الأرض مزروعة بالحبوب والبقليات والزيتون، أو ضريبة مقطوعة إذا كانت الأرض بستاناً أو مزرعة أو حقلاً لكرمة العنب.

ابتداء من العام ١٦٧٠ أصبحت كل الأراضي:

- ملكاً لصاحبها الذي يعمل فيها ويدير شؤونها
- قابلة للبيع والهبة والوقف بحسب ما يراه المالك مناسباً
- تنتقل بالملكية الى الورثة عند وفاة مالكها الأصلي بالشراكة او الإنفراد
- تصادر من مالكها عند فراره أو العجز عن زراعتها بالشكل المناسب وتؤجر إلى من يستطيع استثمارها بالطريقة الصحيحة على أن يدفع خراجها للدولة. ولا يعفى المسلمون من هذا البند من القانون ويكلفون بدفع خراج الأراضي التي يستثمرونها إلى الدولة بنفس الطريقة دون تغيير ولا تفرقة.

إن تبدل نظام الأراضي في جزيرة كريت بهذا الشكل الجذري خلال فترة لم تتجاوز العشرين عاماً هو مدعاة للكثير من التفكير والتحليلات.

لقد حاولت الباحثة إيفانجيليا بالطا أن تجد تفسير نظام الأراضي الجديد والقوانين المرعية في جزيرة كريت بعد فتحها في الأسس الفقهية للشريعة الإسلامية، ولكنها نوهت في الوقت نفسه أن الحكام الجدد لم يتوانوا عن مراعاة طريقة العيش السابقة والنظام الذي كان سارياً في الجزيرة قبل حكمهم لها لتوطيد نفوذ العثمانيين في كريت.

أما عمر لطفي بارقان مؤسس تاريخ الإقتصاد في الجمهورية التركية فقد قال أن وجود قانونين متضادين ومختلفين لنظام الأراضي في السلطنة العثمانية في نفس الوقت بعد فتح الجزيرة، وادعاء العثمانيين أنهم يطبقون الأصول والعادات الإسلامية في القوانين التي يسنونها ويطبقونها على الأراضي الموجودة في جزيرة كريت هي في الحقيقة بداية إلغاء النظام الميري للأراضي العثمانية الموجودة في عموم بلاد السلطنة كلها.

وبحسب ما يراه، فإن من أهم أسباب ذلك هو وجود الملكية المطلقة للأراضي في كريت قبل دخول العثمانيين إليها، وأن الشروط الإقتصادية والإجتماعية في كريت قد فرضت على الحكام الجدد أن يفتشوا في كتب الفقه عن مخرج لتأمين استمرارية ما كان موجوداً في الجزيرة من قوانين وأعراف. وبذلك يكون نظام العشر أو الضريبة الجديدة التي تبقي على ملكية الأشخاص هو استثناء فريد لجزيرة كريت من بين جميع الأراضي التي كانت تحكمها الإمبراطورية العثمانية.

ويمكن أن نوجز المسألة فنقول أن الحصار الذي ضربه العثمانيون على جزيرة كريت كان طويلاً ومكلفاً بشكل أجبروا فيه على إبقاء الأصول والنظم والأعراف التي كان يعمل بها في الجزيرة بعد أن فشلوا في تطبيق عاداتهم وأنظمتهم. لقد اضطروا مكرهين على قبول النظم السابقة بعد استكمال فتح كريت بسقوط مدينة قندية. صحيح أن العثمانيين استطاعوا فتح كريت، ولكن الحقيقة تقول أن كريت قد فتحت باب تغيير قوانين الملكية ونظام الأراضي في الدولة العثمانية التي استطاعت بعد صعوبات كثيرة أن تبسط سلطتها على الجزيرة وتسيطر على ترابها.

تأسيس الإدارة العثمانية في جزيرة كريت
الحياة اليومية، العلاقات الإجتماعية وتكوين الهوية

د. نوري أدي ياكا [1]

تقع جزيرة كريت في منطقة وسط بين شبه الجزيرة اليونانية والأناضول في مكان جغرافي مهم جداً على طريق العبور من البحر الأبيض المتوسط إلى بحر إيجه. يبلغ طول الجزيرة من الشرق إلى الغرب مسافة ٢٦٠ كلم، بينما يبلغ عرضها من الشمال إلى الجنوب ١٢-٦٠ كلم بشكل مستطيل نسبياً. مساحتها ٨٣٣٦ كلم مربع، لذلك هي الجزيرة الأكبر في شرق البحر الأبيض المتوسط بعد جزيرة قبرص، والجزيرة الخامسة مساحة في كل البحر الأبيض المتوسط. كان عدد سكانها عام ٢٠٠٥ هو ٦٥٠.٠٠٠ نسمة.

مناخ هذه الجزيرة هو نفس المناخ التقليدي المعروف للبلاد المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وتحتوي على مساحات شاسعة من الأراضي الجبلية، إذ ترتفع جبال ليفكا أوري أو الجبل الأبيض ما علوه ٢٤٥٢م، وكذلك جبال إيدا بارتفاع يصل إلى ٢٤٥٦م بحيث تقسم الجزيرة تقريباً إلى شرق وغرب. مدن الجزيرة الكبرى تمتد من الشرق نحو الغرب على الشكل التالي: قنديه (أو كما تسمى اليوم إيراكليون أو هيراكليون، عدد سكانها الحالي هو ١٥٠.٠٠٠ نسمة)، ريسمو (ريثيمنو) (٣٢.٠٠٠)، خانيا (٧٥.٠٠٠) وهي المدن التي تمتد على الساحل الشمالي للجزيرة. أما في السواحل الجنوبية للجزيرة ومرتفعاتها الداخلية فلا يوجد إلا بعض البلدات الصغيرة والقرى.

---

[1] أستاذ مساعد بروفسور في التاريخ



ولد في ازمير عام ١٩٦٣
نال درجة الليسانس من جامعة إيجة كلية الآداب – قسم التاريخ عام ١٩٨٥
تابع دراساته في نفس الجامعة قسم التاريخ الحديث لينال منها درجة الماجستير، ثم انتقل الى جامعة التاسع من ايلول لينال منها درجة الدكتوراه.
عمل مدرساً في قسم التاريخ في جامعة ايجة بين عامي ١٩٨٧-١٩٩٤ ثم انتقل الى جامعة مرسين ليمارس التدريس فيها منذ العام ١٩٩٦ لغاية العام ٢٠١٠
منذ العام ٢٠١٠ وحتى اليوم يعمل مدرسا في جامعة التاسع من ايلول، كلية الآداب - قسم التاريخ.
متخصص في تاريخ كريت حقبة الحكم العثماني ونظام الأمة العثمانية اضافة الى التاريخ العثماني بشكل عام.
شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية وله عدة كتب ومؤلفات ومقالات في هذا المجال.
متزوج وله ولد واحد

كانت جزيرة كريت منذ العصور الأولى مركزاً سكنياً مهماً. فبعد حكم روما وروما الشرقية دخلت جزيرة كريت تحت الحكم العربي، وحكمت ما بين ٨٢٨-٩٦١ م من قبل الحفصيين. وفي العام ٩٦١ م عادت جزيرة كريت مرة أخرى لحكم روما الشرقية وبقيت كذلك إلى حين انتقالها إلى حكم البنادقة في الفترة الموازية لزوال الأمبرطورية الرومانية منذ العام ١٢٠٤م. وبدءاً من القرن الخامس عشر، أصبحت جزيرة كريت مكاناً لا ينقطع عنه البحارة الأتراك أبداً.

تعتبر جزيرة كريت آخر الأراضي التي تم إلحاقها بالأمبرطورية العثمانية، ذلك لأنها بقيت خارج قبضة العثمانيين بالرغم من سيطرتهم على كل جزر بحر إيجه إضافة إلى جزيرتي رودوس وقبرص. ويعود السبب في ذلك أن كريت كانت مفتاح التجارة إلى شرق البحر الأبيض المتوسط. وبالإضافة لكونها مركزاً للتجارة القانونية، فقد كانت الجزيرة في نفس الوقت مركزاً مهماً لأنشطة القراصنة، وبالتالي فقد كانت مكاناً مهماً جداً من الناحية الإستراتيجية بالنسبة للدولة العثمانية. لم تكن جزيرة كريت مهمة فقط للسيطرة على شرق البحر المتوسط فحسب، بل كانت أيضاً مهمة جداً لأمن بحر إيجه ومضيق تشاناك كالي (الدردنيل) وبالتالي كانت السيطرة على كريت تعني تعزيز أمن إسطنبول. وعندما أصبحت جزيرة كريت في القرن السابع عشر نقطة اساسية في طرق الحج والتجارة المتصلة ببحر إيجه، أصبحت حصناً يجب إلحاقه بشكل مطلق إلى ملك الدولة العثمانية.

بدأت الحملة العثمانية على كريت في ربيع العام ١٦٤٥م، ولكنها طالت بشكل غير متوقع أبداً، إذ استمرت الأعمال الحربية حتى خريف العام ١٦٦٩م. لهذا السبب أخذت معركة جزيرة كريت طابعاً معنوياً مختلفاً بالنسبة لأصحابها البنادقة المدافعين وكذلك بالنسبة للعثمانيين على حد سواء في حرب استمرت لربع قرن من الزمن. لقد فتحت مدينة خانيا عام ١٦٤٥م، ثم فتحت مدينة ريسمو في العام الذي تلاه. وفي العام التالي فتحت إيرابيترا وميرابيلو. وهكذا استولى العثمانيون باتباع وسيلة القضم رويداً رويداً على معظم أرجاء الجزيرة وصولاً إلى الخطوط الأمامية لمدينة قنديه. لقد شهد العام ١٦٤٨م المرحلة الأخيرة لفتح جزيرة كريت ولكنها استمرت ٢٠ سنة كاملة على شكل حصار كامل لمدينة قنديه. لم يتحقق فتح قلعة المدينة إلا في شهر أيلول من العام ١٦٦٩م. وعلى الرغم من اختلاف الأرقام المدرجة خلال فتح جزيرة كريت، إلا أن أعداد المسلمين الذين استشهدوا في هذه الحملة قدر بحوالي ١١٠.٠٠٠ إلى ١٤٠.٠٠٠ شهيداً. لذلك فقد كلف فتح جزيرة كريت الدولة العثمانية عبئاً مادياً ومعنوياً كبيراً جداً.

كان منتصف القرن السابع عشر بداية تأسيس الإدارة العثمانية في الجزيرة. فعندما كانت الملاحم تسطر على تخوم مدينة قنديه، كانت كل بقية مناطق الجزيرة قد دخلت فعلياً في حكم الإدارة العثمانية. إننا نمتلك اليوم أرشيفاً ضخماً جداً يصف كل مراحل الإدارة العثمانية لجزيرة كريت بالتفصيل. فبالإضافة إلى الآلاف من الوثائق الموجودة في الأرشيف العثماني التابع حالياً لرئاسة مجلس الوزراء، فإن لدينا أيضاً الكثير من السجلات المحلية المتعلقة بجزيرة كريت، من سجلات المحاكم، وسجلات النفوس، وسجلات المجتمع الإسلامي من سجلات الهداية والردة وغيرها، إضافة إلى سجلات الأوقاف وأمثالها، في مجموعة تتألف من آلاف المجلدات الموجودة في مديريات الأرشيف المختلفة في تركيا وكريت، كلها مفتوحة أمام الباحثين تنتظر همتهم لاستخراج ما فيها من كنوز المعلومات والتفاصيل.

بعد أن فتحت مدينة خانيا، تم تطبيق إدارة الفتوحات التقليدي في جزيرة كريت كما جرت عليه العادة في أراضي الدولة العثمانية، فحولت كنيسة سانتا نيكولاس أكبر كنائس المدينة إلى مسجد أطلق عليه اسم مسجد الهنكار أي السلطان. كما حولت كنيستان كبيرتان في المدينة إلى مسجد يوسف باشا ومسجد موسى باشا، وأسست الأوقاف المناسبة لتأمين الدخل الضروري لهذين المسجدين. ثم أعيد ترميم أسوار المدينة وأبنيتها التي تضررت خلال فترة الحرب، وقام العثمانيون بترميم شبكات المياه والخزانات لحل مشكلة المياه التي كانت تعاني منها المدينة. كما تم إنشاء أبنية جديدة لإعمار المدينة كلها من جديد. ثم كانت إصلاحات كل الطرق المتصلة بالمدينة مع الجسور والعبارات. كذلك كان الأمر نفسه عندما فتحت مدينة ريسمو في العام التالي، إذ تم ترميم قلعتها وأبنيتها التي تعرضت للضرر خلال فترة الحرب بشكل كامل، وحولت أكبر كنائسها إلى مسجد فتح فوراً للعبادة. كما تم وقف بعض القرى لمصلحة هذا المسجد. ثم بدأت أعمال بناء مسجد وحمام داخل القلعة الكبيرة فورتيتزا، وقام حسين باشا بإنشاء مسجد وزاوية صوفية خارج المدينة.

وأخيراً، وعندما فتحت مدينة قنديه، تم تحويل كنيسة سان فرانسيسكو أكبر كنائس المدينة إلى مسجد أيضاً سمي باسم السلطان وأقيمت فيه أول صلاة جمعة بعد الفتح. كان إحتفال العثمانيين بإنجاز أي فتح لا يتم إلا بإقام الصلاة في مسجد المدينة، وكان ذلك رمز الفتوحات التقليدي في الأمبرطورية العثمانية على مر الزمان، بحيث لا تكتمل صورة إعلان النصر إلا من خلال صلاة الجمعة الأولى هذه. بعد ذلك تم تحويل بعض الكنائس إلى مساجد سميت بأسماء موظفي الدولة وتم إنشاء الأوقاف المرتبطة بها.

الملفت في الأمر أن كامل كنائس وأديرة المدينة لم تحول إلى مساجد، بل أبقي على الكثير منها مفتوحة للعبادة بنفس الشكل السابق لكي يتسنى لأهالي البلد من الأورثوذوكس أن يمارسوا شعائرهم الدينية ويقوموا بعباداتهم كما يريدون بحرية كاملة، بل كانت دور العبادة هذه تخضع لتدابير تؤمن حمايتها بشكل خاص. وكما حصل في سائر المدن الأخرى، فقد بدأت عملية إعمار سريعة في مدينة قنديه، فتم إصلاح الأبنية المدمرة، وأعيدت الحياة إلى المدينة التي تعرضت للضرر خلال هذه الحرب في وقت قصير.

خلال حملة العثمانيين على جزيرة كريت، انضم كثير من الروم من أبناء الجزيرة وخاصة سكان القرى والأرياف إلى العثمانيين وساندوهم في حربهم ضد البنادقة. ولهذا، ومنذ أن فتح العثمانيون مدينتي خانيا وريسمو، أعلنت السلطات العثمانية عن تأمين حياتهم وبقاء من يشاء منهم في داره وقريته، وأقرت ملكيتهم على جميع ما كانوا يملكونه قبل الفتح، وأن بإمكانهم الإستمرار في إنتاجهم كما يشاؤون. أما عندما دخل العثمانيون مدينة قندية فلم يجدوا من سكانها إلا القليل، لقد غادر معظم الأهالي هرباً من العثمانيين بعد حصار دام عشرين سنة.

كان من أحد أبرز مهام الإدارة العثمانية في الجزيرة هو تنظيم الشؤون الدينية للسكان المحليين من الأورثوذوكس. فخلال حملتهم على كريت، وعد العثمانيون أبناء الجزيرة من الأورثوذوكس بأنهم سيطردون رجال الدين اللاتينيين البنادقة ويعيدوا تأسيس الهرمية الأورثوذوكسية الأصلية من جديد. وفعلاً قامت الإدارة العثمانية عام ١٦٤٦م بتعيين رجل الدين الكريتي نيوفيتوس باتيللاروس في منصب أسقف المطرانية مما أضفى ومن دون أدنى شك جواً إيجابياً بين الأهالي الروم في كريت. لاحقاً، أصبح مطران (رئيس الأساقفة) كريت يعين من قبل بطريركية إسطنبول مباشرة، وكان مركز المطرانية الأساسي آنذاك هو في مدينة قنديه. وبعد انتقال مركز الحكومة إلى خانيا عام ١٨٥٠م، بقي مركز المطرانية الأساسي في قنديه. قسمت جزيرة كريت إلى ٩ مراكز أسقفيات، وتم تعيين أساقفة لكل هذه المراكز. أما آلية التعيينات فكانت تتم على الشكل التالي: بعد أن يتم تعيين مطران كريت من قبل بطريركية إسطنبول، كان يعرض على الإدارة العثمانية لنيل الموافقة، ثم كان يعتبر ساري المفعول بعد ذلك. أما الأساقفة فكانوا يعينون بالشكل التقليدي، حيث تحدد أسماؤهم من قبل الهيئة الروحية المجتمعة برئاسة مطرانية كريت، ثم كانت ترسل الأسماء إلى بطريركية إسطنبول للعرض والموافقة. وبعد موافقة البطريركية على الأسماء المقترحة، كان يطلب

من الإدارة المركزية العثمانية إصدار مرسوم التعيينات الذي ترسل إلى المرجعيات المختصة لتتم التعيينات كلها بالشكل الرسمي والقانوني.

وبعد أن ألحقت جزيرة كريت بالأراضي العثمانية، كان تحرير الأراضي وتدوين الملكيات من أول الأعمال التي نفذتها الإدارة المحلية، فتم ذلك في مدينتي خانيا وريسمو في عام ١٩٥٠م واستكملت اعمال التحرير هذه بعد أن استكمل فتح جزيرة كريت كلها، فبدأت عملية تسجيل واسعة وكبيرة وتم تدوين كافة الأملاك والممتلكات الموجودة في الجزيرة في سجلات خاصة. هكذا تشكلت فروع النظام العثماني بتشكيل قواعد النظام الضريبي في جزيرة كريت، وتم تطبيق نظام الإستمالة للأراضي والأملاك وهو ما عرف بنظام تيمار. ولكن، في واقع الأمر، كان النظام الضريبي العثماني في جزيرة كريت يختلف عن النظام الضريبي العام المعمول به في بقية الممالك العثمانية. لقد أعفي سكان كريت المحليين من بعض الضرائب، واحتوت التطبيقات المالية على بعض الفروقات المختلفة لمصلحتهم.

كانت جزيرة كريت في عهد البنادقة مركزاً مهماً جداً بالنسبة لأوروبا لصناعة المشروبات الروحية. وقد تغير ذلك في عهد العثمانيين لمصلحة زراعة الزيتون وصناعاته. ومع تطور تلك الصناعات في القرن السابع عشر، أصبح حجم الطلب كبيراً جداً لتلك المنتوجات في الأسواق العثمانية والأوروبية في القرن الثامن عشر. وقد بدأت صناعة الصابون الحقيقية في الربع الأول من القرن الثامن عشر لتتطور بعد ذلك بسرعة شديدة. كانت مصانع الصابون تدار من قبل المسلمين والروم واليهود، وكان للزيتون وزيت الزيتون والصابون أهمية كبيرة في الإقتصاد المحلي الكريتي.

أما من الناحية الإدارية، فقد كانت ولاية كريت تتمتع بحكم شبه ذاتي، وكان لها أربع سناجق هي: قنديه، خانيا، ريسمو وإيستيا. وكان في هذه السناجق ما مجموعه عشرون بلدة تابعة لها. كان هذا التقسيم هو نفسه خلال حكم البنادقة، واستمر كذلك في عهد العثمانيين مدة من الزمن. وفي نهايات القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر، تم إلغاء سنجق إيستيا وألحق بسنجق قنديه وأصبحت ولاية كريت مقسمة إلى ثلاث سناجق، وكان سنجق قنديه هو مركز هذه الولاية. وفي العام ١٨٥٠ و١٨٦٨ حصلت تغييرات إدارية كبيرة في الجزيرة، فقسمت ولاية كريت إلى خمس سناجق بعد أن أضيف سنجقا لاشيد وإسفاكية إلى المحافظات السابقة ليتم نقل مركز الولاية بعد ذلك من قنديه إلى خانيا.

خلال الحكم العثماني لجزيرة كريت كان الروم الأورثوذوكس هم الطائفة الأكبر عدداً فيها، وكان المسلمون هم الطائفة الثانية. إضافة إلى ذلك، كانت هناك جماعة يهودية صغيرة في كل من مدينتي قنديه وخانيا. استطاعت هذه الجماعة ان تحافظ على وجودها في كريت رغم كل التغيرات والتبدلات التي حصلت فيها، ولا تزال كذلك حتى اليوم. كما كان يوجد في كريت عدد قليل من الكاثوليك ممن بقي من زمن البنادقة. الجدير بالذكر أن هذه الطائفة لم تكتب لها الديمومة في كريت، وعلى الرغم من بقاء الكنائس الكاثوليكية تحت حماية الإدارة العثمانية، إلا أنه لم يبق فيها أي جماعة مع مرور الزمن فأغلقت الواحدة تلو الأخرى. كما يوجد في مدينة قنديه عدد قليل من الأرمن.

أما المجتمع الإسلامي في كريت فقد تكون على الشكل التالي. لقد جاء إلى كريت كل من الإداريين والعساكر العثمانية وموظفي الدولة من رجال دين وغيرهم خلال فترة الحرب من مناطق مختلفة من أراضي الدولة العثمانية وسكنوا في الجزيرة. أما المجموعة الأخرى من المسلمين فكانت من اتباع الطريقة البكطاشية الذين رافقوا الحملة العثمانية على كريت واستوطنوا فيها بعد استكمال الفتح. لقد كانت أعداد هاتين المجموعتين لا يتخطى بضعة آلاف فقط.

كانت الطريقة البكطاشية من أكثر الطرق الصوفية انتشاراً بين مسلمي الجزيرة. وكان في كل من مدينتي ريسمو وقنديه تكية مهمة لهذه الطريقة. كان مولانا الدرويش علي بابا الخرساني زاده هو شيخ الطريقة البكطاشية الذي أدخل هذه الطريقة إلى جزيرة كريت. وكان هذا الشيخ من الذين شاركوا فعلياً في الحملة العثمانية لفتح جزيرة كريت كمتطوع مع عدد من اتباعه ومريديه، ثم أسس بمساعدة الغازي حسين باشا تكيته الخراسانية على مسافة ٣.٥ كيلومتر جنوبي مدينة قنديه. وبعد وفاة الخراساني زاده خلفه السيد محمد أمين بابا في رئاسة الطريقة البكطاشية في كريت وكان من الرواد الكبار الذين نجحوا في نشر البكطاشية فيها. هكذا تمكنت هذه الطريقة من الإنتشار خلال فترة وجيزة في مختلف أرجاء الجزيرة. وعندما قامت الإدارة العثمانية بإلغاء الإنكشارية في العام ١٨٢٦م، استكملت إرادتها بحظر الطريقة البكطاشية في الوقت عينه، وقامت بإرسال الفرمانات إلى مختلف الأرجاء التي تأمر بهدم تكيات ودور هذه الطريقة. ولكن أحداً لم يلمس تكيات هذه الطريقة سواءً في جزيرة كريت أو في دول البلقان، فاستمرت البكطاشية في كريت إلى حين مجيء اليوم الذي خرج فيه الأتراك من هذه الجزيرة.

وخلال حملة المبادلة، هاجر آخر مشايخ الطريقة البكتاشية في كريت صادق بابا من مدينة قنديه وسكن مع العديد من أبناء الجزيرة المبادلين في مدينة طرسوس التابعة لمدينة مرسين. وخلال هجرتهم، قام هذا الشيخ بالتعاون مع بعض المبادلين الآخرين بنقل قبر مؤسس الطريقة البكطاشية في جزيرة كريت علي بابا الخرساني وحملوه معهم إلى مدينة طرسوس.

لقد شهدت جزيرة كريت بناء العديد من التكيات التابعة للطرق الصوفية الأخرى في أوقات مختلفة. فكان من آخرها التكية المولوية في مدينة خانيا التي اسست من قبل الشيخ سليمان شمسي ديده في القرن التاسع عشر وهو أمر أدى إلى انتشار واسع للطريقة المولوية في جزيرة كريت بدءاً من العام ١٨٨٠.

كان لهذه الزوايا والتكيات دور كبير في انتشار الإسلام في جزيرة كريت في المراحل الأولى للفتح، وكان لها دور كبير أيضاً في مرحلة الحكم العثماني الأخير للجزيرة لما آلت إليه هذه الأماكن إلى ملاذ آمن ومهم للمسلمين الهاربين خلال الصراع الإسلامي - الرومي في أواخر القرن التاسع عشر.

أما الفئة الثانية من ابناء الجالية المسلمة في كريت والتي كان لها دور كبير في تكوين المجتمع الإسلامي عموماً في الجزيرة فكانت من أبناء الجزيرة المحليين. لقد تبين من خلال دراسات وابحاث كثيرة أن أعداداً كبيرة من أبناء الروم الأورثوذوكس قد اختاروا التحول إلى الدين الإسلامي من دون إكراه عثماني. وعلى الرغم من أن أعداد هؤلاء المهتدين ليست معروفة تماماً، إلا أن موجات الهداية قد استمرت لغاية عشرينيات القرن السابع عشر بشكل جماعي، ومن ثم تحولت إلى شكل فردي بعد ذلك. وكما يمكننا أن نرى في سجلات القضاء المحلية في كريت عمليات تحول فردية من المسيحية إلى الإسلام، فإننا نرى في الوقت نفسه عمليات هداية جماعية لقرى بالكامل أيضاً.

أما عن الأسباب الأخرى التي كان لها دور مهم في تكوين المجتمع الإسلامي في كريت فهي بلا شك عمليات الزواج المختلط التي كانت حصلت كثيراً بين المسلمين والمسيحيين. إن زواج الرجل المسلم من المرأة المسيحية هو أمر موجود ومقبول في الشريعة الإسلامية، وكان ذلك يجري بكثرة في جزيرة كريت. وكان الأولاد الذين ينتجون من هذه الزيجات المختلطة هم مسلمون بطبيعة الحال. إن سجلات القضاء تحتوي على أعداد كبيرة من حالات الزواج هذه. ومما ساهم أيضاً في ازدياد موجات الهداية في كريت هو انخراط أعداد لا بأس بها من ابناء كريت المحليين في فرق الجيش الإنكشاري. كانت هذه المؤسسة العسكرية سبباً في حث أبناء الشعب المحلي على اعتناق الإسلام، فكان

الشباب اليافعون من أبناء كريت من الروم الأورثوذوكس يجمعون من القرى المختلفة ويدعون إلى الإسلام ويسجلون في عداد أفراد الفرق الإنكشارية. بمثل هذا الأسلوب عملت الإدارة العثمانية على جذب الأهالي من الروم إلى اعتناق الإسلام.

لم تكن حركة الهداية الكثيفة التي حصلت في جزيرة كريت في القرنين السابع والثامن عشر حالة عادية حصلت في أراض عثمانية أخرة. لذلك فإن سياسة "التطعيم السكاني" التي كان يتبعها العثمانيون في دول كثيرة كالبلقان وغيرها ، والتي كانت تقضي بنقل وإسكان المسلمين من الأناضول إلى البلاد الجديدة التي تم فتحها ، لم يتم اعتمادها في جزيرة كريت. والسبب في ذلك يعود إلى التغير الديموغرافي الكبير (التعداد السكاني) في الممالك العثمانية الذي شهد انخفاضاً كبيراً في تلك الفترة. لهذا السبب، لا يمكن أن يفسر التحول الديموغرافي والديني الكبير بين سكان الجزيرة لصالح المسلمين خلال مئة عام من الزمن إلا من خلال عملية اعتناق جماعي للدين الإسلامي الذي شهدته تلك المرحلة. وقد كان حتماً للطريقة البكطاشية دور مهم في حالة التحول الديني المذكور.

وخلال إدارة العثمانيين في مراحلها الأولى، كانت التكايا الصوفية في الأرياف تقوم بمهمة إيواء المسافرين أيضاً. فكانت تطعمهم وتؤمن لهم المبيت ليلاً وتقدم لهم سائر الخدمات الأخرى. لم تكن هذه المعاملة تقتصر على المسافرين المسلمين، بل كانت تقدم بنفس الشكل لغيرهم من المسيحيين أيضاً. على المقلب الآخر، فقد كان المسافرون المسلمون يلجؤون إلى الكنائس الأورثوذوكسية للغرض عينه، وكانوا يلاقون منهم نفس المعاملة الحميدة وحسن الضيافة.

أخيراً يجدر بنا الذكر ان نقول أن المسلمون الأفارقة ساهموا في تشكيل المجتمع الإسلامي في جزيرة كريت. لقد كانت كريت منذ قديم الزمن محطة مهمة على طريق تجارة الرقيق، وكانت بالتالي تأوي العديد من العبيد الأفارقة. كما أن انتقال الحكم في الجزيرة في عشرينيات القرن الثامن عشر إلى سلطة محمد علي باشا والي مصر كان سبباً مهماً في قدوم أعداد كبيرة من الزنوج إليها من القارة الأفريقية.

لقد كانت الحياة العرقية في جزيرة كريت حتى أوائل القرن التاسع عشر تشكل نموذجاً فريداً غير موجود في سائر الجغرافيا العثمانية لما كان يعيشه أهلها من تداخل وترابط ملفتين للنظر. فلقد كان من العادي جداً أن تجد بين أبناء العائلة الواحدة بعض الأفراد المسلمين والبعض الآخر من المسيحيين. وقد شاهدنا في سجلات محكمة القضاء قيوداً كثيرة لأشخاص بعض أعمامهم أو أخوالهم من المسلمين والآخرون من المسيحيين،

أو أن إحدى الجدات من المسلمين والأخرى من المسيحيين. ونتيجة لهذا الشكل من الحياة العرقية والدينية المتشابكة إضافة إلى حالات الهداية والتزاوج المختلط، فقد كان من الطبيعي جداً أن تكون اللغة المحكية في الجزيرة هي اليونانية. فسواء أكان المرء مسلماً تركياً أو أورثوذوكسياً رومياً فإن لغته كانت هي نفسها اليونانية، ولم يكن هناك ممن يتقن اللغة التركية سوى الإداريون وموظفوا الدولة.

كانت الألقاب التي ظهرت في جزيرة كريت في نهاية القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، سواءً أكانت تركية أو يونانية، تنتهي جميعها بإضافة – أكي - التي هي خاصية مشتركة لكل سكان الجزيرة. إن الألقاب مثل لولوداكي، صوباشاكي أو بكراكي هي أمثلة لآلاف الكنيات الأخرى المشابهة. هذه الألقاب لم تكن ألقاباً شخصية بل هي كما هو الحال في يومنا هذا ألقاب/أسماء عائلات تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل.

إن كل ما تم الحديث عنه سابقاً يدل كما ترون على أن الحياة الاجتماعية في جزيرة كريت كانت متداخلة بين المسلمين والمسيحيين حتى في مناطق السكن. وبعيداً عن محلة الأرمن ومحلة اليهود، فقد كان المسلمون والمسيحيون، الأتراك والروم يعيشون في نفس الحارات جيراناً مع بعضهم البعض. وكانت الحياة الإجتماعية بينهم تقوم على المحبة والمودة بكل ما في الكلمة من معنى.

ولكن، مع بداية ظهور الأحداث المبنية على خلافات قومية وفكرية في القرن التاسع عشر، دخلت الحياة الإجتماعية التي كانت تشكل نموذجاً متميزاً ضمن النظام التقليدي العثماني في الجزيرة حيزاً جديداً مضاداً لما كان عليه سابقاً. ذلك أن أعمال الشغب التي بدأت في العام ١٨٢١م بهدف استقلال اليونان قد وجدت لنفسها في جزيرة كريت أرضية صالحة لها، فبدأت فيها ثورات وعمليات شغب وقلاقل ضد الإدارة العثمانية منذ ذلك التاريخ.

وعلى الرغم من أن أعمال الشغب التي بدأت من قبل الروم الأورثوذوكس في الجزيرة عام ١٨٢١م قد تركت لوالي مصر وسلطانها محمد علي باشا، إلا أن هذا الباشا قد أعاد تسليم الجزيرة للأمبرطورية العثمانية بعد ذلك بفترة وجيزة. ولكن فكرة الإلتحاق بدولة اليونان الحديثة المنشأ كانت قد بدأت في جزيرة كريت بين الروم. وفي هذا السياق، وفي العام ١٨٤٤ والعام ١٨٦٦ ومن ثم في العام ١٨٩٧-٩٨ شهدت جزيرة كريت أعمال شغب كبيرة، وقام أبناء الشعب من الروم بمجازر بحق المسلمين خلال أعمال الشغب هذه. وأمام فكرة القومية اليونانية هذه، ظهر عند مسلمي الجزيرة وللمرة

الأولى شعور بضرورة إظهار هويتهم العثمانية. ولهذا السبب تم إنشاء المدارس الحديثة لتعليم اللغة التركية، والأهم من ذلك، فقد بدأت الكثير من الصحف المحلية تنشر أخبارها باللغة التركية. وقد استمرت جرائد مثل أوميت (الأمل)، وصدى كريت، والمدافعة بالعمل والصدور بشكل منتظم في كل من خانيا وقنديه وريسمو. هكذا، وأمام بروز القومية اليونانية، فقد ظهرت أمامها حركات تدعو إلى تدعيم القومية العثمانية التركية في الجزيرة وتعمل للدفاع عنها.

خلال أعمال العنف التي حصلت في القرن التاسع عشر في كريت، قامت الدولة العثمانية بالعديد من الإصلاحات الإدارية المختلفة لنيل ثقة الروم وإعطائهم مزيدا من الإمتيازات. كانت أهم مراحل تلك الحقبة هو إعلان دستور ولاية كريت والقبول بإتفاقية خاليبا. بموجب هذه الاتفاقية، بدأت جزيرة كريت تذكر في القيود البيروقراطية العثمانية تحت اسم "الولاية المتميزة"، الأمر الذي كان موجوداً أصلاً منذ الفتح العثماني ولكن بشكل غير رسمي. لقد كانت الجزيرة تتمتع بامتيازات خاصة وكثيرة، وقد تم ترسيخ ذلك خطياً من خلال هذه الإتفاقية القانونية الرسمية. في الحقيقة، لقد كانت اتفاقية خاليبا تحمل صبغة البروتوكول العالمي الذي أعطى الإمتيازات الواسعة لإدارة الجزيرة المحلية من الناحية الإقتصادية والإجتماعية والسياسية على حد سواء. لقد تم تدعيم الإدارة المحلية للجزيرة من خلال الإعتراف بالحريات الشخصية على اعلى المستويات، كما تم القبول باللغة اليونانية لغة رسمية في البلاد إلى جانب اللغة التركية، وكان ذلك يعتبر حالة خاصة فقط لنظام الحكم في جزيرة كريت. ولكن كل ذلك لم يجدي نفعاً فكانت المرحلة الأخيرة من التغيير الإداري في الجزيرة عام ١٨٩٧ عبر إعلان الحكم الذاتي فيها. هكذا أصبحت جزيرة كريت تابعة للسلطنة العثمانية اسمياً على الورق، ولكن إدارتها تركت للأمير جورج ابن ملك اليونان بصفته المفوض السامي المنتدب باسم الدول الأوروبية الكبرى. وبعد حروب البلقان في العام ١٩١٣م وإثر الهزائم التي منيت بها الدولة العثمانية، تم تنظيم استفتاء شعبي أصبحت بموجبه جزيرة كريت جزءاً من الدولة اليونانية.

المعالم الإسلامية في جزيرة كريت

د. وسيم بكراكي [١]

هي قصة محزنة لشعب كامل تم إخراجه وتشريده من بيته وأرضه ووطنه. فكرت ملياً علي أجد طريقة أظهر من خلالها حجم التطهير العرقي الذي عاشه أجدادي في جزيرة كريت قبل قرن من الزمن. لم أجد دليلاً أقوى من دور العبادة والآثار العثمانية التي تتمثل في المساجد وما يرافقها من مختلف أنواع الأوقاف الإسلامية. نعم، هي المساجد التي قد تظهر لنا جزءاً مما عانى منه أهلنا في جزيرة كريت في القرن التاسع عشر من إجرام ووحشية وإبادة وصولاً إلى التهجير ومن بعدها إلى اتفاقية التبادل السكاني.

لست بصدد الدخول في تفاصيل القصة التاريخية، ولكن ما أردت أن أشير اليه عبر هذه الكلمات القليلة هو أهمية هذا الموضوع الذي يحتاج إلى دراسات اعمق لنصل إلى مخزون معلوماتي مكتمل يتحدث عن جميع المساجد التي كانت قائمة خلال الحكم العثماني للجزيرة. لقد هدم من آثارنا الإسلامية ما هدم، وطمست معالم الكثير منها، وما زال البعض الآخر موجوداً حتى اليوم، مشوه المعالم حزين البنيان، يستخدم بشكل لا يليق بماضيه ولا بحاضره.

أبدأ مقالتي بمدخل قصير نقلاً عن الولي الشلبي الذي تحدث بدقة وتفصيل لم أجدهما في مكان آخر عن قصة المساجد في كريت وكيف انتقلت من كنائس إلى مساجد ثم كيف عادت كنائس أو دوراً للفن والرقص والغناء.

---

[١] **طبيب اختصاصي في أمراض الأطفال والخدج.**

مواليد طرابلس ١٩٧٥

درس الطب في جامعة إسطنبول جراح باشا وتخرج منها في العام ٢٠٠٤.

ومن ثم تخصص في جامعة دونتسك مكسيم غوركي الوطنية للطب، فحصل منها في العام ٢٠١٠ على شهادة اختصاص في طب الأطفال.

وفي العام ٢٠١٢ حصل على شهادة اختصاص في الخدج وحديثي الولادة ومن ثم عاد ليمارس مهنته كطبيب أطفال وخدج في مستشفى تركيا الخاص في مدينة إسطنبول.

له عديد من المقالات التي تؤرخ لجزيرة كريت والمهاجرين المسلمين.

ثم سأتحدث بالتفصيل عن مساجد كل مدينة على حدة، فأذكر منها ما بقي بناؤه أو اندثر أثره وضاع بين ابنية مستحدثة قضت عليه إلا من بعض بقايا نتحسس وجودها بين الحجارة أو المحراب الذي أضحى اليوم جزءاً من دكان او حانة او مكتبة.

لقد واجهت الكثير من المصاعب خلال قيامي بهذا البحث. فقد فتشت في مراجع عربية وتركية ويونانية وإنكليزية، فلم أجد إلا القليل القليل من المعلومات التي تتعلق بالمساجد ودور العبادة في كريت. ولم يسعفني سوى الأرشيف العثماني الذي يصعب الغوص فيه لكثرة محتوياته وتشعبها ووفرة تفصيلاتها التي تسبب حكماً شعوراً بالإرهاق قبل الوصول الى المبتغى. لقد عثرت على وثائق تدون تعيينات أئمة المساجد واسمائهم وما يتبع ذلك من أوقاف وحسابات ورواتب يتقاضاها الأئمة والمؤذنون وغيرهم من موظفين في كل مسجد أو وقف أو سبيل.

نظرة عامة

يتحدث إلينا الولي الشلبي عن حركة العمران في جزيرة كريت خلال الحكم العثماني. لقد زارها هذا الرحالة العثماني عام ١٦٦٧ وكانت مدينة قنديه لا تزال تحت الحصار، وبقي فيها حتى العام ١٦٧٠، فتجول في الجزيرة كلها خلال مشاركته في لجنة تحرير الاراضي والاملاك. يقول الشلبي أن في الجزيرة أربع محافظات وعشرون ناحية و٩٠٠ قرية، وما يزيد عن ٢٠٠ ألف نسمة من السكان. أما في الفترة الممتدة بين العام ١٦٤٥ وحتى العام ١٦٦٩ وهو تاريخ فتح قنديه، فقد شهدت مدن خانيا وسودا وريسمو وغيرها تغييرات كثيرة، فتحولت أزقتها الضيقة المشيدة على الطراز البندقي إلى دور واسعة مبنية بالطوب والقرميد، كما تحولت بعض الكنائس إلى مساجد، ولم تشهد الحصون والقلاع تعديلات مهمة تذكر. ولذلك يمكن القول أن واحداً فقط من المساجد الستة الموجودة حالياً في مدينة خانيا قد تم إنشاؤه مباشرة على شكل مسجد، أما الباقي فهي كلها كنائس تم تحويلها إلى مساجد. بناء على ما تقدم، فإن مسجد يوسف باشا ومسجد السلطان إبراهيم (مسجد السلطان/هنكار) ومسجد الكوجا موسى (مسجد القلعة) ومسجد آغا الإنكشارية هي كلها كنائس قديمة تم تحويلها الى مساجد، أما مسجد كوتشوك حسن باشا (مسجد يالي) فهو مسجد منذ أول يوم في بنائه.

وفي مدينة ريسمو يوجد مسجد السلطان إبراهيم داخل القلعة فورتيتزا (مسجد القلعة). وفي خارجها يوجد مسجد الوالدة سلطان (أورتاكابي جامي / مسجد الباب المتوسط)، ومسجد حسين باشا المجنون (ديلي حسين باشا جامي) أو كما يسمى أيضاً

باسم (تورونتش جامي) داخل السوق، ومسجد العنكبوت أحمد باشا أو كما يسمى أيضاً أوزون يول جامي (مسجد الطريق الطويل)، ومسجد ولي باشا أو كما يسمى أيضاً تيككي جامي (مسجد التكية)، وهي جميعها معابد كبيرة تحولت من كنائس إلى مساجد في العهد العثماني. كما يوجد في الجزيرة بعض التكيات التابعة للطريقة البكطاشية التي كانت من الطرق المنتشرة بشكل واسع فيها. علماً بأن الشيخ الذي أدخل الطريقة البكطاشية إلى جزيرة كريت كان الخراسان زاده الدرويش علي ديده (الجد علي) الذي قدم إلى كريت عام ١٠٥٥ (١٦٤٥) مع مريديه، ومكث فيها طوال حملة فتح مدينتي خانيا وريسمو، ثم بدأ نشاطه الأول في قرية تسمى فاني في تكية مؤقتة أنشأها هناك عام ١٠٥٧ (١٦٤٧م). ويقال أنه أنشأ بعد ذلك باب الخراساني التكية الكبيرة عام ١٠٦٠ (١٦٥٠م) في جوار مدينة قنديه بدعم الغازي حسين باشا. لقد كان يطلق البكطاشيون على جزيرة كريت اسم "خراسان الصغيرة" وكانت التكيات البكطاشية تسمى باسم المنطقة التي تقع فيها في كل من ماغرالي كوي (على مسافة ١٠ كلم من قنديه)، وخانيا، وريسمو، وكان هناك تكية أخرى تسمى إبراهيم بابا في مدينة قنديه على مقربة من التكية الخراسانية.

لقد كانت جزيرة كريت حاضنة للعديد من الطرق الصوفية، أذكر منها : الطريقة البكطاشية، الخلوتية، الجلوتية، المولوية، القادرية، الأويسية والإدريسية.

وبعد فتح قنديه يتحدث الشلبي عن أسماء العديد من المساجد والجوامع التي أنشئت بعد الفتح منها مسجد الوالدة سلطان، ومسجد السلطان إبراهيم خان الذي بني داخل القلعة، ومسجد فاضل أحمد باشا (مسجد الوزير)، ومحمود كاتهودا، ومسجد آغا الإنكشارية عبد الرحمن باشا (مسجد الآغا)، ومسجد الدفتردار (أمين الصندوق) أحمد باشا (دفتردار جامي)، إضافة إلى مساجد عديدة أخرى باسم كيتهودا إبراهيم باشا، وأحمد باشا، والملاك إبراهيم باشا، والقبطان مصطفى باشا. لقد كان من بين كل هذه المساجد واحد أو اثنان فقط مما أنشئ في العهد العثماني، أما الباقي جميعه فقد تم تحويله من كنائس إلى مساجد للمسلمين. تجدر الإشارة إلى أن مجموع المسيحيين الكاثوليك في قنديه أصبح بعد الفتح يقتصر على عدد قليل من الناس لا يكاد يزيد عن ما تحتويه كنيستان فقط. لهذا تم تحويل كل الكنائس الزائدة إلى مساجد لأبناء المسلمين الذين كان يزداد عددهم باستمرار. يحدد الشلبي عدد المساجد في المدينة بـ ١٨ مسجداً، وواحد وسبعين مصلى في الأزقة والحارات، كما يتحدث عن القرى والقلاع التي زارها برفقة لجنة تحرير الأراضي والأملاك.

تعداد النفوس في جزيرة كريت بحسب العام ١٨٩٠ في الأرشيف العثماني:

كانت السلطنة العثمانية من أدق الدول في أرشفة وإحصاء كل ما يجري على الأراضي والولايات التابعة لها. فبحسب إحصاء العام ١٨٩٠ نجد أن عدد سكان كريت كان: ٢٧٩١٩٢ نسمة، منهم ٧٣٤٨٧ نسمة من المسلمين و ٢٠٤٧٨١ نسمة من المسيحيين.كما كان ١٤٢٢٤٨ نسمة من الرجال و١٣٦٩٤٤ من النساء.

أما من حيث التقسيم السكاني بحسب المدن فإننا نجد التالي:

ولاية خانيا: ٦٠٦٩٧ نسمة، ريسمو ٤٦٠٩١ نسمة، قنديه ٨٧١١٩ نسمة، لاشيد ٥١٧٠٧ نسمة، إسفاكية ٣٠٦٢١ نسمة. وكان عدد السكان الذين يعيشون في دور العبادة هو ٨٩٤٠ نسمة، وعدد العساكر ١٣٩٧٠ نفراً، وعدد السجناء ٤٤٠ سجيناً، إضافة إلى ٧٥ مريضاً في المستشفيات.

كانت ولاية قنديه هي أكبر الولايات العثمانية في جزيرة كريت ومن أكثرها كثافة للوجود الإسلامي، كما حوت مع ضواحيها على أكبر عدد من المساجد والأوقاف كما ورد في الأرشيف العثماني.

المعالم الإسلامية في مدينة خانيا

دخلت جيوش الدولة العثمانية للمرة الأولى إلى جزيرة كريت عبر مدينة خانيا التي قامت بفتحها عام ١٦٤٥م ومنها انطلقت إلى سائر المدن الكريتية الأخرى وصولاً إلى العام ١٦٦٩م أي بعد ٢٥ سنة من القتال تمكنت في نهايتها من السيطرة الكاملة على هذه الجزيرة. لقد قسم العثمانيون المساجد في كريت إلى قسمين، هما "مزبوط وملحق جاميلر" بحسب اللفظ العثماني، أي المساجد التي بنيت من العثمانيين أنفسهم، ودور العبادة الأخرى التي تم تحويلها إلى مساجد وهي بمعظمها كنائس سابقة هجرها مرتادوها. ومع دخول العثمانيين إلى كريت، تضاعفت أعداد المسلمين سنة تلو الأخرى مقابل تضاؤل أعداد المسيحيين الذين كانوا يعتنقون الدين الإسلامي كما كان الحال في سائر بلاد العالم التي دخلها المسلمون. بهذا الشكل أصبحت العديد من الكنائس تفيض عن حاجة سكان الجزيرة من المسيحيين، في المقابل كانت المساجد التي يتم بناؤها لا تكفي ولا تستوعب أعداد المسلمين المتزايدة. فعمد العثمانيون على تحويل البعض من تلك الكنائس الفارغة إلى دور عبادة للمسلمين، نذكر منها كنيسة سان فرانسيسكو التي تحولت إلى مسجد السيردار يوسف باشا، وكنيسة سان سافا التي

تحولت إلى مسجد السردار موسى باشا، وكنيسة آغيوس نيكولاس التي أصبحت مسجد السلطان إبراهيم.

الجدير بالذكر أن بعض المساجد التي تم إنشاؤها في كريت بنيت على أنقاض كنائس قديمة هدمت بسبب الحروب أو العوامل الزمنية، من أشهرها مسجد كوتشوك حسن الذي يزين ساحل مدينة خانيا في المرفأ القديم إلى يومنا هذا. لقد بني هذا المسجد على أنقاض كنيسة صغيرة مؤلفة من غرفة واحدة كانت موجودة في ذلك الموقع قديماً...

١- مسجد السلطان إبراهيم:

كان يطلق عليه اسم مسجد الهنكار أي مسجد السلطان اختصاراً لاسمه الكامل وهو مسجد السلطان إبراهيم، ويعرف حالياً باسم كنيسة آغيوس نيكولاس. يرتفع على جانبي هذا المبنى مئذنة وبرج للأجراس، وقد تم بناؤه في عهد البنادقة في عام ١٣٢٠ من قبل مجموعة من رهبان الدومينيك الذين قدموا من مدينة قنديه في تلك الفترة وبنوا هذا المعبد ليكون داراً لعبادة أبناء الطائفة الكاثوليكية، وكان يعرف باسم كنيسة سان نيكولاس. بعد دخول العثمانيين إلى المدينة، تحول هذا المكان إلى مسجد سمي بمسجد السلطان إبراهيم (هونكار جامي) وذلك إلى أن آل الأمر إلى الحكم الذاتي ومن بعدها سلطة اليونان عام ١٩١٣م، حيث تم تحويل المسجد إلى كنيسة أورثوذوكسية هذه المرة باسم أغيوس نيكولاس.

تم إضافة المئذنة ذات الشرفتين على يمين المبنى في زمن العثمانيين عام ١٦٤٥ وذلك بعد هدم أحد أبراج الكنيسة بحسب بعض الروايات. وفي العام ١٩١٣م وبعد خروج معظم المسلمين، بدأ الروم الأورثوذوكس باستخدامه كنيسة أورثوذوكسية، فأضيف إليه برج الأجراس في الزاوية المقابلة للمئذنة. وفي حديقته الصغيرة توجد لوحة تذكارية تقول أن أحد المواطنين قد تم إعدامه من قبل العثمانيين في هذا الموقع عام ١٨٢١ خلال عصيان مورا.

كما يروى أن في الكنيسة صندوقاً يحتوي على سيف أول درويش دخل مدينة خانيا لا يزال الرهبان يحتفظون به هناك. وبالرغم من وجدود السيف فعلياً في الصندوق، إلا أن رواية ربطه بأحد الدراويش ليست مؤكدة وتبقى ضمن ما يروى من قصص وأساطير.

أخيراً، تم ترميم هذا المبنى من قبل أريس حجيداكيس.

٢- مسجد تورونتش أو مسجد أحمد آغا

إن المعلومات المتوفرة حول هذا المسجد قليلة جداً. تتحدث بعض المصادر عن مئذنة مسجد أحمد آغا في زقاق داليانيس خاتزي ميشالي (الحاج ميشيل) الذي كان يطلق عليه

سابقاً اسم شارع شونيوبلوكاديكا. وهناك مصادر أخرى تتحدث عن مسجد موجود في زقاق داليانيس أيضاً يطلق عليه اسم مسجد نيرانتيس مما يجعلنا نعتقد أن المسجد نفسه يطلق عليه هذان الاسمان. كان المسجد قبل العهد العثماني كنيسة ثم تم تحويله إلى مسجد ليصبح بعد خروج العثمانيين صالة عرض للأعمال الحرفية اليدوية والفنية. لم يبق من هذا المسجد حالياً إلا مئذنته التي استطاعت أن تتغلب على موجات الحروب والدمار الذي أصاب المدينة.

٣- مسجد كوتشوك حسن:

هو أجمل مسجد في جزيرة كريت لما يتمتع به من موقع رائع على الساحل مباشرة في المرفأ القديم لمدينة خانيا.

بني هذا المسجد عام ١٦٤٩م على أنقاض كنيسة أو معبد صغير مؤلف من غرفة واحدة كما تذكر المصادر اليونانية في الجزيرة، وذلك وفقاً للدراسات الحديثة للخدمات الأثرية. وقد اشتهر هذا المسجد بأكثر من اسم واحد كمسجد (يني تشيري) أي الإنكشارية، كما سمي أيضاً بين السكان المحليين بمسجد (يالي جامي) أي المرفأ القديم. أما اسم (كوتشوك حسن) فيعود إلى الوالي العثماني الأول الذي حكم خانيا ويدعى كوتشوك حسن باشا.

يتميز هذا المسجد بكونه المسجد الأول الذي قام العثمانيون ببنائه في الجزيرة بعد الفتح. يتألف من بناء مربع الشكل تعلوه قبة كبيرة مدعمة بأربع أقواس كبيرة، تزينها سبع قباب صغيرة على الجهة الأمامية المواجهة للبحر والجهة الخلفية لمدخل المسجد. أما الجهة الموازية للجهة البحرية الأمامية فقد كانت ملاصقة للسوق القديم الذي تم هدمه من قبل بلدية خانيا ليضيع بذلك معلم من المعالم العثمانية في الجزيرة. كما تم إزالة أشجار النخيل وأضرحة الباشاوات والأئمة التي كانت موجودة في باحة المسجد الجانبية.

بعد الخروج الكامل للمسلمين من كريت، تم تحويل هذا المسجد إلى كنيسة في العام ١٩٢٣، ثم استخدم متحفاً للآثار فترة من الزمن ليتحول بعد ذلك إلى صالة عرض للأعمال الفنية بعد استكمال ترميمه من قبل البلدية.

لقد تعرض هذا البناء خلال الحرب العالمية الثانية إلى قصف أدى إلى تدمير مئذنته. وهكذا تصبح مدينة خانيا مدينة المسجد بلا مئذنة، والمئذنة بلا مسجد (مئذنة مسجد أحمد آغا).

هدم السوق المغلق خلف مسجد كوتشوك حسن:

يدافع رئيس بلدية خانيا مانوليس سكولاكيس عن نفسه بسبب هدمه للسوق المغلق الملاصق لمسجد كوتشوك حسن والذي كان يطلق عليه اسم كوست بافيون الذي اعتبر وفقاً لهيئة الآثار معلماً أثرياً مهماً لا يمكن المساس به فيقول:

"أنا أتابع مسألة الدعوى القضائية المرفوعة ضد كل من بلدية خانيا التي نفذت عملية الهدم ووزارة الثقافة والسياحة دون أن أشعر بأي نوع من أنواع تأنيب الضمير. منذ ١٣ سنة وهذا السوق يقف على شكل بناء خرب يشكل خطراً على كل أبناء المدينة والسياح الذين يمرون بجواره. وبسبب ملاصقته للمسجد فهو يشكل خطراً كبيراً على هذا المعلم المهم أيضاً. ووفقاً للأخصائيين الذين قاموا بدراسة ساحة المرفأ القديم والسوق المتهالك، فقد تم الوصول إلى قناعة تقضي بصعوبة إعادة تأهيل السوق إضافة إلى ارتفاع الكلفة بشكل لا يمكن تحمله. لهذا الأمر اقتضت إزالته..."

لقد سببت عملية هدم السوق وترميم المسجد غضباً كبيراً عند العديد من السكان المحليين المتعصبين لأنهم خافوا من عودة العبادة إليه واستعماله مجدداً مسجداً تستخدمه الجالية المسلمة من العاملين والمقيمين في المدينة. ينفي السيد سكولاكيس هذه الإتهامات ويصفها بالإشاعات ويقول: "إن هذا الأمر لا يحمل من الحقيقة شيئاً، وليس إلا محض خيال..."

٤- مسجد محمود آغا

يقع هذا المسجد في السوق على مقربة من كنيسة أغيوس نيكولاس ويمكن مشاهدة مئذنته اليوم في وسط السوق. يستخدم حالياً كمحل لبيع الصوف والخيطان. وهو مغلق أمام الزائرين.

التكية المولوية:

تكية كريت المولوية هي من أهم المعالم الأثرية في المدينة. أسست عام ١٨٨٠ على يد سليمان شمسي ديده. وتحتوي حديقتها على مقبرة. تستخدم هذه التكية اليوم كدار للأيتام والأطفال والمشردين الذين تتراوح أعمارهم بين ٤ إلى ١٦ سنة، وتأوي قرابة ٥٠ طفلاً. أما الأبنية المجاورة لها فقد قام المسؤولون الحاليون بتحويلها إلى مراكز إعادة تأهيل بطاقة استيعاب تصل إلى ١٠٠ شخص تقريباً. تحتاج التكية المولوية الى ترميم سريع وهو ما يصرح به القائمون على أعمالها، إلا أن اعمال الترميم لم تبدأ حتى يومنا هذا.

بحسب زائري التكية، يمنع مجرد تصويرها من الخارج منعاً باتاً ....

الأوقاف الإسلامية في مدينة خانيا:

ورد ذكر بعض الوقفيات في الوثائق العثمانية وفي بعض الكتب والمراجع التي تتحدث عن جزيرة كريت. وقناعتنا تقول أنها ليست بالتأكيد كل الأوقاف التي كانت موجودة خلال الحكم العثماني للمدينة. نذكر منها.

١- وقف القبطان يوسف باشا
٢- وقف القبطان موسى باشا
٣- وقف كوتشوك حسن باشا
٤- وقف مسجد محمود آغا
٥- وقف الحرمين المحترمين
٦- وقف كتّاب مصلى يوسف آغا
٧- وقف العنكبوت أحمد باشا
٨- وقف الغازي حسين باشا
٩- وقف الكوناكتشي علي باشا

المعالم الإسلامية في مدينة قنديه

قنديه بعين الرحالة الولي الشلبي:

كتب الرحالة العثماني الشهير الولي الشلبي في كتابه الكثير من المعلومات القيمة حول مساجد وجوامع مدينة قنديه، منها مسجد الوالدة سلطان، ومسجد إبراهيم خان الذي بني داخل القلعة كبناء جديد، ومسجد فاضل أحمد الوزير أو الصدر الأعظم كما أصبح لاحقاً، ومسجد محمود كيتهودا، ومسجد آغا الإنكشارية عبد الرحمن باشا أو كما يقال باختصار مسجد الآغا، ومسجد الدفتردار أي أمين الصندوق أحمد باشا، ومسجد كيتهودا إبراهيم باشا، ومسجد أحمد باشا، ومسجد الملاك إبراهيم باشا، ومسجد القبطان مصطفى باشا وغيرها من المساجد. وبحسب ما يرويه الشلبي فإن معظم هذه المساجد المذكورة هي كنائس للطائفة الكاثوليكية التي كانت تسكن المدينة قبل الفتح العثماني والتي لم يبق منها سوى كنيستان بعد هذا الفتح. ويعزو ذلك الى تضاؤل أعداد هذه الطائفة بشكل كبير لم يترك حاجة لبقاء هذا العدد من الكنائس.

وهنا تجدر الإشارة الى أن الكنائس التي تم تحويلها إلى مساجد قد استملكت بالبيع والشراء من قبل العثمانيين ولم يستولى عليها استيلاءً. إن عدد المساجد التي أحصاها الرحالة الشلبي في مدينة قنديه هي ١٨ جامعاً و٧٠ مسجداً أو مصلى.

مساجد ولاية قنديه:

بحسب وثائق الأرشيف العثماني، هناك مجموعة كبيرة من المساجد في مدينة قنديه هي:

١- مسجد والدة السلطان محمد خان الرابع.
٢- مسجد الباشا الحاج محمد بندق .
٣- مسجد أحمد فاضل باشا وهو المسجد الذي بناه الصدر الأعظم أحمد فاضل باشا.
٤- مسجد رئيس الكتاب حسين أفندي.
٥- مسجد عبد الرحمن باشا .
٦- مسجد أحمد باشا العنكبوت ويسمى أيضاً بمسجد العنكبوت باشا أو السردار الأكبر العنكبوت أحمد باشا.
٧- مسجد الحاج مصطفى باشا ياكاسيز زاده.
٨- مسجد ذو الفقار علي باشا.
٩- مسجد سيافوش آغا.
١٠- مسجد ميميش آغا.
١١- مسجد علي باشا.
١٢- مسجد أمين آغا.
١٣- مسجد السلطان إبراهيم خان .
١٤- مسجد محمد آغا كاراكاش.
١٥- مسجد إسماعيل آغا ديزدار.
١٦- مسجد رجب آغا.
١٧- مسجد الشيخ سليمان.
١٨- مسجد محمد باشا الصوفي .

١٩- مسجد قرية قصاص وهو يقع قرية قصاص في بلدة بيريانيتش Piryaniç nahiyesi.
٢٠- مسجد قرية بارتيرا.
٢١- مسجد بيتري إيليفيا هاتون.
٢٢- مسجد بيتري مصطفى آغا.
٢٣- مسجد بينديا أراستا علماً أن بندية هو اسم لإحدى البلدات التابعة لمدينة قنديه.
٢٤- مسجد أركالي هور الذي يقع في بلدة ريزو التابعة لمدينة قنديه.
٢٥- مسجد السلطان محمد الرابع.
٢٦- مسجد محمود آغا.
٢٧- مسجد بالتا أحمد آغا (الساطور).
٢٨- مسجد مصطفى باشا كابلان (النمر).
٢٩- مسجد الوزير الحاج محمد باشا.
٣٠- مسجد الحافظ أحمد باشا.
٣١- مسجد الدفتردار أحمد باشا.
٣٢- مسجد آغا الإنكشارية عبد الرحمن آغا.
٣٣- مسجد التورناجي باشي إبراهيم آغا والتورنا هو الرمح.
٣٤- مسجد الكارا مصطفى باشا وكارا تعني الأسود.
٣٥- مسجد الشيخ علاء الدين أفندي تشلبي زاده.
٣٦- مسجد بلطا والبلطا هي الفأس.
٣٧- مسجد الحاج عيسى بك في بلدة كيتسال.
٣٨- مسجد الديزدار إسماعيل أوغلو.
٣٩- مسجد الدريا إبراهيم باشا وهو القبطان إبراهيم باشا.
٤٠- مسجد قرية ميردان أو ميدران ويقع في بلدة كينوريا kenorya nahiyesi.
٤١- مسجد رقية خاتون التي بنته في قرية مختاروس (Muhtaros Karyesi) في بلدة بيزا (Peyze nahiyesi).

وبالنسبة **للأوقاف الإسلامية في ولاية كانديا** فنذكر ما يلي:

٤٢- وقف الصدر الأعظم فاضل باشا.

٤٣- وقف والدة السلطان محمد خان الرابع .

٤٤- وقف الدفتردار أحمد باشا.

٤٥- أوقاف الكتهودا محمود باشا.

٤٦- وقف البالطا أحمد آغا.

٤٧- وقف القبطان إبراهيم باشا.

٤٨- وقف الملاك إبراهيم باشا .

٤٩- أوقاف السلطان إبراهيم خان.

٥٠- أوقاف عبد الرحمن باشا.

٥١- أوقاف إبراهيم آغا.

٥٢- أوقاف رئيس الكتاب حسين أفندي.

٥٣- أوقاف نعمان باشا.

٥٤- أوقاف الحرمين المحترمين.

٥٥- وقف مسجد الباشا الحاج محمد بندق .

٥٦- أوقاف والي مصر إبراهيم باشا.

٥٧- أوقاف مسجد الحاج مصطفى ياكاسيز زاده وسبيل مياهه.

٥٨- أوقاف مسجد الزلفقار علي باشا.

٥٩- أوقاف مسجد الملك أحمد باشا.

٦٠- أوقاف مسجد رئيس الكتاب حسين أفندي.

٦١- أوقاف أحمد باشا العنكبوت.

٦٢- أوقاف الآغا الحاج ميميش.

٦٣- أوقاف مسجد رجب آغا.

٦٤- أوقاف الصوفي محمد باشا.

٦٥- أوقاف سنان آغا .

٦٦- أوقاف الشيخ سليمان.

٦٧- أوقاف الديزدار إسماعيل آغا.

المعالم الإسلامية في مدينة ريسمو

نظرة عامة للمدينة:

هي باليونانية ريثيمنو... مدينة تقع بين قنديه وخانيا على الساحل الشمالي لجزيرة كريت بمسافة تبعد ٦٥ كيلومتراً عن مدينة قنديه (إيراكليو حالياً) و ٤٨ كيلومتراً عن خانيا ثاني أكبر المدن في كريت.

يعود تاريخ هذه المدينة الى ما يعرف بالفترة المينوية، وكانت عبارة عن تجمع سكاني بسيط تحت اسم ريثيمنا على ساحل كريت. وعلى الرغم من صغر حجمها في تلك الفترة إلا أنها استمرت بإصدار عملتها الخاصة والتمتع بامتيازات مستقلة طيلة فترة الحكم الروماني للجزيرة. ثم فقدت أهميتها بعد ذلك منذ القرن الثالث للميلاد.

وخلال فترة حكم البنادقة التي استمرت بين العام ١٢٠٤ والعام ١٦٦٩م، شعر البنادقة بحاجتهم إلى بناء ميناء جديد لسفنهم في منتصف المسافة بين قنديه وخانيا، ففعلوا ذلك في ريسمو التي شهدت وقتها ازدهاراً اقتصادياً وثقافياً كبيراً، وأصبحت مركزاً للأبرشية ومكان سكن لطبقة النبلاء في جزيرة كريت.

وفي أواخر فترة حكم البنادقة، بدأت مدينة ريسمو تتعرض لهجمات القراصنة، ثم ما لبثت أن سقطت بأيدي العثمانيين في العام ١٦٦٩ لتبدأ عهداً جديداً مع حقبة الحكم العثماني في الجزيرة كغيرها من المدن الكريتية الأخرى.

شهدت ريسمو خلال الحكم العثماني ظهور العديد من المساجد ودور العبادة الإسلامية وتحويل بعض الكنائس التي لم تعد مستخدمة إلى مساجد. كان يعيش في ريسمو تجمع سكاني إسلامي كبير جعلها من اكثر المدن الكريتية كثافة من حيث الوجود الاسلامي. وقد بقيت هذه الكثافة في المدينة إلى حين تنفيذ بنود اتفاقية المبادلة بين تركيا واليونان عام ١٩٢٤ حيث تم نقل جميع سكانها المسلمين إلى تركيا بعد أن اجبروا على توقيع صكوك تنازل عن كافة أملاكهم وعقاراتهم في كريت.

يوجد في ريسمو حالياً ثلاثة مساجد هي:

مسجد ولي باشا، مسجد الباشا موسى الأسود (الصدر الأعظم كارا موسى باشا) وهو مسجد يضم مجموعة من الآثار البيزنطية، ومسجد نيراتزه وهو كنيسة القديسة كاثرين في زمن حكم البنادقة تم تحويلها إلى مسجد يستخدم حالياً صالة لتعليم الموسيقي.

ومن أشهر رجالات المدينة في القرن الثامن عشر خلال الحكم العثماني الدبلوماسي والكاتب الشهير أحمد ريثمي أفندي.

مساجدها:

١- **مسجد الوالدة سلطان:** لم يبق منه في يومنا هذا سوى مئذنته الموجودة في محلة ريسمو القديمة (باليا بولي). أما أقسامه الأخرى فقد حولت إلى منازل ومحلات تجارية. يرمز هذا المسجد إلى بانيته الوالدة سلطان التي تعتبر من أشهر مسلمي هذه المدينة. فعندما فتح العثمانيون مدينة ريسمو في العام ١٦٤٦م، أسرت إيفمانيا فوريا ابنة أحد رهبان الروم الأورثوذوكس واقتيدت إلى مدينة إسطنبول. وبعد دخولها إلى قسم حرم القصر السلطاني، تلقت تعاليم الدين الإسلامي وأصبحت فيما بعد زوجة للسلطان محمد الرابع لتعرف باسم الوالدة أمة الله رابعة غولنوش سلطان. لاحقاً أصبح من أولادها مصطفى الثاني وأحمد الثالث سلاطيناً للخلافة العثمانية، فهي بالتالي زوجة سلطان وأماً لسلطانين. نلاحظ في الصور الحديثة أن موضع الوضوء الخاص بمسجد الوالدة أصبح جداراً داخل احدى مكتبات المدينة ولا يمكن ملاحظته إلا لمن تقصد البحث عن المسجد أو ما بقي منه.

٢- **مسجد السلطان إبراهيم خان:** يعرف أيضاً باسم مسجد فورتيزا، ويتميز بقبة نصف كروية قطرها يصل إلى ١١ سم، وهو من أكبر الأمثلة الحية التي تدل على الوجود العثماني في جزيرة كريت. بقي من مئذنته التي تم هدمها في الجهة الشمالية منه قاعدتها فقط. بني المسجد بعد الفتح العثماني لمدينة ريسمو عام ١٦٤٦م في مكان كان موقعاً لكنيسة سان نيكولاس في عهد البنادقة. علماً أن الكنيسة هذه كانت قد بنيت عام ١٥٨٠م من قبل كاتدرائية البنادقة العزيز نيكولاس. ولكن، وبعد أن فتح العثمانيون الجزيرة تم تحويلها إلى مسجد سمي بهذا الإسم تيمناً بالسلطان إبراهيم الأول.

٣- **مسجد ولي باشا:** ويكنى أيضاً باسم مسجد المصطبة (الساحة) نسبة للموقع الذي بني عليه. ويعتقد بأنه بني على أنقاض كنيسة أونوفريوس (Onuphrius) البندقية. ويحتوي على تسع قباب صغيرة وباب على الطراز التوسكاني مع إفريز من اللبلاب المخفف ومئذنة تعتبر بأنها أقدم مئذنة قائمة حتى اليوم في مدينة ريسمو، علماً أنها بنيت في العام ١٧٨٩م وهي قصيرة ذات قطر واسع. إنه مسجد على شكل مربع بني من حوله إيوان مقبب. وقد حول اليوم إلى متحف غولاندريس للتاريخ الطبيعي وعلوم الحفريات (Goulandris Museum of Natural History). يتميز هذا

المسجد بأنه يحتوي على مدرسة وبقايا تكية بكطاشية كانت موجودة في هذه المدينة. توجد في باحته الخارجية شواهد لقبور المسلمين تم عرضها على طول السور الخارجي.

٤- **مسجد كارا موسى:** أي مسجد موسى الأسود. وهو الصدر الأعظم كارا موسى الذي فتح مدينة ريسمو. يقع هذا المسجد في زاوية كل من شارع أركاديو وجادة فيكتوراس أوغو عند مدخل منطقة باب الرمل (kumkapı). يقال بأن العثمانيين قاموا بتحويل دير سانتا باربارا إلى هذا المسجد بعد أن دخلوا المدينة. يتحوي بناؤه الرئيسي على محراب موجه نحو مدينة مكة المكرمة. هو مربع الشكل أيضاً. وما زالت قاعدة مئذنته التي تم هدمها واضحة المعالم حتى اليوم. مقبرته التي تقع على يساره مؤلفة من أقسام ثلاثة خربت خلال أعمال إنشاء جادة فيكتوراس أوغو. أما سبيل الماء التابع لكليته فما زال متيناً إلا أنه قد تم ترميمه بشكل سيء جداً. بقايا شواهد القبور التابعة للمسجد تم رصف بعضها وبقي بعضها الآخر مرمياً على الأرض. وبحسب بعض زوار هذا المسجد المقفل، فإنهم قد تمكنوا من الدخول عبر فتحة خلفية في الحديقة وشاهدوا أعداداً كبيرة من الشواهد التي تعود لقبور في الفترة الممتدة بين العام ١٧٠٠ والعام ١٨٠٠م. يحتوي المسجد أيضاً على قبر كارا موسى. ويروى بأن المبنى خلفه كان داراً للتعليم.

٥- **مسجد الغازي حسين باشا:** يسمى أيضاً باسم مسجد نيرانتزيس (Nerantzes Mosque) أي ذي النارين (Narece). بني هذا المسجد في زمن البنادقة وكان كنيسة تدعى سانتا ماريا. ولكنها حولت في العام ١٦٥٧م إلى مسجد من قبل القائد العثماني الغازي حسين باشا، فأضيفت إليه ثلاث قبب ومئذنتان. كان سقفه في زمن البنادقة خشبياً. بنيت مئذنته في القرن التاسع عشر في العام ١٨٩٠م. وفي مرجع آخر ذكر بأنها بنيت عام ١٨٩٢م. ولها أسطورة تقول بأنه لما قام باشا مدينة ريسمو بدعوة المعمار يورغو داسكالاكي، أخبره بأنه سيرسله في رحلة إلى الأناضول ليشاهد المآذن هناك فيصمم مئذنة مماثلة لهذا المسجد. وقد وجدت خريطة هذه المئذنة لاحقاً وعليها توقيع المعمار يورغو داسكالاكي. الجدير بالذكر أن المئذنة هي أطول مئذنة في جزيرة كريت وتحتوي على شرفتين. هذا المسجد هو نموذج تاريخي جميل لمدينة ريسمو، حيث أضيف للمبنى القديم قبتان عثمانيتان ومئذنة. وهو بالتالي يجمع بين الفن البندقي والعثماني واليوناني. فالجزء الشمالي من المبنى هو إضافة عثمانية، والجهة اليمنى مع باب المدخل من العهد البندقي. يستخدم اليوم كمركز لتعليم الموسيقى وتقديم الحفلات الموسيقية.

٦- **مسجد أحمد باشا العنكبوت:** يقال بأنه كان كنيسة في عهد البنادقة، وقد حوله اليونانيون إلى كنيسة سميت باسم الملائكة الأورثوذوكس للسيدة العذراء. هدمت مئذنته بشكل جزئي، لذلك فهو يسمى من قبل أهل المدينة باسم مسجد المئذنة العرجاء.

٧- **مسجد يحيى إبراهيم باشا:** ويسمى أيضاً مسجد إبراهيم باشا. كان قبل الفتح العثماني كنيسة تدعى آغيا صوفيا. وقد حولت إلى مسجد من قبل الإنكشاري يحي إبراهيم باشا. يحتوي هذا المسجد على مئذنة واحدة. ويتميز بأنه كان من مساجد الطريقة القادرية.

٨- **مسجد إبراهيم آغا الصغير:** في المبنى الذي يسمى اليوم باسم برسيم البندقية كان يقع مسجد ابراهيم آغا الصغير أو مسجد الآغا. كان أمام هذا البرسيم ميدان ممتد إلى شاطيء البحر. ومع قدوم العثمانيين، بدأ العمران في هذه المنطقة وبني عليها هذا المسجد الذي سمي أيضاً باسم مسجد الحاج، وكان ذلك في العام ١٦٥٦م. كان للمسجد مئذنة واحدة بنيت على ميسرته. وعلى مشارفها بني سبيل للماء نقش عليه بالأحرف العثمانية. ولكن، بعد عملية المبادلة الشهيرة، أغلق هذا المسجد وتم هدم مئذنته بشكل كامل عام ١٩٣٠م. وهو يستخدم اليوم كمتحف لعلم الآثار.

الأوقاف الإسلامية في مدينة ريسمو:

هي الأوقاف التي ورد ذكرها في الوثائق العثمانية أو في بعض الكتب والمراجع التي تتحدث عن جزيرة كريت. وهي ليست كل الأوقاف التي كانت موجودة في العهد العثماني وإنما جزء بسيط منها. نذكر ما يلي:

١- وقف الحرمين المحترمين (وهو موجود في كل من ريسمو، قنديه وخانيا)
٢- وقف العنكبوت أحمد باشا (وهو موجود في كل من ريسمو، قنديه وخانيا)
٣- وقف سبيل الحسكي عمر آغا
٤- وقف الوالدة سلطان.
٥- وقف السلطان إبراهيم خان
٦- وقف الغازي حسين باشا
٧- وقف الكارا موسى باشا
٨- أوقاف الحاج الآغا إبراهيم الصغير
٩- وقف ولي باشا

المصـــادر:

١- الأرشيف العثماني

2- http://www.lozanmubadilleri.org.tr/mubadil-bulusmalari-gezi-izlenimleri/19-bulusmalar/122-2004-bulusmasi-sefer-guvenc-izlenimleri

3- http://www.anadolutayfasi.net/osmanli-tarihi/54215-girit-adasi-hangi-padisah-tarafindan-fethedildi.html#ixzz21b0Tvpqe

4- http://www.tarihbilinci.com/forum/tarihi-beldeler-mekanlar-66/girit-13327/

5- http://www.chania-info.gr/index.php?option=com_content&task=view&id=284&Itemid=136

6- http://www.explorecrete.com/chania/GR-chania-07-mosque.html

7- http://www.agonaskritis.gr

8- http://www.zaman.com.tr/haber.do?haberno=1345889&title=hanyadan-kandiyeye-girit&haberSayfa=0

الفصل الثاني

النزاعات في
جزيرة كريت
وهجرة المسلمين
بين التاريخ والقانون

الصراع القومي في جزيرة كريت في القرن التاسع عشر، أحداث مدينة قندية، والهجرة إلى سوريا ولبنان وشمال أفريقيا.

د. ملكة قايام [1]

مقدمة:

يتركز موضوع هذا البحث على الهجرة من جزيرة كريت إلى شمال أفريقيا والشرق الأوسط مع نهاية القرن التاسع عشر. إن موجة الهجرة التي بدأت في نفس التاريخ من كريت قد انتهت عملياً في الأناضول. إلا أن مشاكل الإسكان التي اعترضت الدولة العثمانية حالت دون توطين الجميع في الأناضول وكانت السبب الرئيس وراء البحث عن مأوى آخر للمهاجرين خارج أراضيه. ضمن هذا السياق، فقد وقع اختيار الدولة العثمانية على أراض تابعة لها في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وفي حين برز اهتمام عدد كبير من الباحثين للقيام بدراسات وأبحاث متعددة حول الهجرة من كريت إلى الأناضول، فإن المهاجرين المسلمين الذين تم إسكانهم ضمن أراضي الدولة العثمانية ولكن خارج الأناضول لم يحظوا بنفس الإهتمام، وبقيت الدراسات المتعلقة بهم قليلة جداً ومحدودة وضمن نطاق ضيق. إن ما دفعنا للإهتمام بمثل هذا البحث هو ضرورة الإضاءة على النقطة الضائعة في حركة الهجرة هذه، وبالتالي استكمال الصورة الكاملة لهجرة المسلمين من جزيرة كريت.

إن التطورات السياسية التي كانت وراء هجرة المسلمين هي بالغة الأهمية. فبعد إيجاز الأحداث التي دامت في كريت لفترة مئة عام تقريبا، حاولنا التوقف بتفصيل حول عملية الهجرة والتركيز عليها. وقد ساعدنا في ذلك وفرة الوثائق وتناولها للقضية بالكثير

---

[1] **دكتوراه في التاريخ**
تخرجت من جامعة مرسين قسم التاريخ عام ٢٠٠٣.
تعينت في نفس السنة في مركز مبادئ أتاتورك وتاريخ الإنقلاب للأبحاث والتطبيقات التابع للجامعة نفسها.
. مارست عملها هناك كباحثة لتنال شهادة الماجستير عام ٢٠٠٧.
تتابع دراساتها لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة مرسين، معهد العلوم الإجتماعية - قسم التاريخ.
عينت في حزيران ٢٠١٤ في وزارة الثقافة والسياحة التركية في منصب خبير.
شاركت في العديد من المؤتمرات التاريخية المحلية في تركيا والعالمية أيضاً كما أعدت الكثير من الأبحاث التاريخية والإجتماعية.

من التفصيل والدقة. لقد تناولنا في هذه المقالة قضية تهجير المسلمين من كريت بشيء من الإقتضاب والإختصار، وذلك لتسليط الضوء أكثر على عملية إسكان المهاجرين وتفنيد ما رافق ذلك من مشاكل وتعقيدات.

القرن التاسع عشر والمشكلة الكريتية:

في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ظهرت الحركات القومية في الدولة العثمانية بين النصارى أولاً، ثم تلتها حركات مماثلة بين المسلمين، كما بدأت تتشكل الهوية الدينية والإجتماعية والعرقية بعد نظام الأمة الذي كان سارياً في الإمبراطورية العثمانية. لقد استفاد غير المسلمين من ذوي التبعية العثمانية من نظام الأمة بشكل فعال، فحفاظوا على ميراثهم الإجتماعي والديني واللغوي الذي لم يعمل العثمانيون على طمسه أبداً فنجحوا لاحقاً في خلق هوية جماعية لهم. إن نظام الأمة كان يشكل الإطار الإجتماعي والإقتصادي الذي يجتمع فيه كل العثمانيين بغض النظر عن تنوعهم الديني واللغوي والعرقي.

إن ظهور القوميات في القرن التاسع عشر قد هز كل الدنيا وخصوصا تلك الإمبراطوريات التي تحتوي على جنسيات وأعراق مختلفة ومتنوعة. وكان ذلك تحضيراً لسقوط الإمبراطورية العثمانية بمكوناتها المتعددة. إن طبيعة المنطقة الجغرافية التي كانت تحكمها الدولة العثمانية وطبيعة التركيبة السكانية فيها، بالإضافة إلى طبيعة النظام المللي المبني على القاعدة الإجتماعية للدولة قد أصبح غير مؤات لاستمراريتها وتحول إلى عبء كبير فوق كاهلها رزحت تحته برهة من الزمن.

لقد كان لإعلان استقلال اليونان عن الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر أثر كبير ونتائج كثيرة. فقد كانت نشأة الدولة اليونانية من ضمن مشروع كبير وجديد للمنطقة الجغرافية الخاضعة تحت السيطرة والحكم العثماني برمتها. كما كانت الدول الأوروبية تتنافس فيما بينها للحصول على امتيازات ومناطق نفوذ في بقعة جغرافية هي تحت الجكم العثماني مباشرة خصوصاً في البلقان وحوض البحر الأبيض المتوسط.

لقد كانت النتيجة المشتركة للمصالح المختلفة للدول الأوروبية تصب في تسريع عملية انفصال اليونان عن بنية الدولة العثمانية واكتسابها صفة الدولة المستقلة. لقد استعرض عدد كبير من الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا السياسات التي وضعت في مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ وأعادوا النظر فيها. بناء على ذلك، فقد تبوأت بريطانيا وروسيا تحديداً مركز المدافع الأول والداعم لليونان في حركتها الإستقلالية عن الدولة

العثمانية. كان من البديهي الواضح في تلك الفترة أن اليونان تحتل موقعا رئيساً ومتصدراً في العلاقات والمصالح الدولية لهاتين الدولتين.

بعد حرب ١٨٢٨-١٨٢٩ تم انتزاع استقلال اليونان من العثمانيين بموجب معاهدة ادريانوبل (أدرنه)، ولكن حدود الدولة الجديدة تم رسمها بعد معاهدة لندن عام ١٨٣٠. إلا أن كثيرا من المناطق التي كان يسكنها الروم وكذلك جزيرة كريت بقيت خارج حدود الدولة اليونانية الحديثة. لقد أصبحت جزيرة كريت بعد هذا التاريخ مشكلة مهمة ومسألة معقدة بالنسبة للدولة العثمانية. فقد تولت الدولة اليونانية المستقلة على عاتقها دعم حركات التمرد التي يقودها الروم في الجزيرة بهدف الإنفصال الكلي عن حكم العثمانيين تماشياً مع مبدأ الأمة الهيلانية والفكرة الكبرى أو العظيمة التي كانت تضع جزيرة كريت داخل حدود الدولة اليونانية المستقلة.

منذ هذا التاريخ ولغاية انضمام كريت إلى اليونان، عاشت الجزيرة فترة من القلاقل والإضطرابات المستمرة على شكل نزاع دائم بين الأهالي الذين كانوا يعيشون في الجزيرة جنبا الى جنب لفترة طويلة. واستطاع السكان المسيحيون أن يثيروا القلاقل ويشعلوا الثورات بشكل متقطع دام حتى انضمام الجزيرة الى اليونان. على المقلب الآخر فقد عمدت الدولة العثمانية إلى تقديم الإمتيازات المتلاحقة للجزيرة وسكانها المسيحيين في محاولة لتأخير فقدان حكمهم لها فترة من الزمن.

ومع حلول نهاية القرن التاسع عشر، استطاع مانوسوس كوندوروس أن يؤسس جمعية الإنقلاب المسماة (أبيتروبي) في الجزيرة، وحاول في صيف العام ١٨٩٥ ان يستغل انشغال الدولة العثمانية بالمسألة الأرمنية ليبدأ عصيانا منظماً واسع النطاق مدعوماً من اليونان يهدف إلى انفصال كريت عن الحكم العثماني والتحاقها بالدولة اليونانية.

ومع اتساع رقعة الثورات وتعاقبها، نجحت اليونان في إخراج ما يجري في كريت على أن لا يبقى مسألة داخلية تخص الدولة العثمانية وحدها، بل على أن المسألة الكريتية هي شأن يخص المجتمع الدولي برمته، الأمر الذي ساند الإنفصاليين ودعم حركتهم بقوة، كما استدعى التدخل الأجنبي الأوروبي مباشرة بالمسألة الكريتية باعتبارها أصبحت مشكلة عالمية.

صحيح ان الثورات والقلاقل في كريت قد استمرت زهاء قرن كامل من حكم العثمانيين للجزيرة، إلا أن الفترة الممتدة بين عامي ١٨٩٦ - ١٨٩٧ كانت تعتبر الفترة الأقسى والأكثر صعوبة بالنسبة للدبلوماسية العثمانية. في نفس الحقبة، اندلعت الحرب العثمانية اليونانية عام ١٨٩٧ وكانت في الأساس بسبب المشكلة في كريت، وانتهت بإعطاء الجزيرة نوعاً من الإستقلالية وحق تقرير المصيرعلى شكل حكم ذاتي فكان

ذلك تحضيراً مهما للإنفصال التام عن حكم العثمانيين في الفترة اللاحقة. في الحقيقية، يمكن القول أن أحداث ما بعد العام ١٨٩٦ هي بداية مراحل الإنفصال الفعلي لجزيرة كريت عن حكم الدولة العثمانية.

أحداث عام ١٨٩٨ وبداية الهجرة:

أجبرت العساكر العثمانية على مغادرة جزيرة كريت وأعقب ذلك دخول قوات الدول الكبرى إليها بعد أحداث السادس والسابع من ايلول عام ١٨٩٨. كان من الطبيعي أن يشعر الأهالي المسلمين بفقدان الأمان والتهديد الوجودي، فكان ذلك بداية هجرة المسلمين من جزيرة كريت إلى الأناضول العثماني.

إن حصول كريت على حكم ذاتي متمثل في إدارة مستقلة عن مركزية الباب العالي تزامنت مع بداية أكبر موجات الهجرة للسكان المسلمين إلى الأناضول. لقد انتهت القلاقل التي بدأت عام ١٨٩٦ وتلتها أحداث عنف متسارعة سببت قلة الأمن والطمأنينة في البلاد، لتستكمل فيما بعد بما عرف بأحداث قندية عام ١٨٩٨ بهجرة ٢١٠٠٠ مسلماً وخروجهم نهائياً من جزيرة كريت. لقد هاجر المسلمون الكريتيون إلى إزمير بشكل أساسي وإلى أراض أخرى كانت تقع تحت الحكم المباشر للدولة العثمانية.

بالنسبة للباحث والمؤرخ التركي الشهير كمال كارباط، لا بد من فهم عميق للأسباب الأساسية التي كانت وراء أحداث الهجرة من أجل إدراك نشأة الدولة العثمانية وكيفية انهيارها. فبعيداً عن الأحداث البارزة من حروب ومشاكل إقتصادية وسياسية عانت منها الدولة العثمانية في اواخر حكمها، لا بد من النظر إلى حركة هجرة نشطة من بلاد البلقان والقفقاس والجزر المختلفة وما اقترن ذلك من مشاكل كبيرة واجهت الدولة العثمانية لإسكان المهاجرين وإيجاد الحلول لمشاكل انتقالهم من بلدهم إلى بقع جغرافية مختلفة.

لقد شهدت الأعوام الأخيرة للقرن التاسع عشر هجرة أعداد كبيرة من جزيرة كريت تزامناً مع احداث ونزاعات واجت الدولة العثمانية في أماكن أخرى وانتهت ايضا بخروج اعداد ضخمة من تلك البلاد إلى أحضان الدولة الأم. إن سلسلة الأحداث السياسية التي سبقت عملية الهجرة والرحيل من الأوطان إضافة الى نوعية العلاقات والممارسات الدبلوماسية بين الدول في تلك الفترة وبالرغم من انها ليست موضوع هذه الدراسة إلا أنه لا بد من الإشارة اليها لإدراك ما حدث في تلك الحقبة من التاريخ.

المهاجرون الكريتيون في الشرق الأوسط

أمام طبيعة الأحداث في جزيرة كريت ونوعية الصدام الحاصل بين الناس في تلك الفترة من الزمن، كانت الدولة العثمانية مضطرة الى اتخاذ سلسلة من التدابير اللازمة لاحتواء الأزمة والتعاطي مع نتائجها. لقد كان ما يزيد عن ٢١٠٠٠ مسلم على وشك الخروج من كريت، وكان لا بد من إحصاء أعداد المهاجرين وتحديد وجهتهم إلى بقية الأراضي العثمانية، وتشكيل لجان تهتم بعملية النزوح وكذلك الإسكان في المناطق التي سيصل اليها المهاجرون.

مكان الإسكان	أعداد المهاجرين
أضنة	٣٠٠٠
قونية	٣٠٠٠
أنقرة	٤٠٠٠
سوريا	١٠٠٠
بيروت	١٠٠٠
بنغازي	٥٠٠٠
حلب	٢٠٠٠
قره حصار	١٠٠٠
ولاية آيدين	١٧٩٥
المجموع	٢١٧٩٥

الأرشيف العثماني الوثيقة رقم ١/٥٠٥ في ٢٢ ايار ١٣١٥ تقويم رومي الموافق فيه ٣ حزيران ١٨٩٩

بموجب الوثيقة المرسلة من قبل وزارتي الداخلية والمالية إلى لجنة إسكان المهاجرين وبحسب الأعداد والأماكن المبينة في الجدول أعلاه سيتم إسكان المهاجرين في ولايات الدولة العثمانية في الأناضول وشمال أفريقيا والشرق الأوسط بما يتناسب مع المناخ وطبيعة الأرض التي جاؤوا منها. وقد حذرت سلطاتنا جميع الولاة والموظفين المسؤولين لضرورة تعاطيهم بدقة بالغة مع الموضوع واجتناب حصول أي حوادث لحين استكمال عملية الإنتقال بطريقة سلسة دون اي مشكلة تذكر. ومن أجل وصف عملية الهجرة والإنتقال إلى الولايات المختلفة وإفهامها للناس باللغة المناسبة وتأكيد حصولها بوسائل مريحة، تم تكليف رئيس دائرة المستلزمات في وزارة الدفاع اللواء حيدر باشا بالذهاب إلى إزمير بعد أن منح زيادة على مرتبه وزود بالبدلات والمخصصات اللازمة لهذه المهمة. ومن اجل تأمين

عملية الإسكان وحاجات المهاجرين تم اتخاذ قرار إنشاء لجان إسكان المهاجرين في كل ولاية سيحلوا فيها لتحديد ما يلزمهم وتأمين كل احتياجاتهم بحسب التقارير التي يرفعها أعضاء هذه اللجان المختلفة. وقد تم صرف مبلغ ١٠٠ ألف ليرة عثمانية كدفعة اولى من الخزينة لتأمين مصاريف النقل والإسكان وتوزيع الإعاشات والمساعدات الغذائية للمهاجرين. كما ارسل الباب العالي رسائل متعددة إلى الموظفين الموكلين بعملية الإسكان لإتمام إنشاء بيوت المهاجرين قبل حلول فصل الشتاء وتأمين احتياجاتهم من الحبوب والمواشي باهتمام بالغ جدا ومن دون تقصير او تلكؤ.

صحيح أن الدولة العثمانية قد بذلت قصار جهدها في سبيل تأمين هجرة كريمة ومريحة للنازحين إلا أن الأمور لم تسر وفقاً لما أرادوه تماماً في مراحل التطبيق وهو ما يمكن معرفته من وثائق الأرشيف العثماني نفسها التي وثقت تفاصيل عملية الهجرة والإسكان وما رافقهما. إن عملية نقل القسم الأكبر من المهاجرين إلى مدينة إزمير وما تلى ذلك من انتظار ومكوث مؤقت هناك قبيل استكمال عملية انتقالهم الى اماكن اخرى كان سببا في إحداث الكثير من المشاكل بالنسبة لولاة الأمر في المدينة كما كانت سببا لحصول اضطرابات كثيرة بين المهاجرين وسكان المدينة. لقد كان قدوم اعداد كبيرة من المهاجرين الى ازمير سبباً في حصول أزمة إسكان مهمة في المدينة آنذاك. فمن ضمن ٢٠٠٠٠ مهاجر قدموا إلى إزمير، قررت السلطات العثمانية إسكان خمسة آلاف مهاجر من أصحاب الحرف والمهن في مدينة إزمير، بينما قررت توزيع خمسة عشر الف مهاجر إلى مناطق ونواحي تابعة للمدينة وعلى ضواحيها ، وذلك بعد إنشاء المناطق السكنية القادرة على استيعابهم بشكل كامل هناك. لقد تم فعلاً اسكان عدد كبير من المهاجرين في إزمير وضواحيها ، إلا أن كثرة اعداد المهاجرين وعدم قدرة المنطقة على استيعابهم بشكل كامل دفع بالسلطات العثمانية إلى اتخاذ قرار إسكانهم في مناطق أخرى تابعة لها في شمال افريقيا والشرق الأوسط. لقد تم نقل قسم كبير من المهاجرين الذين كانوا ينتظرون في إزمير إلى ولاية طرابلس الغرب في شمال أفريقيا بعد أن تعذر إسكانهم في المدينة وضواحيها. لقد دخل شمال أفريقيا في حكم العثمانيين منذ القرن السادس عشر وبقي كذلك حتى العام ١٩١٢. لقد كان قرب المنطقة من كريت وتشابه طبيعتها الجغرافية مع الجزيرة إضافة إلى رحابة المكان وقدرته على استيعاب أعداد كبيرة من المهاجرين سبباً مهماً دفع السلطات العثمانية إلى اتخاذ قرار إرسال عدد كبير منهم إلى هناك.

بناء على ما تقدم، فقد تم إرسال عدد كبير من المهاجرين إلى شمال أفريقيا خصوصا إلى بنغازي ودرنة ، وتم إسكان القسم الأكبر منهم في بنغازي وتوزيع الباقي في

المناطق المجاورة. ومن الواضح في الوثائق العثمانية أن هناك العديد من التقارير التي كانت تصف المنطقة الممتدة بين بنغازي ودرنة على اعتبارها مناطق رحبة ومؤاتية لاستقبال المهاجرين من جزيرة كريت. كما أن وجود أشجار الزيتون بوفرة في هذه المناطق دفع السلطات إلى اعتبارها مناطق مقبولة وجاذبة للمهاجرين الذين اعتادوا الإنشغال بالزيتون وصناعاته في كريت.

ومع أن شمال أفريقيا كانت بنظر السلطات العثمانية منطقة مناسبة تماما لإسكان المهاجرين إلا أن نفس التقييم لم يكن كذلك من قبل السكان الجدد. لقد كان وراء هذا الشاطئ البحري صحراء كبرى وعشائر تختلف جذرياً بتقاليدها وعاداتها وموروثاتها الثقافية والإجتماعية عن المهاجرين من جزيرة كريت، فكان ذلك سبب مهم في حصول الكثير من النزاعات والمشاكل بين الطائفتين الغريبتين.

لقد كان من أصعب ما واجهه المهاجرون إلى شمال أفريقيا هو نقص الغذاء وعدم توفر المأوى المناسب للعيش والسكن. ومع أن الدولة العثمانية حاولت تأمين كل مصاريف الإسكان والإعاشة، إلا أن تقصيراً ونقصاً في إنجاز ذلك بدا واضحاً لدرجة أن الدولة اعتمدت ارسال المساعدات العينية تارة والنقدية تارة اخرى لسد الإحتياجات وتسديد النفقات وتقليص النقص الحاصل في توفير ما يلزم. وفي مراسلات وزير البحرية في الدولة العثمانية يظهر طلبه تأمين مئة ألف كيس دقيق للمهاجرين في بنغازي عبر أقصر الطرق لإيصالها اليهم بالسرعة القصوى، كما يظهر عبر الوثائق ايضاً وقوع الخيار على باخرة تقل ٣٠٠ حاج من بيروت عبر ميناء طرابلس الغرب لتحميل الدقيق المطلوب.

إضافة إلى المساعدات الغذائية فقد اهتمت السلطات العثمانية بإيصال مساعدات أثاث وغيره إلى المهاجرين في بنغازي. وهكذا حصل المهاجرون المسلمون هناك على ٢٥٠٠ حذاء وألف لحاف وبطانية و٥٠٠ ثوب قماش أمريكي، كما تم تأمين مبلغ ٧٠ الف قرش لتغطية تكاليف هذه المساعدات من سنجق بنغازي وتم تسليمها إلى لجنة المهاجرين المسلمين المعتمدة في المنطقة.

إن الأرشيف العثماني مليء بالوثائق التي تتحدث عن مساعدات عينية ونقدية للمهاجرين، ولكنها ايضاً كانت تشير في الوقت عينه إلى الكثير من المشاكل والمعاناة التي يتكبدها المهاجرون هناك في سبيل إتمام عملية الإسكان المخطط لها في تلك المنطقة. لقد تحدثت هذه الوثائق عن تأخيرات في الدفع من قبل الخزينة كما تحدثت عن تأخير في التنفيذ رغم المبالغ والنفقات المصروفة. مثلاً، تتحدث الوثيقة المؤرخة في ٢٦ كانون ثاني ١٩٠٩ عن رسالة من وزارة الداخلية إلى وزارة المالية تطلب فيها ضرورة الإسراع في صرف مبلغ وقدره ٤٥٧٣٣٠ قرش لاستكمال عملية الإسكان في طرابلس.

إن مشكلة التواصل بين الحكم المركزي وولاة الأمور في المقاطعات هي إحدى الأسباب المهمة لمثل هذا التقصير، إلا أنه ومن دون أدنى شك فإن الدولة العثمانية كانت في الوقت نفسه تجابه معضلة إسكان ١٧ الف مهاجر من جزيرة كريت في أماكن مختلفة غير اولئك الذين انتقلوا إلى شمال أفريقيا. لذلك فقد كان من الطبيعي ان تقصر الحكومة العثمانية في تلبية احتياجات جميع المهاجرين وإسكانهم من دون وقوع أخطاء أو مشاكل. لقد كانت الدولة تكافئ كل الموظفين العاملين في عملية اسكان المهاجرين في تلك الفترة لتحفيزهم على اتمام اعمالهم على احسن وجه وصورة. ومن هذا الباب فقد تم ترقية السنوسي افندي، قائم مقام قضاء المرج في بنغازي، بسبب حسن أدائه ونجاحه في توزيع الأراضي بين المهاجرين.

على صعيد آخر، وبعيداً عن المساعدات النقدية والعينية التي قدمتها الدولة العثمانية للمهاجرين المسلمين من جزيرة كريت، فإن الحكومة المركزية اتخذت قراراً بإعفاء ابناء المهاجرين من الخدمة العسكرية لمدة ست سنوات من تاريخ خروجهم من الجزيرة. إن اتخاذ مثل هذا القرار يوضح تماماً نظرة الحكومة العثمانية لقضية التهجير وإدراكها التام لتحطم كثير من روابط العائلات المهاجرة وفقدانها لأبنائها وأقاربها خلال عملية الإنتقال والإسكان، فعمدت بالتالي إلى إعفاء هذه العائلات من الخدمة العسكرية لترك من بقي من الرجال بجانب أقربائهم ليعيلوهم ويساندوهم ويكونوا الى جانبهم، فكان هذا ايضاً ضرباً من ضروب المساعدة لمجتمع المهاجرين في بلاده الجديدة. ومن الأمثلة الأخرى على تعاطف الدولة مع شؤون المهاجرين إعفاؤهم من الرسوم المتوجبة على وكالات بيع العقارات والأملاك التي خلفوها وراءهم في كريت.

بعيداً عن شمال أفريقيا، تظهر الوثائق العثمانية بوضوح عملية إسكان المهاجرين المسلمين من كريت في أماكن متعددة في الشرق الأوسط ومنها طرابلس الشام. لقد كانت طرابلس الشام مدينة من أهم موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط وسنجقاً تابعاً لولاية الشام حتى العام ١٥٧٩، ثم ما لبثت أن تحولت الى ولاية عثمانية منفصلة وقائمة بذاتها بعد هذا التاريخ. أما بيروت فقد ألحقت بأراضي الدولة العثمانية في القرن السادس عشر خلال حملة السلطان سليم الأول إلى مصر والشرق، ثم تحولت إلى قضية دولية في أواسط القرن التاسع عشر بعد أن اصبحت فرنسا وبريطانيا دولتان أساسيتان تلعبان دورا محوريا في منطقة المتوسط وتتدخلان في مجريات أموره وجميع تفاصيله. واعتبارا من العام ١٨٦١ تم التوقيع على بروتوكول خاص اصبحت بموجبه بيروت ولاية عثمانية مرتبطة بالحكومة المركزية في الآستانة وتضم مدن اللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس وذلك حتى عام ١٩١٨.

كانت حلب من المناطق الأخرى التي دخلت تحت حكم العثمانيين في القرن السادس عشر بعد حملة الشرق التي قادها السلطان سليم. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبعد الترتيبات الجديدة لنظام الولايات أصبحت حلب ولاية عثمانية انضوت تحتها ابتداء من العام ١٨٦٦ مدن أورفة، مرعش، كوزان، أضنه، طرسوس وزور. وفي العام ١٨٦٩ تم إخراج أضنه، طرسوس وكوزان من حدود ولاية حلب التي بقيت على هذا الحال لغاية نهاية حكم العثمانيين في المنطقة. لقد اكتسبت كل من الشام وحلب وبيروت صفة ولاية عثمانية بعد ترتيبات العام ١٨٦٤ وكانت ولاية الشام تسمى ايضاً ولاية سوريا. كانت ولاية الشام او سوريا ولاية عثمانية لغاية العام ١٩١٨ وهي واحدة من مناطق الشرق الأوسط التي شهدت إسكان المهاجرين المسلمين من جزيرة كريت.

لقد تم نقل المهاجرين الى الشام بواسطة بواخر السعادة. ويلاحظ ان المهاجرين الذين قدموا الى ازمير قد تم اسكانهم على طول الشريط الساحلي ومحطات خط سكة الحديد. لذلك نرى المهاجرين قد حلوا على طول الخط الممتد بين مدينة اضنه وبيروت وتم اسكانهم بشكل كبير في المناطق الممتدة بين هاتين المدينتين. وقد وجدنا رسالة من الحكومة المركزية الى مديرية التجارة والنافعة وكذلك إلى مديرية النقل البحري تطالبهما باتخاذ التدابير اللازمة وتأمين المصاريف والنفقات لنقل المهاجرين براً وبحرا الى حلب وسوريا وبيروت. وقد تم فعلا نقل الف مهاجر الى بيروت والف آخر الى سوريا بينما تم نقل ٢٠٠٠ مهاجر الى ولاية حلب. وكانت كل الرسائل تطالب باجراء عملية النقل والإسكان بأسرع وقت ممكن. لقد عانت الحكومة المركزية من ازدياد اعمال الشغب والعنف في ازمير نتيجة انتقال اعداد كبير من المهاجرين اليها فكان لا بد من إنجاز عملية الإسكان وتوزيع المهاجرين وإقناعهم بالذهاب الى اماكن يرغبون بها بأنجع السبل وأنفعها لهم.

وفي ١٠ تموز ١٣١٥ تقويم رومي الموافق فيه ٢٢ تموز ١٨٩٩ تم نقل ١٢١٤ مهاجر من إزمير، كما تم لاحقاً نقل ٦٠٥ مهاجر من ولاية حمص الى طرابلس الشام في ايار ١٣١٦ الموافق للعام ١٩٠٠. لقد تم اسكان المهاجرين الحرفيين وأصحاب المهن في محلة مؤلفة من ١٣ خاناً في ضاحية من ضواحي طرابلس المدينة، بينما تم إسكان العاملين في الزراعة في قرية مؤلفة من ٢٠٨ منزلاً وعشرة دكاكين ومدرسة واحدة ومسجداً واحداً، إلا أن عملية الإسكان هذه رافقها الكثير من العسر في تأمين النفقات والمصاريف اللازمة لإنجاز المهمة حسب الخطة المرسومة لها.

لقد عانت الدولة العثمانية من مشاكل كثيرة وضائقة مالية خلال إنجازها عملية إسكان المهاجرين. كما أن الطبيعة الجغرافية لولاية بيروت لم تكن ملائمة تماما

لإنجاز عملية الإسكان هذه من دون مشاكل. في الحقيقة لم تكن معظم أراضي الدولة العثمانية في هذه البقعة الجغرافية ملائمة لعملية الإسكان، وقد تم تبيان ذلك في الكثير من الوثائق الحكومية. ذلك لأن معظم سكان هذه المنطقة كانوا يتعاطون التجارة، بينما كان قطاع الزراعة ضعيفاً نسبياً، كما أشارت التقارير إلى أن الأراضي غير المستصلحة من السكان المحليين هي في معظمها إما أراض صخرية أو تملؤها المستنقعات، لذلك يجب بذل الكثير من الجهد لاستصلاحها قبل ان تصبح قابلة للإسكان واستقبال المهاجرين. بناء على هذه المعطيات، تم اختيار اللاذقية مكاناً مناسبا لاستقبال جزء من المهاجرين إلى هذه المنطقة.

لقد كان الإختلاف الثقافي والإجتماعي بين المهاجرين الجدد والسكان المحليين جزءاً كبيرا من المشكلة أيضاً. ويمكن متابعة هذا الموضوع والوقوف على تفاصيله من الوثائق العثمانية المحفوظة في الأرشيف. مثال على ذلك الوثيقة المرسلة من وزارة الداخلية في الباب العالي إلى ولاة الأمر في بيروت والمؤرخة في ٢٥ شعبان ١٣٢٦ الموافق فيه ٢٢ ايلول ١٩٠٨ تحذرهم من مغبة أمر معاملة المهاجرين في طرابلس الشام من قبل الموظفين المحليين معاملة سيئة، وذلك بناء على عريضة قام بإرسالها باسم المهاجرين السيد إسماعيل وأصدقائه، وتطالبهم فيها بوضع حد لإزعاج المهاجرين والوقوف على جميع مطالبهم في أقرب وقت ممكن. على المقلب الآخر، فقد وردت شكوى في وثيقة مؤرخة في ١٣ شباط ١٣١٥ الموافق فيه ٢٥ شباط ١٩٠٠ تتحدث فيها عن تجاوزات بعض المهاجرين الذين حلوا في بعض المدارس والمساجد ووصفت بعض تصرفاتهم بمخالفة قواعد الشريعة الإسلامية والقيام بأعمال تخريبية، كما طالبت السلطات العثمانية باستعجال عملية اسكانهم ما أمكن. من المؤكد أن عملية الإسكان هذه قد استغرقت وقتاً طويلاً مما كان سبباً في معاناة كثير من المهاجرين كما كشفت المراسلات المتبادلة بين الحكومة المركزية وولاة الأمر في الولايات التي قدموا اليها. وفي الوثيقة المؤرخة في ٢٧ تشرين الثاني ١٣٢٧ رومي الموافق فيه ١٠ كانون اول ١٩١١ نجد الحديث عن عدم إنجاز إسكان المهاجرين الذين قدموا الى طرابلس الشام رغم مرور ١٢ سنة على استقدامهم إليها كما تبين استمرار معاناتهم للكثير من المشاكل والنواقص. لقد طالبت هذه المراسلة الحكومة المركزية بضرورة إيجاد الأراضي المناسبة وتأمين النفقات اللازمة لإتمام عملية الإسكان بالشكل المطلوب.

في الحقيقة، لقد عاشت الدولة العثمانية حركة هجرة كثيفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ليس من كريت وحدها فحسب ولكن من مختلف البلاد التي كانت تقع تحت سيطرتها، في وقت كانت الحكومة المركزية ترزح تحت وطأة عجز إقتصادي

ومالي كبير إضافة إلى كم هائل من الديون. كان لا بد لكل ذلك أن يكون له آثاره السلبية في إنجاز عملية إسكان المهاجرين القادمين من جزيرة كريت. وكان من أبرز ما عانى منه المهاجرون الكريتيون الى الشرق الأوسط هو تأخير دفع مستحقاتهم والنفقات المخصصة لهم في وقتها المفترض. مثال على ذلك، عدم دفع اليوميات المخصصة لأكثر من ألفي مهاجر من الذين تم استقدامهم إلى سوريا ومنها إلى بيروت لإسكانهم فيها، وما قاموا به من اعتراضات تقدموا بها الى الدوائر الحكومية المحلية إضافة الى الرسائل التي بعثوا بها الى الحكومة المركزية في الآستانة يصفون فيها مشاكلهم ويعرضون أوضاعهم المأساوية وما آلت إليه أمورهم. وقد أرسل والي بيروت إلى الحكومة المركزية رسالة يصف فيها ما قام به بعض المهاجرين العاطلين عن العمل الذين لم يحصلوا على يومياتهم ومرتباتهم من الدولة من أعمال شغب وإخلال بالسلم الأهلي بسبب فقرهم وعوزهم، وطالب بإرسال مبلغ وقدره ٥٦٠٠٠ قرشاً لتسديد جزء من هذه المخصصات وإعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي.

وبالرغم من كل الجهود المبذولة لاحتواء هذه الأزمة فإن الدولة بقيت عاجزة عن تسديد ما يلزم وصرف المبالغ اللازمة لإنجاز عملية الإسكان وما رافقها من احتياجات ومستلزمات. لقد ارسل والي بيروت برسالة الى وزارة المالية في الباب العالي يخبره فيها بتعذر إسكان كل المهاجرين الذين وصلوا الى طرابلس الشام سواء مباشرة أو من حمص، وأن مبلغاً وقدره ٩٠٠٠ ليرة عثمانية يجب تأمينها لتغطية مصاريف الإسكان بشكل كامل. إلا أن متابعة الوثائق العثمانية يظهر عجز الدولة عن تأمين هذا المبلغ بالكامل وبالتالي استمرار مشكلة الإسكان وجميع أنواع الصعوبات والنواقص التي رافقتها وبقاء قسم من المهاجرين في حالة معاناة وعوز. كان من الواضح عدم استطاعة الحكومة المركزية أن تغلق هذا الملف بالطريقة المناسبة.

النتيجة:

إن من الحقائق التي لا تقبل النقاش أن كل هجرة تحمل معها الكثير من الصعوبات والمشاكل والآلام. لقد أجبر المسلمون الكريتيون على مغادرة أوطانهم في مراحل متعددة من مراحل خسارة الدولة العثمانية وهزائمها العسكرية والسياسية طوال فترة القرن التاسع عشر. لقد بدأت المراحل الأولى للهجرة بشكل اختياري عندما وجد قسم من المسلمين عدم استطاعتهم أن يتحملوا ما يجري في كريت من قلاقل وثورات متعاقبة، واجبر القسم الثاني على الخروج قسراً بعد معارك عسكرية ومجازر داخل الجزيرة، وهناك قسم ثالث خرج بعد تسوية سياسية وقرار بمبادلة الروم في أراضي الجمهورية التركية بالمسلمين القاطنين في مناطق حكم اليونان. كان لكل هجرة

مأساتها وحكاياتها ومصاعبها، وكان كل كريتي مهاجر يروي قصص الآلام التي عاشها والتحديات التي واجهها في رحلته من وطنه الأم إلى أوطان جديدة. لقد خرج الكريتيون وهم يحملون معهم هويتهم الإسلامية وتبعيتهم العثمانية فدفعوا ثمن انتمائهم لذلك بأن أخرجوا من ديارهم وأوطانهم. على مقلب آخر، فقد خرج الكريتيون المسلمون يحملون معهم لغتهم الأم التي كانت تتعارض ظاهرياً مع هويتهم الإسلامية والعثمانية. إن من الطبيعي أن يكون هناك أناس لا يتكلمون التركية من العرب والكرد وغيرهم من المسلمين الذين يتبعون بمواطنيتهم للدولة العثمانية، ولكن اللغة اليونانية التي كان يتكلمها المهاجرون المسلمون من كريت كانت سببا في عدم تقبل قسم كبير من السكان المحليين لهم واستبعادهم والتشكيك بهويتهم وحتى بإسلامهم في المناطق التي هاجروا اليها وخصوصا في الأناضول.

لقد استطاعت القلاقل والمشاكل المتعاقبة في كريت طوال القرن التاسع عشر والتي توجت بأعنف الأحداث في أواخر القرن المذكور أن تفرق فروع شجرة واحدة كانت أغصانها متشابكة مع بعضها البعض لمئات السنين. لقد هاجر المسلمون الكريتيون مرغمين، ليبتعدوا عن جيرانهم ووطنهم الذي اعتادوا أعرافه وتقاليده إلى مناطق أخرى في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، فحلوا بين شعوب هذه المناطق ليواجهوا ضروباً من العذاب والآلام لأنهم كانوا غرباء عن هذه المناطق في كل شيء تقريبا وبكل ما تعنيه هذه الكلمة. لقد أسكنوا في مناطق لا يعرفون جغرافيتها ولا يتقنوا لغة أهلها ولا عاداتهم أو تقاليدهم، فكان من الطبيعي أن يعيشوا فيها كالغرباء ويكابدوا فيها المواجع والآلام.

ومع أن الموضوع خارج عن إطار هذا البحث، إلا أنه من المثير للإهتمام أن نعرف تفاصيل وحكايات المهاجرين المسلمين من جزيرة كريت الذين استوطنوا أراض أصبحت خارج حدود الجمهورية التركية في القرن العشرين فنعلم ما الذي حل بهم وكيف استمرت حياتهم وما هي أبرز المشاكل التي واجهوها. وسواء أكان ذلك في شمال أفريقيا أو في بلاد المتوسط، يجب علينا أن نبحث عبر حكايات الناس ورواياتهم عن تفاصيل هجرة آبائهم وأجدادهم إلى الوطن الجديد. أما المسلمون الذين بقوا ضمن أراضي اليونان، فنحن نعلم أنه تمت مبادلتهم بالسكان الروم مع الجمهورية التركية فانتقلوا إلى أراضي الدولة التركية وحازوا على جنسيتها. إن الوقوف على تفاصيل المبادلة ومعرفة كل حكاياتها كان أمراً يسيراً نسبياً إذا ما قورن بحكايات المهاجرين، رغم أنهم تشاركوا نفس القدر ونفس المعاناة والآلام.

وتبقى قصص المهاجرين إلى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تنتظر جهدنا نحن الباحثين والمؤرخين لوضع النقاط على الحروف والإضاءة على هذا الجانب المنسي والمهم من التاريخ.

المسلمون الكريتيون في الشتات... قضية عرق وهوية

د. تونجاي أرجان سابتشي أوغلو [١]

مقدمة

شهدت جزيرة كريت خلال القرن التاسع عشر الكثير من الصراعات بين الشعبين التركي واليوناني، فكانت سبباً في حصول حملات هجرة متلاحقة للمسلمين الذين عاشوا فيها. إن حركتي الهجرة الأخيرتين كانتا سبباً في إعادة تشكيل جزيرة كريت من الناحية الثقافية والديموغرافية بشكل كامل. ويمكن القول أن أهم هجرة حصلت من كريت كانت تلك التي جرت في نهاية القرن التاسع عشر بشكل جماعي إلى كل من الأناضول والشرق الأوسط، وشمال أفريقيا. لذلك نجد اليوم تجمعات للمهاجرين الكريتيين المسلمين في كل من لبنان وسوريا وليبيا، بل حتى في تركيا واليونان.

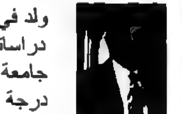
يقوم هذا البحث بدراسة ماهية هذه التجمعات المنتشرة في مختلف تلك الدول، وهل يمكن ان نطلق عليها صفة الشتات أم لا، كما تهدف إلى وضع مفهوم واضح للهوية العرقية والإنتماء لدى الجيل الجديد من الشباب من أحفاد المهاجرين المسلمين من جزيرة كريت.

مقدمة

ذهبت في العام ٢٠١١ إلى إحدى القرى التي تقع على بحر إيجه، وكان أكثرية أهلها من مهاجري جزيرة كريت ودول البلقان. كان الهدف هو المشاركة في مؤتمر تاريخي يتحدث عن هجرة المسلمين من القارة الأوروبية. بعد أن ألقيت محاضرتي، تقدم إلي أحد المسنين وهو يمسك بيد شاب يدفعه باتجاهي ليطرح سؤالاً أو مشاركة. كان

---

[١] **أستذ مساعد بروفسور في التاريخ**



ولد في اسطنبول عام ١٩٧٦. درس التاريخ في كلية الأداب التابعة لجامعة الشرق الأوسط في أنقرة. تابع دراساته في قسم العلوم الشعبية والفولكلورية التابع لمعهد العلوم الإجتماعية في جامعة أنقرة ثم انتقل الى جامعة عدنان مندريس قسم التاريخ التابع لمعهد العلوم الإجتماعية حيث اكمل دراسته ونال شهادتين في درجة ماجستير في الوقت نفسه.

حاز على درجة الدكتوراه من جامعة انقرة معهد العلوم الإجتماعية بعد مناقشته لأطروحة عنوانها: التحليل التاريخي الإثني لجماعة المهاجرين من جزيرة كريت الى الأناضول، ومثال منطقة داوودلار.

يعمل مدرساً في جامعة عدنان مندريس، كلية الإدارة والإقتصاد حتى الساعة.

له مؤلفات وأبحاث كثيرة تتعلق بالحقبة النهائية للإمبراطورية العثمانية وقوافل المهاجرين في عهد الجمهورية التركية، الدولة القومية، التاريخ الثقافي الإجتماعي في الجمهورية التركية، والتاريخ المحلي.

واضحاً من شكله الخارجي وبنيته ولكنته التركية أنه من جذور كريتية. بدأ حديثه إلي بكل احترام وهو يشكرني على المحاضرة التي ألقيتها والتي نالت منه الإعجاب والاستحسان، ثم طلب مني بأسلوب عاطفي: "أخبره يا أستاذي، أخبر حفيدي هذا، إنه يصر على أنه يوناني! هو لا يفهمني أبداً! قل له: هل نحن أتراك أو يونانيون؟ أخبره يا استاذي أرجوك!".

لا تحمل هذه الدراسة في طياتها إجابة محددة على هذا التساؤل. هي لا تحمل إجابة من الناحية الثقافية أو الإجتماعية على الأقل، ولا ندّعي بعد الدراسة والبحث أنها ستعلن عن اسم عرق واحد - إن كان موجوداً أصلاً - لأي مجتمع من مجتمعات المهاجرين الكريتيين. نحن نسعى من خلال هذا البحث أن نحلل المجتمعات الكريتية التي انتشرت في العديد من دول العالم، وهل هي مجتمعات يمكن أن ينطبق عليها تسمية الشتات أم لا. هدفنا أيضاً هو تسليط الضوء على ما يشعر به المهاجرون الكريتيون الذين سكنوا في تركيا من إنتماء قومي أو عرقي أو فكري، وكذلك نظرتهم إلى هويتهم وبأي شكل من الأشكال يعرفون به عن أنفسهم. يعتمد هذا البحث على اللقاءات التي تمت مع المهاجرين في المدن والقرى في الأناضول، وعلى الإنطباعات التي خرجنا بها والمشاهدات التي رأيناها في المناطق التي قمنا بزيارتها. معظم هذه اللقاءات تمت في محلة (إحسانية) وقرى (هيبيللي، شكرانية، ميليميز) التابعة كلها لولاية مرسين، وكذلك في مدينة إزمير، وقرية تابعة لمحافظة تيرا (تورغوتلو)، وجزيرة جوندا التابعة لمدينة أيفاليك في باليكسير، ومحافظتي سوكا ونازيللي في مدينة أيدن التي قمت فيها بدراسة الدكتوراه، إضافة إلى منطقتي كوش أداسي وداوودلر التي أجريت فيها الكثير من أبحاثي. أما بالنسبة لمهاجري كريت الذين يسكنون في كل من اليونان ولبنان وسوريا ومصر وليبيا، فإن تقييمي لهم لم يكن من خلال أبحاث قمت بها في هذه الدول، وإنما نتيجة لقاءات عديدة مع أفراد قدموا من هذه الأماكن وسكنوا في تركيا أو قاموا بزيارتها لأسباب أخرى. ولا بد أن أذكر أنني استفدت من تقنيات العصر الحديث لإجراء مقابلات عبر الانترنت مع أشخاص يسكنون حتى الآن في تلك البلاد. وقد أخذت بعين الاعتبار الوضع السياسي العام وبنية المجتمع في هذه الدول لتقييم أحوال المهاجرين ونظرتهم إلى هويتهم وانتمائهم.

بعد نبذة قصيرة عن جزيرة كريت والهجرة منها، سنحاول الإجابة عن تساؤلات تقع تحت عناوين ثلاثة، هي التالية:

أ- بما أن هناك مهاجرون كريتيون يسكنون اليوم في العديد من الدول، فهل بالإمكان أن نتحدث عن شتات كريتي مسلم؟ وإن كان كذلك، فما هي النوعية

الديموغرافية لهذا الشتات في الدول التي يوجد فيها، وما هي نقاط الإلتقاء والإختلاف الموجودة في هذه المجتمعات مع المجتمعات الأخرى الموجودة في تلك الدول؟

ب- ما هي الأماكن التي يسكنها المهاجرون الكريتيون في تركيا، وهل يمكن الحديث عن انصهار هؤلاء مع المجتمعات الأصلية لهذه الدولة؟

ج- كيف يجب أن ننظر إلى مسألة الإنتماء المتناقض في النسب التركي/اليوناني لهذه المجتمعات، وكيف يجب علينا أن نتعامل مع هذه المسألة؟ وهل من الصحيح أن نبحث اليوم عن إجابة لتساؤلاتنا من منطلق عرقي أو مفهوم انتساب قومي؟ وما هي القيم والأسس التي يجب ان نبني عليها في محاولاتنا للإجابة على هذه التساؤلات الباقية من الماضي إلى تاريخنا المعاصر...

نبذة تاريخية عن الهجرة من جزيرة كريت

دخلت جزيرة كريت في الحكم التركي عام ١٦٦٩م، ثم أتبعت بعد حروب البلقان إلى دولة اليونان بناءً على إتفاق لندن عام ١٩١٢م.

في الأعوام ١٨٢١-٢٩، ١٨٥٨، ١٨٩٦-٩٨، أي خلال القرن التاسع عشر بأكمله، قام سكان الجزيرة من الروم بأعمال شغب وثورات متتالية كانت سبباً في انعدام النظام والقانون في الجزيرة. وبسبب خوف المسلمين على ارواحهم ومستقبل اولادهم في كريت، فقد أضطروا إلى ترك الأماكن التي كانوا يعيشون فيها تباعاً خلال فترات متتالية، فتغيرت البنية الديموغرافية في الجزيرة لصالح المسيحيين الأورثوذوكس. وعلى سبيل المثال، عندما كان عدد سكان الجزيرة عام ١٨٧٢م هو ٢١٠ آلاف نسمة، كان عدد المسلمين هو ٩٠ ألف نسمة، بينما في العام ١٨٩٤م إنخفض عدد المسلمين إلى ٧٤ ألف نسمة من أصل ٢٥٠ ألفاً كانوا يعيشون في الجزيرة. أما في العام ١٩٠٠م فقد انخفض عدد المسلمين إلى ٣٣ ألفاً و ٤٩٦ نسمة من أصل ٣٠٢ ألف نسمة. وفي العام ١٩١١م كان عدد المسلمين في جزيرة كريت هو ٢٧٨٥٢ نسمة من أصل ٣٥٥ ألف نسمة. تبين هذه الإحصاءات المتتالية أن عدد المسلمين في جزيرة كريت كان يتناقص بسرعة كبيرة أمام أعداد المسيحيين الذين صاروا مع مرور الزمن يشكلون الأكثرية المطلقة في الجزيرة. لم يهاجر المسلمون من كريت خلال فترة الحكم العثماني فقط، بل استمرت هجرتهم إلى فترة ما بعد إعلان الجمهورية التركية أيضاً. أما ما بقي من المسلمين في جزيرة كريت (ما عدا من كان يمتلك جواز سفر فرنسي أو إيطالي)، والمقدر عددهم بحوالي ٢٢ ألف و ٨١٢ نسمة، فقد تركوا الجزيرة نهائياً بعد اتفاقية النفوس الإلزامية التي وقعت عليها

كلاً من الحكومة التركية واليونانية في ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٣م من خلال مباحثات لوزان، فانتهى بذلك الوجود الإسلامي نهائياً وبشكل رسمي في جزيرة كريت.

كانت أكبر هذه الهجرات عدداً وأكثرها أهمية من ناحية تحديد المستقبل السياسي للجزيرة قد حصل نتيجة لأحداث عرفت تاريخياً باسم "أحداث قنديه" التي وقعت عام ١٨٩٨م، وهاجر بعدها قرابة ٤٠ ألف كريتي مسلم من الجزيرة نحو مناطق عثمانية أخرى اعتبرت أكثر أمناً واستقراراً. لقد وصل ما يزيد عن ٣٠ ألف مهاجر من أصل ٤٠ ألف بشكل عام إلى مرافئ مدينة إزمير خلال مدة زمنية لا تتعدى السنتان، ونقلوا منها بعد ذلك إلى مناطق أخرى في الأناضول. أما من بقي منهم، فقد هاجروا إلى مناطق عثمانية أخرى هي اليوم لبنان، سوريا، ليبيا والجزر التابعة حالياً لليونان وأسكنوا هناك، كما هاجر عدد قليل منهم إلى مصر.

شتات الكريتيين المسلمين

نتيجة للأحداث والصراعات التي حصلت في جزيرة كريت، بدأ المسلمون يهاجرون منها بشكل متقطع منذ مطلع القرن التاسع عشر. إلا أن حركة الهجرة التي حصلت في نهاية هذا القرن كانت لها دلالاتها المختلفة لأنها كانت تحمل أهمية وبعداً استراتيجياً لمستقبل الوجود الإسلامي كله في المنطقة. لم تكن هذه الهجرة هي الأكبر من ناحية الحجم والعدد فحسب، ولكنها كانت أيضاً سبباً في تشتت مسلمي جزيرة كريت إلى العديد من البلاد والأماكن الجغرافية المختلفة. لقد وصل معظم هؤلاء المهاجرين إلى الأناضول، ومن هناك تفرقوا إلى مختلف الولايات العثمانية التي أصبح معظمها داخل حدود الجمهورية التركية لاحقاً. إلا أن قسماً من المهاجرين قد حلوا في ولايات كانت عثمانية ولكنها أصبحت اليوم خارج الأراضي التركية مثل طرابلس - لبنان، والحميدية - سوريا، وبنغازي - ليبيا، وجزر بحر إيجه التابعة لليونان في يومنا الحاضر. كما هاجر قسم منهم أيضاً إلى مصر وكانت وقتها تحت حكم الإنكليز. لقد تم إنشاء القرى للمهاجرين في معظم الأماكن التي وصلوا اليها، كما بنيت لهم الدور والخانات، ومنحوا الأراضي والحقول ليزرعوها. كما تم توزيع البذور والأدوات الزراعية ليتمكنوا من زراعة هذه الحقول فيقتاتوا منها ويعيلوا بها أهلهم وذويهم. ومن أجل تسهيل عملية تأقلمهم مع هذه الأماكن الجديدة، فقد تم إعفاء الرجال من الضريبة والخدمة العسكرية مدة من الزمن، وجعلت مخصصات أخرى للنساء والأطفال. ومع ذلك كله، فلا يمكن لأحد أن يدعي بأن جميع هذه الأمور قد تم تطبيقها بشكل تام وكامل في شتى الممالك والأماكن العثمانية التي وصل اليها المهاجرون. ففي حين أنه قد أنشئت فعلاً بعض القرى في أماكن معينة، إلا أن قسماً من المهاجرين قد اضطر إلى السكن بشكل بائس في

أماكن سيئة لم يتسنى لهم أن ينالوا أفضل منها. ومنهم من اشتكى من تعديات تعرضوا لها من قبل بعض المحليين في الأراضي والدور التي خصصت لهم في تلك البلاد. ولكن ومن المؤكد أن العثمانيين قد بذلوا قصار جهدهم للتعاطي مع هذه المعضلة الكبرى، وحاولوا تأمين كافة وسائل الدعم المتوفرة في تلك الأثناء للمهاجرين ضمن حدود قدرتهم والظروف المحيطة بهم في ذلك العصر المنصرم. ولكن، وبسبب حصول هذه الهجرة بشكل فجائي، وبسبب الأعداد الكبيرة للمهاجرين، وبسبب ضيق إمكانيات الدولة المادية ونقص الموظفين المؤهلين والمدربين على القيام بعملية الإسكان الضخمة هذه، إضافة إلى أن حملات الهجرة لم تكن تقتصر وقتها على المهاجرين من جزيرة كريت وحدها، وإنما تعدتها لتطال معظم المسلمين في العديد من المناطق الأخرى كالبوسنة والهرسك وشبه جزيرة القرم والقفقاس، فأدى كل ذلك إلى خلل في تطبيق خطط الإغاثة المقررة، كما واجهت هذه الخطط العديد من العوائق والموانع التي حالت دون تنفيذها بشكل كامل.

ولأسباب مختلفة، يتواجد المهاجرون الكريتون اليوم في العديد من الدول والبلاد المختلفة بسبب تكرار الهجرة الداخلية والخارجية كما يبدو من الأماكن التي تم إسكانهم فيها أولاً. وإذا أردنا تفصيل ذلك، فإن مهاجري جزيرة كريت في لبنان مثلاً والذين يصل عددهم اليوم إلى ٨-١٠ آلاف نسمة، قد أسكنوا سابقاً في الميناء والتبانة في حي المهاجرين المعروف هناك. ولكن هذا العدد قد تعرض أيضاً للتضاؤل بسبب الهجرة الجديدة التي حصلت، فكان على رأسها الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية (كعائلة مراداكي والمهاجر التي تسكن اليوم في ولاية متشيغين)، كذلك إلى أوستراليا بل حتى إلى إحدى جزر هولندا يقال لها "بونير". يعتبر لبنان بلداً مختلفاً عن سائر الدول الأخرى التي هاجر إليها الكريتيون المسلمون. فهو بلد متعدد الثقافات والأديان والمذاهب، وفيه سياسة خاصة تحمي هذه التعددية، وهكذا فإن مهاجري كريت في لبنان قد تمكنوا بسهولة من التعريف بأنفسهم مقارنة بأمثالهم في الدول الأخرى. أما في سوريا، فقد أسكن المهاجرون الكريتيون في الجنوب الغربي للساحل السوري. وفي حين أن الأرشيف العثماني يؤكد هجرة أهالي كريت إلى ولاية سوريا وبالتحديد إلى كل من الشام وحلب وقرية الحميدية، إلا أننا لم نتمكن اليوم من تأكيد وجود المهاجرين الكريتيين في حلب والشام. ونعتقد بأن من تم إسكانه من المهاجرين في هذه المناطق قد عاد بعد ذلك إلى مناطق الأناضول في تركيا. أما قرية الحميدية التي يشكل المهاجرون الكريتيون حوالي ٥ آلاف نسمة من أصل ٨ آلاف نسمة تعيش في هذه القرية، فهي تعتبر اليوم المكان الوحيد الذي يسكنه المهاجرون في سوريا. ويبقى مصيرهم في المستقبل

مجهولاً بسبب ما تعيشه البلاد اليوم من حرب أهلية مؤلمة. لقد كانت المعلومات حول هذه المجموعة من المهاجرين هي الأقل نسبياً قياساً على أمثالها في الدول الأخرى، وذلك بسبب الحكم الفرنسي للمنطقة.

لقد كانت ليبيا هي البلد الذي هاجر إليه أكبر عدد من المهاجرين بعد تركيا طبعاً. وكان السبب الأبرز في ذلك هو قرب هذه المنطقة جغرافياً من جزيرة كريت. وعلى الرغم من أن العدد الحقيقي هو غير معروف تماماً، إلا أن وثائق الأرشيف العثماني تتحدث عن أعداد كبيرة من المهاجرين الذين تم إسكانهم وتقديم المساعدات إليهم من منازل وحقول وحدائق، مما يجعلهم نظرياً الأكثر حظاً بين المهاجرين في تلقي هذه الخدمات. ولكن، وبعد أن تمت عملية الإسكان هذه، تعرض هؤلاء المهاجرين إلى العديد من الصدامات الجدية مع السكان الأصليين خصوصاً فيما يتعلق بحق ملكية هذه الأراضي الممنوحة من الدولة العثمانية. وفي يومنا الحاضر، يسكن في ليبيا وفي مدينة بنغازي تحديداً حوالي ٥ آلاف مهاجر، وفي درنه وسوسه حوالي ٣ إلى ٥ آلاف مهاجر بعدد إجمالي قد يقارب العشرة آلاف كريتي مهاجر.

بعيداً عن البلاد العربية، فقد أسكن جزء من المهاجرين الكريتيين المسلمين في العديد من الجزر التي أصبحت في يومنا هذا تابعة لدولة اليونان كجزيرة رودوس وإستانكوي. وبسبب قرب مسافة هذه الجزر من جزيرة كريت، فإن التشابه في حال الطقس وأنواع الأعشاب والمزروعات قد سهل تأقلم المهاجرين مع هذه الأماكن بشكل كبير وملحوظ. إلا ان هذه الجزر كانت لها قدرة محدودة على استيعاب المهاجرين الجدد، . فبقيت أعداد المهاجرين الذين استوطنوها محدودة وقليلة. وكغيرها من قوافل المهاجرين الأخرى، وفي بداية القرن العشرين أيضاً، فقد تم إنشاء القرى في كل من جزيرتي رودوس وإستانكوي لاستقبال المهاجرين. ومع حلول العام ١٩١١م، احتلت هذه الجزر من قبل الإيطاليين، فخرجت بذلك من الحكم العثماني، ومن ثم أتبعت بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليونان في العام ١٩٤٦م. وفي كلتا الجزيرتين، حاز أبناء المجتمع المسلم الذي يتحدث باللغة التركية مع المهاجرين من جزيرة كريت على الجنسية اليونانية فأصبحوا مواطنين يونانيين. تميز مهاجروا جزيرة كريت في كلتا الجزيرتين بكونهم فضلوا التصاهر مع إخوانهم المسلمين الأتراك المقيمين هناك ولم يكتفوا بالتزاوج فيما بينهم. وقد تضاءل عدد السكان المسلمين اليوم في هاتين الجزيرتين ليصل اليوم إلى ما يقل عن الألف نسمة. والسبب يعود إلى كثرة الأزمات وتعاقبها بين تركيا واليونان مما أثر سلباً على المجتمع التركي الذي يعيش هناك، فهاجر معظمهم إلى داخل الأراضي التركية. لقد آثر الكريتيون السكن على سواحل بحر إيجه في كل من مدينتي بودروم

وإزمير، وسكنوا أيضاً في ولاية آيدن في محافظة نازيللي واشتغل بعضهم في منطقة مصنع سوميربنك التي تعتبر أعمق المناطق التي سكنها المهاجرون في مناطق سواحل بحر إيجه.

ومن الدول التي وصل اليها المهاجرون هي مصر، ولكن ذلك لم يكن أبداً ضمن سياسة الإسكان التي اتبعتها الدولة العثمانية، كما أنها لم تتم بتشجيع من الإدارة المصرية. ويرجع السبب في تفضيل بعض الكريتيين أن يهاجروا إلى مصر التابعة آنذاك لحكم بريطانيا إلى عدة أسباب: الأول يكمن في رفض الإدارة العثمانية لحملات الهجرة الأولى التي قام بها بعض المهاجرين من تلقاء أنفسهم، وأدت بالتالي إلى رفض العثمانيين استقبال السفن المحملة بهم، مما دفعهم إلى القبول بالتوجه الى اي مكان آخر يستطيعون النزول فيه، فكانت الإسكندرية هي إحدى تلك الموانيء وأهمها. كما أن هناك سبب آخر وراء هذه الهجرة الإختيارية يكمن في قوة العلاقة التجارية التي كانت قائمة وقتها بين مصر وكريت، وما رافق ذلك من سهولة حركة النقل والمواصلات بين المكانين. ومن اضطر لترك بيته في كريت واللجوء إلى أي سفينة موجودة في الميناء هناك كان سيصل دون أدنى شك إلى أحد المرافئ الثلاثة وهي إزمير أولاً، يتبعها ميناء إسطنبول والإسكندرية. لقد ذهب المهاجرون إلى مصر بشكل متفرق وغير منظم، ولذلك بقيت أعدادهم مجهولة مثل معظم المعلومات التي تتعلق بهم. لم يكن أي دعم حكومي عثماني (منازل، أراض) لهذا النوع من المهاجرين، ولكن الجدير بالذكر أن العديد منهم قد هاجر بعد ذلك إلى تركيا بشكل من الأشكال.

إذا كان هناك كريتيون مسلمون في العديد من الدول والأماكن الجغرافية المختلفة والمتباعدة عن بعضها البعض، فمن الطبيعي أن نتساءل عن إمكانية وصف حال هذا المجتمع المهاجر بصفة "الشتات". إن الخاصية الأساسية لمجتمع الشتات تكمن في الإنفصال الجبري للناس عن أوطانهم والمكان الذي ولدوا فيه. وبالتالي فلا يمكن الحديث عن الشتات من دون أن يكون هناك وطن أساسي، وهكذا تكون القاعدة حتماً أن الانفصال عن الوطن هو شرط الشتات سواء أكان هناك رغبة في العودة إليه أم لا. نعود الى النموذج الكريتي فنقول أنه بعد عملية الخروج الأولى وما تبعها من إسكان في مناطق أخرى، كانت هناك رغبة حقيقية عند الجيل الأول بالعودة إلى جزيرة كريت. وقد بدا ذلك واضحاً من خلال إظهار هذا الجيل حنينه الى الوطن الأم، وتكراره لما عايشه في جزيرة كريت من جرائم مختلفة واغتصاب وإكراه على ترك بيته وأرضه، وروايته المتكررة لقصص الهجرة لأولاده وأحفاده حتى تناقلتها الألسن جيلاً بعد جيل. هكذا أصبحت كريت "أسطورة وطن" عند أبناء المهاجرين وأحفادهم. ولكن عملية العودة إلى الوطن هذا هي أمر غير قابل للتحقيق من الناحية السياسية والعملية. وسواء

كانت الشعوب المتعرضة للشتات تمتلك فرصة العودة إلى وطنها أو لا ، ولكون هذه المجتمعات هي بحاجة إلى التعلق بمكان مطابق للوطن الأم، فإننا سنسأل بداهة: ما هو هذا الوطن بالنسبة إلى الكريتيين المهاجرين؟ إنه حتماً "تركيا".

لقد تحقق المجرى التاريخي في الدول الستة التي سكن فيها المهاجرون الكريتيون وهي تركيا ولبنان وسوريا وليبيا واليونان ومصر بشكل مختلف بين البلد والآخر. ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى التكوين السياسي المختلف لهذه الدول وإلى اتباعها سياسات مختلفة ووجود ثقافات متعددة فيها واحتواء كل منها على وسط ثقافي خاص بها. وهكذا لم يعد ممكناً أن نتحدث اليوم عن خصائص ثقافية وسياسية ووطنية مشتركة بين المهاجرين المسلمين الذين يعيشون في الشتات، بل أصبحت كل مجموعة منهم تحمل خصائص مختلفة ومتنوعة بالرغم من أنها مرت جميعها بنفس التجارب التاريخية وخرجت من نفس المنطقة الجغرافية. لقد بقيت هويتهم جميعاً هي الهوية الكريتية التي يتفق جميعهم على الإنتماء إليها. ولكن هذه الهوية الكريتية بحد ذاتها قد تعرضت إلى التهميش في كل وسط عاش فيه مجتمع مهاجر خلال فترة استمرت مدة مئة وخمسين سنة. إنهم - أي المهاجرون المسلمون - بالنسبة لأورثوذوكس كريت هم ذاك "الآخر" الذي يتكلم لغتهم ويلبس ثيابهم ويشرب مثلهم، بل يغني ويرقص فولكلورهم ولكنه لا "يؤمن" مثلهم ولا يدين بدينهم. لقد كان من سوء حظ هؤلاء المهاجرين أن التهميش والنظرة إليه على أنه ذاك "الآخر" قد استمر في كافة الدول التي استقروا فيها في الأناضول ولبنان وسوريا وليبيا وغيرها من الدول ولكن لأسباب مختلفة هذه المرة.

الكريتيون المهاجرون في تركيا: من الهجرة إلى المبادلة

إنطلاقاً من زمان ونوع الهجرة من الجزيرة، يمكن تصنيف المسلمين الذين تركوا جزيرة كريت وانتقلوا إلى تركيا إلى نوعين أساسيين هما "المهاجرون" و"المبادلون". اما المهاجرون فهم أولئك الذين اضطروا للهجرة خلال مرحلة الحرب وفترة الصرعات الداخلية والثورات المستعرة وما رافقها من ضغوطات ومضايقات انتهت بحصول الهجرة القسرية والجماعية. أما "المبادلون" فهم الذين هاجروا نتيجة الاتفاقيات التي تمت بين الدول خلال فترة السلم. ولهذا نجد أن مهاجري كريت الأوائل الذين سكنوا في تركيا قبل اتفاقية المبادلة يلقبون في المجتمع التركي بـ "الكريتيون القديمون أو الكريتيون المهاجرون أو السلطانيون (نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني)، أما من قدم بعد ذلك وبموجب معاهدة لوزان فيلقبون بـ "المبادلون".

بعد أن وصلت الإمبرطورية العثمانية إلى مرحلة التفكك، تدفق المسلمون من كل الأماكن التي كانت تقتطع من جسد الدولة العثمانية باتجاه المناطق الأخرى التابعة

للإدارة الإسلامية. لقد كانت هذه الحركة سبباً في بداية ما عرف تاريخياً باسم "الهجرة". فالـ"مهاجر" وبحسب التاريخ العثماني هو مرتبط حكماً بمرحلة تفكك الدولة وانهيارها بعد ذلك، وهو بالتالي إسم أطلق على المهاجرين المسلمين الذي الحقوا بعملية الإسكان بعد أن تركوا الأماكن التي كانوا يعيشون فيها إلى غير رجعة واستقروا في الأراضي العثمانية الأخرى لأنها تابعة لحكم دولة إسلامية. نجد أيضاً من هاجر بسبب ضغوطات مورست بحقهم أو بسبب صراعات دامية في كل من القفقاس والقرم ودول البلقان بشكل خاص. أما "المبادل" فهو من خضع لعملية تبديل المسكن وتغيير الشيء بشيء آخر، والإحضار من مكان إلى مكان آخر وهكذا. إنها مصطلح سياسي بعيد تماماً عن معنى الكلمة البحت. إنها تسمية تكونت من خلال التهجير الممنهج بحسب النية السياسية في إعادة رسم الجغرافيا بحيث يعيش الناس في المكان الذي يمتلكون فيها الأكثرية ، أي إجبار الشعوب التي لم تعد قابلة لإمكانية استمرارها في التعايش مع بعضها البعض في دول البلقان مثلاً بسبب ما حصل بينهم من صراعات عرقية ودينية بشكل مستمر. ومع نجاح تركيا في إنهاء الإحتلال اليوناني وإعلان الجمهورية، وخلال محادثات لوزان في المرحلة التي لاقى فيها هذا التكوين السياسي الجديد قبولاً له على الصعيد العالمي، وبناءً للقرار المشترك الذي تم الإتفاق عليه بين الوفدين التركي واليوناني، تم الإتفاق على إرسال السكان الأورثوذوكس الذين يسكنون داخل الأراضي التركية (ما عدا إسطنبول، غوكتشي أدا و وبوزجا أدا) إلى اليونان. وكذلك الأمر، تم إرسال الشعب المسلم الذي كان يعيش في اليونان (ما عدا غرب تراقيا) إلى تركيا. وهكذا، وخلال عملية الهجرة الإجبارية التي شملت ما مجموعه مليون ومئتي ألف شخص تقريباً من كلا الطرفين، وبناءً على إتفاقية المبادلة السكانية الإجبارية، تم تهجير من بقي من الشعب المسلم في جزيرة كريت نحو الأراضي التركية. وبمقارنة ذلك مع سابقاتها من حملات التهجير، فقد هاجر إلى تركيا في هذه المرحلة فئة أبناء المدن والنبلاء. لقد كانت مجموعة السكان المهاجرة هذه تختلف عن غيرها من خلال قدراتها الإنتاجية والمستوى التعليمي وما شابه ذلك، فكان لقدوم المبادلين نوع من الغذاء للثقافة والهوية الكريتية لمن سبقهم من المهاجرين إلى تركيا. وكما ازداد عدد الكريتيين بسبب عملية المبادلة السكانية هذه، ازداد معها عدد المناطق التي تم إسكانهم فيها أيضاً.

لقد وصل إلى الأراضي التركية قرابة ٢٠-٣٠ ألف مهاجر في نهاية القرن التاسع عشر، وحوالي عشرة آلاف مهاجر في المرحلة التي ألحقت فيها الجزيرة إلى اليونان ما بين العام ١٩١٣-١٩١٨، ومن خلال اتفاقية المبادلة انتقل حوالي ٣٠ ألف شخص بعد العام

١٩٢٣م إلى اراضي الجمهورية التركية. وفي يومنا الحاضر، يعيش الكريتيون في مساحة واسعة جداً بدءاً من جنوبي منطقة مرمرة وصولاً إلى ضفاف بحر إيجة والبحر الأبيض المتوسط.ولكن هذه الأماكن ليست هي نفسها الأماكن التي تم إسكانهم فيها في بداية الأمر.

لقد أسكن "الكريتيون الأوائل" الذين بدأوا بالهجرة في أواخر القرن التاسع عشر شمالاً في زونغولداك وبولو وفي المناطق الداخلية في أفيون وكونيا وغازي عنتاب وأنقرة وعلى سواحل بحر إيجه في إزمير بالدرجة الأولى وفي كل من أيدن ومانيسا وموغلا، وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط في أنطاليا ومرسين وأضنة وهاتاي. أما "المبادلون" فقد تم إسكانهم في بورصة وباليكيسير وإزمير وأيدن ومانيسا وموغلا وأنطاليا ومرسين وأضنة بشكل رئيسي وفي غيرها من المناطق الساحلية الأخرى. وفي حين سمح لمن قدم مهاجراً بالسكن بشكل جماعي في القرى التي تم إنشاؤها لهم، وأماكن أمثال داخل قلعة بودروم، إلا أن المبادلين بغض النظر عن بعض الحالات الخاصة كسكنهم في آيفاليك ومودانيا، فقد أسكنوا بشكل متفرق جداً عن بعضهم البعض. وقد حصل هذا الأمر بناء على رغبة الدولة التركية الجديدة بإنشاء مجتمع حديث وفق ما خططت له الدولة الجديدة للمبادلين وللاستفادة من خبراتهم وما لديهم من بنية ثقافية مختلفة. لقد ساد إعتقاد بضرورة توزيع هذه الجماعة التي تتحدث بلغة مختلفة إلى مناطق متفرقة بحيث يتم تأقلمها مع المجتمع التركي بشكل اسرع. لقد بقي هذا المجتمع الجديد في الأناضول التركي يتحدث بلغة مختلفة فترة من الزمن حتى نشأ جيل جديد قادر على التحدث باللغة التركية. ولكن ومع كل ما تقدم، فإننا لا نستطيع أن ندعي أبداً أن الجمهورية التركية قد اتبعت سياسية ممنهجة لدمج الكريتيين وصهرهم في المجتمع التركي الأناضولي. فبقدر ما تأثرت المجموعات العرقية الأخرى التي هاجرت إلى تركيا بعد انهيار الدولة العثمانية، تأثر الكريتيون أيضاً بنفس الشاكلة من القوانين المرعية في تلك الفترة لاحتواء كل القادمين إلى الجمهورية التركية. وبوضوح نقول أن فهم السياسة التي اتبعتها الجمهورية الحديثة تجاه الكريتيين لم تكن سياسة ادماج منظمة، بل كانت ضمن سياسة عامة اتخذتها هذه الدولة الجديدة، وكان الكريتيون جزءاً منها، بهدف المقاربة بين كافة المجتمعات المختلفة والمتنوعة التي تتحدث بلغات مختلفة وتحويل كل هذا الموزاييك إلى بنية متطابقة ومتشابهة ... أي "على نفس الشاكلة".

وبالمقارنة مع البلاد الأخرى التي هاجر اليها الكريتيون واستقروا فيها، يصعب علينا حالياً أن نخمن مجموع أعداد الكريتيين العام الذين استقروا في تركيا، لأن شتات الكريتيين في هذه الدولة لم يكن شتاتاً حقيقياً على شكل مجتمعات مغلقة كما هو

الحال في معظم الدول الأخرى، بل وبسبب الجغرافيا الواسعة التي انتشروا عليها في الأراضي التركية، وبسبب تأسيس الجمهورية التركية الحديثة وقدرة الوافدين الجدد على التحرك فيها بشكل يتناسب مع النظام الوطني العام الجديد، فقد انصهر الكريتيون مع غيرهم من المجتمعات المهاجرة وكذلك مع السكان المحليين في بوتقة واحدة هي المواطنة في الجمهورية التركية الجديدة.

مسألة الهوية العرقية: هل الكريتيون أتراك أم يونان؟

يظهر الكريتيون في تركيا تبايناً في وجهة نظرهم بالنسبة لموضوع الانتماء العرقي. ولكن الرأي الأكثر قبولاً في هذا الموضوع هو ذاك السائد لدى معظم مهاجري البلقان أيضاً والذي يقول بأن العثمانيين قد قاموا بإرسال أجدادهم من الأناضول وخصوصاً من منطقة كارامان في عمق الأناضول إلى جزيرة كريت بعد أن قاموا بفتحها. أما الرأي القائل بأن الكريتيين هم "يونان" القومية والأصل أو العرق فهو رأي قليل جداً وغير موجود إلا عند فئة من جيل الشباب، وبخاصة أولئك القادمين من المدن. ومع ذلك فإن هذا الرأي ليس قناعةً تم تناقلها من الأجداد إلى الآباء فالأبناء، بل هو رأي انتشر بين هؤلاء الشباب من خلال الإعلام الإجتماعي الذي وجد له آذاناً صاغية وبعضاً من المؤيدين في مجتمع المهاجرين والمبادلين. بينما نجد أن الفكرة والرأي السائد عند الباحثين والمتعلمين وسكان المدن من الكريتيين وخصوصاً أولئك الذين قرؤوا التاريخ وعرفوا تفاصيل تاريخ الجزيرة وعلموا أنها متعددة القوميات من رومي وعربي وعثماني وبندقي، هو الرأي الذي يقول أن الخوض في المسألة العرقية هو أمر عديم الجدوى، وأن شعب هذه الجزيرة هو خليط لكل هذه العناصر القومية والعرقية المجتمعة. وبعيداً عن كل هذه المناقشات، فإن الأغلبية ترى ان الهوية الكريتية يجب ان تكون هي الأكثر قبولاً وانتشاراً، في حين أن الإنتماء العرقي لا يحمل أي معنى بالنسبة لهم وليس موجوداً ضمن اهتماماتهم أصلاً. إن التساؤل عن قومية المهاجرين الكريتيين من المسلمين، وهل هم أتراك الأصل أم يونان الأصل، هو أمر سيظهر بقوة في المستقبل القريب وسيكون موضوع نقاش طويل في الكثير من المجالس والمناظرات. إن هذا السؤال هو أمر من الماضي يسأل عنه أبناء اليوم، لذلك نرى أن من الضروري أن يتم التنقيب عنه إذا دعت الحاجة فعلاً إلى ذلك وفق معايير وأحكام العلوم المعاصرة وكذلك ضمن المفهوم القومي على أسس عرقية.

إن السؤال الذي طرح علي في محاضرة القيتها عام ٢٠١١ هو سؤال قد تكرر على مسمعي في العديد من المؤتمرات الأخرى. في الحقيقة، إن المسألة العرقية للكريتيين وهل هم من الأتراك أو اليونان هو أمر ليس في مقدمة اهتماماتي ولا اعيره الكثير من المبالاة. كما انني أنصح الذين يصرون على طرح هذا السؤال أن يقوموا باختبار الحمض النووي

الذي أصبح أمراً ممكناً ودقيقاً في عصرنا الحاضر. ولكني أتساءل صراحة: كم سيكون عدد الذين سيمتلكون خريطة حمض نووي واضحة في جزيرة صغيرة عاشت تحت حكم الكثير من الدول والامبراطوريات بدءاً من البيزنطيين وصولاً إلى البنادقة ومن العرب إلى الأتراك في حقبات تاريخية متباعدة تداخلت فيها عناصر هذه الحضارات وقومياتها مرات ومرات، واختلطت فيها الشعوب المختلفة من غرب أوروبا إلى عمق أفريقيا. إضافة إلى ذلك، هنالك حقيقة تاريخية واضحة تقول بأن العرب كانوا قبل العثمانيين أول من حكم الجزيرة من المسلمين. كما ان هناك حقيقة اخرى تقول أن العثمانيين، وعلى عكس ما فعلوه في معظم البلاد التي فتحوها، لم يطبقوا أو لم يتمكنوا في كريت من تطبيق سياسة إسكان التركمان/اليوروك أو القيام بسياسة التطعيم السكاني الذي كانوا يقومون به بشكل ناجح في أراضي البلقان الأخرى. كما أن من الحقائق الأخرى التي نعلمها اليوم هو أن جزءاً من أهالي الجزيرة من المسيحيين قد اهتدوا إلى الديانة الإسلامية وأقاموا علاقات مصاهرة مع الفئات المسلمة الأخرى التي سكنت فيها. لهذا السبب، فإن الإجابة على هذا السؤال الذي يطرح دائماً ولا تتناوله الأقلام عادة هو من الوضوح الشديد بحيث يسهل القول أنه لا يمكن ابداً ان نصل فيه إلى جواب من خلال المفهوم القومي الذي يعتمد على أصول عرقية في عصرنا.

إن الكريتيين الذين يعتبرون هذه المسألة قضية جوهرية بالنسبة لهم (وأستطيع أن أقول من خلال خبرتي الخاصة بأن هذه المسألة لم تكن يوماً موجودة —على الأقل بالنسبة للكريتيين في تركيا- إلا عند الجيل الجديد) ويتساءلون عن أصولهم يونانية كانت أو تركية، ويطرحون سؤال "من أنت؟/ومن أنا؟"، ثم يتقدمون بأجوبة ذاتية شخصية هو جواب يعنيهم هم أنفسهم ولا يعنينا نحن. إن ما يعنيني أنا كباحث اجتماعي وتاريخي هو أن أخوض في العلاقة بين النتيجة لهذا الجواب وأسبابه فقط. إن ما يجب علي أن أتحدث به في هذا الموضوع، وهو أمر لا علاقة له باحساس هؤلاء الحائرين في عرقهم تركياً كان أم يونانياً، هو أن أجدادهم الذين تركوا جزيرة كريت لم يهاجروا قسراً لأنهم كانوا أتراكاً، ولم يكن السبب في هجرتهم أبداً لغتهم الأصلية ولا لباسهم ولا عاداتهم في الأكل والشرب ولا ثقافتهم الموسيقية ولا رقصاتهم الشعبية، بل كان السبب الرئيسي في هذه الهجرة هو اعتبارهم ذاك "الآخر" الذي تم تصنيفه واستبعاده بناء على الاعتقاد الديني فقط لا غير. وهذا "الآخر" بالنسبة للروم الأورثوذوكس كان المسلمين، كما كان الأورثوذوكسي هو الآخر بالنسبة للمسلمين.... هكذا يصبح (الآخر) مرة يونانياً ومرة تركياً.

وإذا أردنا التوسع أكثر في هذا الموضوع، فإنه يجب ان نذكر مفهوم سعاوي أيدن للعرقية حين يقول: "إنها من يرى نفسه "مختلفاً" عن غيره من الناحية الدينية المحددة أو اللغوية، و/أو الخصائص المكانية والثقافية، ومن يعتبر من قبل الآخرين بأنه "آخر"، ومن يمتلك مزايا ثقافية خاصة به وهوية مكتملة لذاته... بذلك ينضج المكون الثقافي/المجتمعي وأحياناً السياسي الذي يؤمن استمرارية هذه الهوية ويحافظ عليها عبر الزواج الداخلي". وانطلاقاً من هذا التعريف، يجب علينا أن نحدد أولاً أن مفهوم الهوية الذي كان حاكماً في الجغرافيا العثمانية، هو مختلف عن المفهوم القومي العرقي في يومنا الحاضر، وكان يعتمد أساساً على الخاصية المتعلقة بالإعتقاد الديني البحت. وبحسب ما يتحدث عنه الأخصائيون بمسمى "منظومة الأمم"، كان تكوين الجماعات المختلفة يتم وفقاً للأسس الدينية. وإلى أن تكون المفهوم الحاكم والمعرف في هذه الجغرافيا بالدول التي هي موجودة عليه اليوم، ومفهوم القومية بمعنى السلالة النسبية والعرقية، كان الدين هو العامل الأول في تحديد التصنيف القومي في المجتمع العثماني. ومثال على ذلك، كان الإنتماء الديني هو المهيمن على هوية الإنسان العثماني في أي مكان كان موجوداً فيه في دول البلقان وغيرها، كذلك كان الدين هو الأساس عندما يعرف المرء عن نفسه أو عندما يعرفه الآخرون، بغض النظر عن اللغة التي يتكلم بها أو بنيته الفيزيائية أو طراز لباسه وهندامه أو عاداته اليومية وتقاليده. وبالتالي، إن كل من كان مسلماً في دول البلقان كان تركياً حتماً، والعكس صحيح أيضاً أي أن كل تركي هو بالتأكيد مسلم. أما أصوله البوسنية أو الأرناؤوطية أو البوماك أو اليوروك أو الماكيدونية فكانت بالنسبة لهذا الشخص تأتي في الدرجة الثانية من ناحية القيمة. ولذلك نرى أن من المهم جداً أن ننظر في تقييمنا للهوية القومية لمسلمي كريت من هذه الناحية والزاوية أيضاً، لأن المسلمين أضطروا للهجرة من هذه الجزيرة لأنهم كانوا "أتراكاً"، ولأن المواطنين الآخرين في الجزيرة من المنتسبين إلى الديانات الأخرى كانوا يرونهم كذلك. ولهذا، وإن كان من غير المعروف ما يراه الكريتيون اليوم لأنفسهم من هوية او تعريف ، إلا أنهم أحفادٌ لمهاجرين مسلمين تركوا الجزيرة لأنهم كانوا مسلمين وبالتالي لأنهم كانوا يعرفون بأنهم أتراك. وفعلياً، عند النظر إلى التلميحات الثقافية وإلى تجربة الكريتيين في الماضي القريب، فإننا نجد بأنهم قد وضعوا خطاً فاصلاً وواضحاً بينهم وبين اليونانيين. مثال على ذلك نرى أن تمييز الهجة الكريتية/الإيلينيكا هو محدد بشكل واضح. فحين أن اللهجة التي يتحدث بها كريتيو تركيا تعرف بأنها لهجة مجتمع عرق الإيلين، فإن لغتهم المتحدث بها تسمى إيلينيكا. كذلك الأمر، إن المقاومة والدفاع التي قدمه المهاجرون الكريتيون الأوائل في إزمير ضد اليونانيين خلال حرب التحرير

التركية وخاصة في غرب الأناضول هو أمر كاف بحد ذاته ليظهر انعدام تعاطفهم مع اليونانيين وعدم انتمائهم اليهم.

ولكن، وإن كان لا بد من التأكيد مرة أخرى على ذلك، لم يكن هناك إظهار لمسألة الهوية العرقية لدى المهاجرين الكريتيين إلا لدى أبناء الجيل الجديد المعاصر. وأكثر ذكرى يمكنني أن أتحدث بها إليكم بشكل واضح هي تلك التي عشتها خلال لقائي مع السيدة زهرة بريرأوغلو خلال العام ٢٠٠٩ أثناء تحضيري لأطروحة الدكتوراه. فحينما كانت السيدة زهرة تقوم بإجابتي على أسئلتي بلهجتها الكريتية بشكل طويل ومسترسل، كانت ابنتها السيدة غونول تترجم لي ما تقوله باللغة التركية. وعند انتهاء لقائنا سألتي باللغة التركية: "هل أنت كريتي؟" فأجبتها بقولي "كلا". عندها أجابتني دون أن تعير ذلك أهمية بقولها "فليكن، حسناً أنت أيضاً إنسان!".

الخاتمة والتقييم

لقد قام هذا البحث بدراسة مسألتين أساسيتين: حركة الهجرة التي حصلت في نهاية القرن التاسع عشر من جزيرة كريت إلى شمال أفريقيا والشرق الأوسط والأناضول والإجابة على تساؤل إمكانية أن يطلق على المسلمين الكريتيين الذين هاجروا إلى مناطق مختلفة صفة الشتات في يومنا الحاضر. كما تناول هذا البحث حقيقة تعريف الهوية القومية العرقية التي أصبحت موضع تساؤل عند الكثيرين بشكل خاص في السنوات الأخيرة. ولكن لم يكن في هذا البحث أي رغبة في دراسة السلالة العرقية للمهاجرين الكريتيين أو السعي إلى إلحاقها بأي مجتمع كان وأي عرق كان.

وفي النهاية أقول، لقد تم التوصل لوجود "شتات مسلمي كريت"، ولكنه شتات منقطع عن بعضه البعض من الناحيتين السياسية والثقافية، وهو نتيجة حتمية لوجودهم اليوم في بلاد مختلفة لها شروطها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك. ويمكن سردها على الشكل التالي:

- في حين أن تركيا واليونان قد أسستا دولتيهما على أساس الدولة القومية، إلا أن سوريا ولبنان وليبيا، وعلى الرغم من كونها تتبع سياسة قومية عربية، إلا أنها ليست دولاً قومية بحتة. ولهذا فإن نظرة هذه الدولة للشتات، وسياساتها المتبعة مع هذا الشتات كانت بشكل طبيعي مختلفة عن بعضها البعض.
- إن العلاقات والمسائل التي تمتلكها الدول التي عاش فيها أهل الشتات، أثرت أيضاً على المهاجرين الكريتيين. ففي حين أن مهاجري لبنان وسوريا كانوا على علاقة نسبية بين بعضهم البعض، بقي مجتمع المهاجرين الكريتيين في ليبيا منغلقاً على

نفسه. كما نجد أن كريتيي اليونان قد تأثروا بالمشاكل السياسية التي تعيشها دولتهم مع تركيا فأصبح هناك رابط بينهم وبين من يعيشون في تركيا بشكل من الأشكال.

- إن شكل الهجرة الذي عرف بتسمية "المبادلة" هو بعيد جداً من الناحيتين الاجتماعية والسياسية عن الدول التي استقر فيها المهاجرون الأوائل خارج الأراضي التركية في لبنان وسوريا ومصر وليبيا واليونان نتيجة الأحداث التي عاشتها جزيرة كريت خلال القرن التاسع عشر.

- لم نجد في أي دولة غير تركيا –ما عدا النموذج اللبناني الوحيد- تجمع للمهاجرين الكريتيين تحت سقف هيئات مدنية او جمعيات تحت سقف القانون ومنظومة المجتمع المدني في الكثير من البلاد التي سكن فيها المهاجرون. ولم يكن لأي من المهاجرين في هذه البلاد نفس الفرصة التي حصل عليها اقرانهم الذين عاشوا في تركيا خصوصاً من الناحية الإقتصادية والتعليمية والسياسية وغيرها. كما لم يتمكن هؤلاء من تحقيق تطور من ناحية الأنشطة الثقافية والفنية والمستوى التعليمي والدخل الإقتصادي بنفس المستوى الذي تمكن الكريتيون (وبخاصة المبادلون) من الوصول إليه في تركيا. وكان لمعيشة الكريتيين في أكثر المناطق حيوية وتطوراً في الدولة –دوناً عن بعض الوحدات السكنية القليلة العدد التي عاش فيها بشكل خاص "الكريتيون الأوائل في أماكن بعيدة عن مراكز المدن) سبباً كبيراً جداً في حصول هذا الأمر.

- لم تتمكن أي من المجتمعات الكريتية التي بقيت خارج تركيا من التأثير في سياسيات هذه الدول بقدر ما تمكن الذين في تركيا من الوصول إليه.

- إستطاعت اليونان التي استفادت بشكل كبير من سياسات الإتحاد الأوروبي تجاه الشتات أن تحقق لنفسها مكاسب متعددة في المجال السياسي والإقتصادي في دول العرب، كما نجحت الى حد ما في نشر دعايتها عند ابناء المجتمع الكريتي المهاجر التي تقول أن المهاجرين الكريتيين هم يونانيون أجبروا خلال الحكم العثماني على اعتناق الدين الإسلامي". ولكن سياسة إنشاء هذا المفهوم وترسيخه في الأذهان لم يكتب له النجاح بشكل حقيقي لا في تركيا ولا في غيرها إلا بشكل حالات منفردة ومنعزلة عند البعض من أبناء المهاجرين. هنا يجدر الذكر أن اليونان استطاعت جذب بعض شباب المهاجرين عبر تأمين فرص عمل لهم وإعطائهم عوداً معسولة مثل "إعطاء إذن عمل وحقوق مواطنة" وغيرها من الأمور التي لم تتحقق حتى يومنا هذا.

- أصبحت لغات الدول التي هاجر إليها الكريتيون هي لغتهم الأم. فهي العربية في الدول العربية، وهي التركية في تركيا، وتضاءلت اللغة الكريتية شيئاً فشيئاً من مجتمع المهاجرين على حساب اللغة الجديدة. أما في كريت اليوم فإن الحال ليس بأفضل بكثير إذ أن الكريتيون في اليونان، وبسبب الإعلام والصحافة ولغة التعليم في المدارس والجامعات والحياة الإجتماعية باتوا يتحدثون "اليونانية العالية" عوضاً عن اللهجة الكريتية الأصلية التي كان يتحدث بها أجدادهم. ولكن وبسبب كونها دولة قومية، كان المهاجرون إلى تركيا هم الأقل استخداماً للغتهم الأصلية ولكنها لا تزال محكية بالرغم من كل ذلك في الكثير من القرى والمناطق في تركيا.
- في يومنا الحاضر، وباستثناء تركيا ولبنان بشكل نسبي، فإن المجتمعات الكريتية تعيش نوعاً من الضغط السياسي والثقافي -وإن كان مختلفاً بين دولة وأخرى-. وإن كان المجتمع الكريتي قد تعرض في تركيا لحملات كسياسة "التتريك" و"أيها المواطن، تحدث بالتركية"، إلا أن ما قدمته الجمهورية إليهم من إمكانيات كبيرة قد جعلتهم قادرين على إحياء هويتهم الثقافية بحرية كاملة ونقلها بحرية إلى الأجيال اللاحقة.

أخيراً، على الرغم من وضوح إختلاف المجتمعات الكريتية الموجودة في البلاد المتنوعة التي انتقلوا إليها، إلا أنه يمكننا أن نتحدث بكل تأكيد أن المهاجرين الكريتيين يحملون خصائص شتات واضحة فيها. كما أن مسألة تحديد الهوية القومية والعرقية للمهاجرين هي مسألة مهمة يجب الخوض فيها وتوضيح ملابساتها لأنها أصبحت قضية جوهرية يتساءل عنها الكثير من أبناء الجيل الجديد بشكل خاص. وعندما نطور تقييمنا في الحديث عن الهوية وكيف أنها كانت تحدد وفق الإنتماء الديني للفرد في ذلك الوقت الذي لم تكن فيه الأصول العرقية والقومية تأخذ حيز الأهمية في المجتمعات، فإن من الواجب أيضاً أن نضع نصب أعيننا شروط تلك المرحلة ومفاهيمها قيد الإعتبار. ولكي نفهم الخريطة القومية والدينية التي كانت موجودة في جزيرة كريت قبل مئة عام فإن من الضروري أن نعي المفهوم القومي الذي كان موجوداً في تلك المرحلة أيضاً قبل الجزم بأي حكم او اتخاذ اي قرار.

الأملاك التي تركها المهاجرون
في جزيرة كريت وحقوق الملكية

الأستاذة الدكتورة نكهت أدي ياكا [1]

بقيت جزيرة كريت قرابة مئتان وخمسين عاماً تحت حكم العثمانيين. ومع انتقال الجزيرة إلى الحكم العثماني، وصل عدد المسلمين في كريت في منتصف القرن الثامن عشر إلى نسبة موازية تقريباً لأعداد الروم المحليين في الجزيرة. وقد استمر هذا التكوين المختلط للجزيرة سنين طويلة، تعايش فيها الجيران من كلا الطرفين بأمن وسلام إلى أن بدأت الأحداث الشهيرة في القرن التاسع عشر وما تبع ذلك من نزاعات دينية وصراعات قومية.

لقد خرج المجتمع التركي الإسلامي من الجزيرة على شكل موجتين كبيرتين من الهجرة. أولها تلك التي حصلت في نهاية القرن التاسع عشر حيث خرج المسلمون هاربين بدينهم ومهاجرين إلى أراض أخرى من أراضي السلطنة العثمانية طمعاً بالأمن والحرية. أما الموجة الثانية فكانت بعد انتهاء الحكم العثماني في الجزيرة وتحول من بقي فيها من المسلمين إلى أقلية مضطهدة، سرعان ما اضطرت إلى هجرة إجبارية جديدة بموجب اتفاق عرف بمعاهدة "المبادلة". بين هاتين الهجرتين الكبيرتين حصلت عمليات متفرقة من الهجرة التي تحمل طابعاً فردياً أيضاً. في الواقع، إن استخدام تعبير "الهجرة الإجبارية أوالهرب الإضطراري" هو التعبير الأصح الذي يمكن أن نصف به حركة نزوح المسلمين من كريت والتي بدأت كما أشرنا سابقاً في الأعوام الأخيرة للقرن التاسع عشر.

---

[1] **بروفسورة في التاريخ**

ولدت في إزمير عام ١٩٦٤.
حازت على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة إيجة، والماجستير والدكتوراه من جامعة التاسع من أيلول.
عملت كأستاذة للتاريخ في جامعة مرسين حتى العام ٢٠١٠
تخصصت في تاريخ جزيرة كريت خلال الحكم العثماني وفي أحوال المسلمين الكريتيين ولها في هذين الموضوعين أبحاث كثيرة.
كتبت عدة كتب إضافة إلى مقالات كثيرة وحاضرت عالمياً في موضوع القضية الكريتية.

بداية، يجب أن يتم تقييم عملية الهجرة من جزيرة كريت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر عبر تقييم شامل وأعم لما كان يدبر ويجري في المنطقة كلها وخصوصاً حركة تدفق المهاجرين المسلمين من دول أخرى على رأسها دول البلقان في الفترة التي بدأ فيها الحكم العثماني بفقدان سيطرته على هذه الدول. إن الأسباب المباشرة للهجرة هذه هي ما تعرض له المجتمع الإسلامي في الجزيرة إلى اضطهادات وضغوطات كثيرة ومتنوعة، بل إننا إن نظرنا إلى تفاصيل ما تعرض له المسلمون في كريت من مضايقات، وما تبع ذلك من ترك للأوطان بعد مجازر مروعة ومذابح ارتكبت بحقهم، فإن بإمكاننا بكل تأكيد أن نرى العديد من الخطوط المتوازية وأوجه اشبه بين الهجرة التي حصلت في كريت وتلك التي حصلت في البلقان. ولكن، وعلى الرغم من كل ذلك، فإننا نفضل تقييم مراحل الهجرة التي حصلت من جزيرة كريت بشكل منفصل وذاتي. ويرجع السبب في ذلك إلى أن قضية النزاع حول جزيرة كريت كانت في القرن التاسع عشر مسألة سياسية وعسكرية قائمة بحد ذاتها، تأخذ حيزاً مهماً في السياسة الخارجية العالمية وتشكل مسرحاً للألاعيب الديبلوماسية والمخططات العالمية الكبرى في تلك الفترة.

فمع نمو التيارات القومية وصعودها إلى الواجهة في القرن التاسع عشر، وبعد نجاح تيار الإستقلال اليوناني في استخدام ورقة القومية الهيلانية لضم جزيرة كريت ضمن نطاق تأثيره، بدأت الفرقة تظهر في البلد الواحد بين المجتمعين المسلم والرومي، وبدأ نزاع الهوية يطفو إلى السطح من كلا الطرفين. وعوضاً عن ما اتسم به المجتمع الكريتي سابقاً من قوة في العلاقات الإجتماعية ومتانة في التقارب والتعايش بين الملتين، فقد بدأت تظهر صراعات الكفاح القومي والنزاع الديني على شكل مجازر متبادلة بين الطرفين. وباختصار، فقد تحولت العلاقات الودية الثنائية بين الجماعتين إلى عكس ما كانت عليه خلال فترة قصيرة جداً.

في نهاية القرن التاسع عشر، تحركت الدول الأوروبية الكبرى بشكل مشترك وتنسيق كامل تجاه مسألة كريت[1] التي كانت تعتبر جزءاً من مسألة الشرق حتى نشوب الحرب العثمانية اليونانية بسببها عام ١٨٩٧. كان برنامج الحركة المشتركة للدول الأوروبية الكبرى يعتمد على كسب الوقت بشكل إضافي دائماً إلى حين التوصل

[1] لمزيد من المعلومات المفصلة حول مسألة كريت ومسرح الألعاب الدبلوماسية العالمية في القرن التاسع عشر أنظر كتاب " الأمبرطورية العثمانية وأزمة كريت ١٨٩٦- ١٩٠٨" منشورات ت ت ك، أنقرة ٢٠٠٠.

إلى قرار نهائي في قضية مستقبل الجزيرة التي لها ما لها من أهمية استراتيجية وتجارية في شرق البحر الأبيض المتوسط. إن أي دولة تسيطر على الجزيرة أو تحكمها مباشرة هي في الواقع تتحكم بالمنطقة المحيطة كلها، الأمر الذي قد يكون سبباً في اختلال التوازن الحساس القائم في أوروبا في تلك الفترة من الزمن. لذلك فقد عمد الأوروبيون إلى استخدام آمال اليونانيين بالسيطرة على الجزيرة وسيلة لتحقيق مآربهم السياسية والعسكرية. فتم الإبقاء على مسألة كريت قضية شائكة بشكل مستمر بدون حل جذري لسنوات وسنوات. بهذه الوسيلة كانت الدول الأوروبية الكبرى تشارك في شؤون الجزيرة وتتدخل دائماً في إدارتها وعلاج أزماتها حسب مصالحها وأهوائها، وبمعنى آخر فقد كان سفراء الدول الأوروبية فعلياً هم من يدير الجزيرة ويحكمها تحت ستار الإدارة العثمانية الوهمية. لقد حاصرت الدول الأوروبية جزيرة كريت قبل حرب العام ١٨٩٧ تحت ذريعة ضبط أعمال التمرد والمجازر وإعادة الأمن المفقود بسبب نزاعات تحصل لأسباب اقتصادية وسياسية مختلفة في كريت. هكذا استطاعت الدول الكبرى أن تخلق لنفسها فرصة دائمة للتدخل مباشرة في الشؤون الداخلية للسلطنة العثمانية.

وفي ١٨ كانون الأول ١٨٩٧ تم باقتراح فرنسي ودعم إنكليزي توقيع اتفاق بين الحكومة العثمانية وسفراء الدول الكبرى وإعلان أسس الحكم الذاتي لجزيرة كريت التي اصبحت بموجبه ولاية ذات حكم ذاتي تتبع إسمياً للسلطة العثمانية. إن إعطاء الحكم الذاتي لجزيرة كريت وإعطاء الفرصة لتكوين إدارة هذا الحكم فيها وصولاً إلى عملية التبادل السكاني قد تزامن مع آخر أكبر هجرة للمسلمين من الجزيرة. فخلال المرحلة التي بدأت مع أحداث العام ١٨٩٦، وخاصة مرحلة الإضطرابات التي تسارعت في الجزيرة مع أحداث قنديه عام ١٨٩٨، حصل تهجير قرابة ٦٠ ألف مسلم من جزيرة كريت.

وإن كان لا بد من النظر باختصار شديد إلى التطورات التي أدت إلى أحداث قنديه، فإن ثورة عام ١٨٩٧ قد تسبب بتهديد أهالي الريف من المسلمين وأجبرهم على ترك قراهم ولجوئهم إلى المدن. ومع اشتداد البرد في نهاية العام، ومع ازدياد أعداد المسلمين داخل المدن الرئيسية في كريت وحصول أعمال شغب فيها خصوصاً في قنديه، اعتبر المسلمون أنهم يهددون الأمن الداخلي للجزيرة ثم تعاقبت بعد ذلك أحداث مختلفة. ومع أن الإدارة المؤقتة قد أعطيت بعض الصلاحيات ودخلت حيز التنفيذ في شهر تموز عام ١٨٩٨، إلا أنها فشلت في تقديم أي حلٍّ للاجئين المسلمين الذين ناهز عددهم قرابة خمسة وعشرين ألفاً، فوصلت الأمور إلى طريق مسدود وحالة يصعب الخروج منها.

لقد كانت هذه الأحداث نقطة تحول مهمة في الجزيرة لأنها هيأت الظروف المناسبة لسحب العساكر والموظفين العثمانيين بشكل كامل من الجزيرة بناء على ضغوطات الدول الغربية مما يمكن اعتباره الخطوة الأولى العملانية على طريق ضم الجزيرة إلى اليونان. لقد اضطر العثمانيون إلى سحب حاميتهم وكل موظفيهم من الجزيرة أمام الضغط الشديد الذي تعرضوا له من قبل الدول الكبرى نتيجة لهذه الأحداث التي استغلت بشكل كبير لمصلحة مشروع سلخ كريت عن جسد الدولة العثمانية، لتصبح تبعيتها للحكم العثماني شكلية ورمزية فقط لا غير.

لقد أصبح السكان المسلمون في جزيرة كريت عرضة للتهلكة بشكل كبير من قبل الروم المسلحين بعد أحداث قنديه وما لحقها من انسحاب للجيش العثماني وجمع السلاح من المسلمين. أما وقد تم تعيين الأمير جورج اليوناني مفوضاً سامياً للجزيرة وما لحق ذلك من استقبال ضخم وحفاوة بالغة من قبل الروم في ٢١ كانون الأول من العام ١٨٩٨م فقد أفضى إلى ازدياد الوضع سوءاً لدى المسلمين. ذلك لأن الأهالي المسلمين في كريت، ومنذ أن علموا بترشيح الأمير اليوناني لمفوضية الجزيرة، تقدموا إلى الوالي بعريضة يعترضون فيها على ذلك ويؤكدون أن هذا الأمر سيؤدي لاحقاً إلى ضم جزيرة كريت إلى دولة اليونان، وأن ذلك سيفتح الطريق أمام "خراب المصالح وضياع الحقوق".[1] لذلك، وعلى الرغم من التأكيدات والضمانات التي قدمتها الدول الكبرى للإدارة العثمانية بحماية المسلمين، فإن المسلمون لم يطمئنوا لذلك وبدأ حملات كبيرة من الهجرة تبدأ منذ أوائل العام ١٨٩٨م.

ومع زيادة أو نقصان وتيرة الصراعات القائمة في جزيرة كريت بعد ذلك، فقد استمرت عملية الهجرة بشكل متواز مع الأحداث زيادة أو نقصاناً، وصولاً إلى العام ١٩٠٥ الذي شهد حركة هجرة ضخمة تزامنت مع ثورة ثيريسو وما رافقها من تهديد مباشر للمسلمين هناك. في حقيقة الأمر، إن الصراع البيت الواحد على السلطة والذي تجلى بشكل واضح بين نزاع أنصار الأمير اليوناني وأنصار فينيزيلوس وما رافق ذلك من قلاقل وأحداث قد تحول إلى انتفاضة ومجازر ضد مسلمي الجزيرة جعلت فينيزيلوس نفسه يتعجب من هذا الأمر. وبحسب ما قال فينيزيلوس: "...إن هذه الأحداث لم تكن أبداً ضد المسلمين وإنما ضد الأمير يورغوس(جورج). ولكنها وبسبب عادة قديمة تحولت إلى جريمة

---

[1] BOA., İ..MTZ.GR.., no= 32-1266, 8 Şubat 1313-20 Şubat 1898'den aktaran Adıyeke, Girit Bunalımı..., s. 209.

بحق المسلمين"[١]. وبسبب هذه الأحداث التي حصلت في العام ١٩٠٤-١٩٠٥ أجبر المجتمع المسلم في جزيرة كريت على الهجرة قسراً.

خلال هذه الحقبة، وكعادة من ضمن عادات الثورات السابقة في الجزيرة، فقد تم طرد المسلمين الذين بقوا في بعض القرى من منازلهم، وتم سلب أملاكهم بالقوة.[٢] واضطر مسلمو القرى إلى النزوح إلى المدن من جديد حيث التجؤوا إلى مزارع الأسياد والأغاوات الذين تمكنوا من إيوائهم[٣]. ثم تصاعدت وتيرة الضغط على المسلمين لتصل إلى عمليات القتل والإعدامات الجسدية. ولهذا اضطرت السلطنة العثمانية التي كانت قد سحبت كافة عساكرها من الجزيرة بناءً على أسس الحكم الذاتي الممنوح للجزيرة سابقاً أن تلجأ مرة أخرى إلى الدول الكبرى التي أعطت الضمانة بالحفاظ على أرواح وممتلكاتهم مقابل انسحاب العثمانيين منها.[٤]

ثم ما لبث أن ألحقت جزيرة كريت باليونان عام ١٩١٣م بعد أن كانت تقع ضمن حدود السلطنة العثمانية إسمياً على الورق منذ العام ١٨٩٨م إلا أنها كانت حتى تاريخ إلحاقها باليونان تحكم برقابة أوروبية مشتركة ومن قبل والٍ (متصرف سامي) يتم تعيينه بحسب رغبة الملك اليوناني. وهكذا، وإلى جانب خسارة السلطنة العثمانية لحكمها في دول البلقان، خرجت جزيرة كريت أيضاً بهذه الطريقة بشكل قاطع من الحكم العثماني[٥]. لقد استمرت دفعات هجرة المسلمي من كريت إلى الأناضول طيلة هذه المرحلة. أما من بقي منهم في جزيرة كريت بعد إلحاقها باليونان فقد حاولوا أن يحافظوا على وجودهم كأقلية تابعة للدولة اليونانية، ولكن ذلك كان أمراً صعب التحقيق.

لقد كان الوجود الإسلامي في جزيرة كريت هو رمز للوجود العثماني فيها. لذلك وبما ان المخطط كان يقضي بمحو الوجود العثماني في الجزيرة بشكل كامل فإن إزالة

---

(1) Venizelos "Eski bir alışkanlık gereği Müslümanlara karşı katliamlara dönüştü" diyor. Zoi Miçotaki; *Elefteros Venizelos sta Hronia tis Kritis 1887-1910*, Atina 1992., Kiriks, 11 Mayıs 1908. 1905 ayaklanması sırasında Müslüman halka yönelik eylemler konusunda bakınız: Adıyeke, *Girit Bunalımı* ..., s.218-219.

(٢) أحمد جواد إيمره، تاريخ النسلين، أسطنبول، ١٩٦٠، صفحة ٩٠.

(3) Johann Strauss, "The Createn Muslims and Their Struggle for Ottomanism: Some Edvince from the Periodical Press", *V. Milletlerarası Türkiye'nin Sosyal ve İktisadi Tarihi Kongresi*, Marmara Üniv., 1989, T.T.K., Ankara; 1990, s. 59.

(٤) الأرشيف العثماني، كريت، رقم ١٣٨٨، ١٧ تموز ١٣٢١-١٩٠٥.

(٥) مليكة كارا، جماعة مسلمي كريت في كانديا، دار الكتاب، إسطنبول، ٢٠٠٨، صفحة ٢٤-٢٥.

الوجود الإسلامي فيها وإجبار أهلها على الهجرة كان أمراً لا بد من حصوله. وكنتيجة لكل ما تم ذكره من تطورات سابقة، عمد أهالي جزيرة كريت من المسلمين إلى تكثيف حملات الهجرة منذ العام ١٨٩٦ بسبب ما آل إليه أمرهم من انعدام الأمن والتعرض للتهلكة باستمرار. فبدأت حملة الهجرة بشكل سريع في العام ١٨٩٦ وتكثفت باتجاه السواحل الشرقية والغربية للأناضول كما شملت أيضاً وبشكل كبير جزر بحر إيجه التي كانت تابعة للحكم العثماني آنذاك. وفيما لم يتجاوز عدد المسلمين النازحين من كريت إلى كل من جزيرتي رودوس وإيستانكوي خلال شهر آذار عام ١٨٩٨ الأربعين إلى الخمسين نسمة[١]، فقد إزداد هذا العدد ليصبح في نهاية العام ١٨٩٨ ما مجموعه ١٥٠٠ نسمة.[٢] وبعد أن كانت مهمة توزيع المسلمين المهاجرين من كريت إلى هذه الجزر الأخرى وتأمين إعاشتهم تتم عبر إمكانيات ولاية جزر البحر الأبيض المتوسط، فقد تحول هذا الأمر اعتباراً من شهر كانون الأول عام ١٨٩٨م إلى ولاية آيدن التي كانت تمد الباب العالي مباشرة بأخبار هذه الهجرة التي بدأت إلى سواحل مدينة إزمير ومنها إلى باقي مدن الأناضول.[٣]

كانت مناطق العمق في الأناضول وولاية قونيه هي من ضمن الأماكن الأساسية التي اعتمدها مخطط اسكان المهاجرين الأوائل. ولكن مهاجري جزيرة كريت عارضوا هذا الأمر بشدة بسبب إقليم هذه المناطق الجاف وبسبب بعدها عن البحر وعن الجزيرة. ويرجح شكري تشيليك سبب هذا الرفض لاعتقاد المهاجرين بإمكانية العودة إلى كريت عند أول فرصة سانحة.[٤]

ويمكن أن يفهم من هذا الأمر شيء آخر وهو رغبة المهاجرين في البقاء على مقربة من جزيرة كريت ربما بهدف التواصل مع أقربائهم هناك أو للعمل على تصفية ما بقي من أملاكهم[٥]. وللأسف، فإن ما تعرض له مسلمو الجزيرة من صدمات وما عايشوه من مجازر استهدفت أرواحهم من قبل جيرانهم الذين تعايشوا معهم لسنوات طويلة جعلت حقيقة مصيرهم أنهم قد أخرجوا من بلادهم في رحلة لا عودة منها. لقد أصر قسم كبير

---

[١] الأرشيف العثماني، كريت، رقم ١٢٨٢، ١٤ آذار ١٣١٤، ٢٦ آذار ١٨٩٨.

[2] BOA., B.E.O., Girit Tezakir Defteri, no= 1000/62-15, Tezkere no= 428, R. 1314 (1898); İr. Girit, no= 1351, 15 Teşrin-i sani 1314-27 Kasım 1898.

[3] BOA., B.E.O., Girit Hulasa Defteri, no= 998/62-13, Sıra no= 904, Evrak no= 157, 10 Kanun- u evvel 1314-22 Aralık 1898.

[٤] تشيليك، أطروحة أ. غ. صفحة ٨٨.

[٥] يلماز، أ.غ.م. صفحة ٥٩٦

من المهاجرين على البقاء في منطقة إزمير وجوارها ، بينما نجد أن الكثير من الأوامر التي أرسلت من مركز القيادة كانت تأمر بنقلهم وإسكانهم في أماكن أخرى وصفت بأنها مناسبة. ولهذا السبب فقد استمرت عملية البحث عن أراض مناسبة لفترة طويلة من الزمن[١].

كان عدد قافلة المهاجرين الأولى الذين تم نقلها من إزمير في العام ١٨٩٨ هو ٢١.٧٩٥ نسمة. أما الأماكن التي تم نقلهم إليها فهو مبين في الجدول أدناه[٢].

عدد المهاجرين	منطقة الإسكان
3000	أضنة
3000	كونيا
4000	أنقرة
1000	سوريا
1000	بيروت
5000	بنغازي
2000	حلب
1000	كاراهيسار
1795	من سيبقى في ولاية أيدن
21795	**المجموع**

ومع ازدياد أعداد المهاجرين في مدينة إزمير، تم اتخاذ قرار جديد يقضي بتوزيع المهاجرين مرة أخرى وإسكانهم في ولايات مختلفة فتم إرسال ١١.١٨٠ مهاجر إلى هذه الولايات بحسب الأرقام التالية:[٣]

[١] لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع: تشيليك، أطروحة من الصفحة ٨٦- ٩٤

[٢] الأرشيف العثماني، رثيقة رقم *A.MKT.MHM* 505/1 بتاريخ ٢٢ آذار ١٣١٥

[3] BOA., İ. Hus., no= 77-1317/Ca 88, 22 Eylül 1315-4 Ekim 1899'den aktaran Çelik, a.g. tez, s.96.

منطقة الإسكان	عدد المهاجرين
سنجق بنغازي	1.090
ولاية حلب	2.000
ولاية سوريا (الشام)	3.000
ولاية بيروت	1.000
ولايتي أيدن وأنقرة وسنجق قره حصار	4.180
المجموع	**11.180**

وعلى الرغم من أن مجموع أعداد المهاجرين الذين تم إسكانهم بحسب هذين الجدولين هو ٣٣.٠٠٠ نسمة، إلا أن العدد الحقيقي للمهاجرين هو أكثر من ذلك بكثير. فهذان الجدولان يبينان فقط أعداد المهاجرين الذين تم إسكانهم من جديد انطلاقاً من مدينة إزمير. أما بقية المهاجرين الذين أصروا على البقاء في مدينة إزمير ومن ثم انتقلوا بحسب إمكاناتهم الخاصة إلى بقية المحافظات والمدن كولاية إسطنبول، بورصة، أنطاليا وغيرها، فإن أعدادهم الحقيقية هو أمر غير معروف بشكل قاطع. ولكن، وبالنظر إلى بيانات النفوس المتعلقة بالتعداد السكاني لتلك الفترة في جزيرة كريت، وبمقارنتها مع نسبة الإنخفاض السكاني الحاصلة فإن أعداد المسلمين المهاجرين من جزيرة كريت في تلك الفترة قد زادت عن ٦٠.٠٠٠ نسمة.[1]

وفي العام ١٨٩٩، ومع تزايد أعداد المهاجرين رويداً رويداً، بدأت مشكلة إسكانهم وتأمين معيشتهم تظهر بشكل أكثر وضوحاً وأهمية. ولهذا بدأ العمل في مناطق متعددة على إنشاء المنازل والقرى بهدف تأمين مساكن مناسبة لهم.[2] كما تم إرسال بيان إلى كافة الولايات تحدد التدابير التي يجب اتخاذها في سبيل إسكان المهاجرين. وقد احتوى البيان المرسل على هذه النقاط الأساسية باختصار: لا يجب على المهاجرين من جزيرة

---

[1] Müslüman nüfustaki bu azalma aşağıda resmi rakamlarla değerlendirilmiştir. Yunan kaynakları dahi Ada'dan ayrılan Müslüman nüfusunun 50.000'i aştığını belirtmektedir. Manos Perakis, "Muslim Exodus and Land Redistribution in Autonomous Crete (1898–1913)", *Mediterranean Historical Review*, (2011), 26:2, s.137.

[2] "Girit islam muhacirlerinin iskanları için Karahisar-ı Sahib'in İzmir istasyonu karşısında 62 adet hane inşa olunmuştur." Ahenk (İzmir), 6 Teşrin-i sani 1315-18 Teşrin-i sani 1899.

كريت إلى إزمير أن يعانوا أي نوع من أنواع المشقة. ولهذا فقد تم تخصيص كل من ولاية أضنة، قونيه، أنقرة، حلب، بيروت، وسوريا وكل من سنجق بنغازي وسنجق قره حصار ليتم إسكان المهاجرين فيها بشكل يؤمن لهم الراحة والرفاهية. كما يجب تأمين الأراضي الصالحة للزراعة في كل من الأماكن التي سيذهبون إليها وإعطائهم كافة الأدوات الزراعية اللازمة وتقديم الحبوب والبذور. هذا وسيتم إرسال المال الضروري لتأمين معيشتهم. وقد تم تأسيس لجان محلية للتحضير لعملية إسكانهم والإهتمام بشؤونهم.[1]

إضافة إلى أبناء كريت الذين هاجروا بشكل إجباري منها، كان هناك مجموعة من الأشخاص الذين تم نفيهم مع عائلاتهم بذريعة تحميلهم مسؤولية الأحداث التي حصلت في الجزيرة في تلك الفترة. ففي حين تمت هجرة العدد الأكبر من أبناء كريت المسلمين إلى الأناضول، فإن مجموعة من أبناء كريت المسلمين وخصوصاً من سكان مدينة قنديه قد تم إسكانهم بشكل خاص في كل من طرابلس الشام ولاية بيروت وبنغازي. والسبب في إسكان هؤلاء المهاجرين مع عائلاتهم في منطقة الشرق الأوسط بشكل يختلف عما حصل عليه بقية المسلمين المهاجرين هو عقابهم، أو بكلمة أخرى نفيهم لتحول دون قتلهم أو انتقام الأوروبيين منهم.

لقد حاولت الحكومة العثمانية مرات كثيرة أن تحول دون أن تقوم الدول الأوروبية بمعاقبة المسلمين بحجة مشاركتهم في أحداث قنديه. وفي التلغراف الذي أرسلته وزارة الخارجية العثمانية إلى حكومة لندن نجد نصاً يقول: "إن الحكومة الثنية تطالب بإيقاف الملاحقة وإيقاف تنفيذ قرارات العقاب الصادرة بحق الأشخاص المشكوك بمشاركتهم في الأحداث الأخيرة وتتعهد بإرسالهم إلى طرابلس الغرب واليمن والطائف وأماكن بعيدة أخرى مع عائلاتهم بشرط ألا يعودوا أبداً إلى الجزيرة...." [2]

لقد اعترض المسلمون الكريتيون على قرار نقلهم إلى اليمن والطائف لكون مناخهما لا يشبه مناخ الجزيرة التي أخرجوا منها، وهي بالتالي مناطق غير مناسبة لتأمين معيشتهم وكسب قوت عيالهم. بناءً على ذلك، ومن خلال البحث الذي تم إجراؤه، تبين أن كلاً من منطقة درنه وبنغازي في شمال افريقيا التي تحتوي على أراض للزيتون ويتشابه طقسها وطبيعتها بالجزيرة، بإمكانها أن تكون ملائمة لمسلمي كريت المهاجرين، فتم

---

[1] الأرشيف العثماني، ي. أ. ريس، رقم: ١٠١-٢٩، ٨ حزيران ١٣١٥-حزيران ١٨٩٩.
[2] الأرشيف العثماني، هـ. ر. س ي س، ملف رقم ١/٥٠٠، وثيقة رقم ١٤٧.

نقل جزء منهم إلى هناك بناء على المعطيات المذكورة.[1] كما تم إرسال جزء آخر من هذه العائلات إلى كل من بيروت وطرابلس الشام لنفس الأسباب التي سبق ذكرها.

لقد تم نقل هذه المجموعة المعاقبة من جزيرة كريت إلى منطقة الشرق الأوسط لتخليصهم من عقاب محتم، فحملتهم السفن بداية إلى مرفأ مرسين، ثم ما لبثوا أن نقلوا منه إلى كل من بنغازي وبيروت. وقد وصل عدد المهاجرين الذين تم نقلهم إلى هذه المناطق بشكل تقريبي ١٠٠٠ إلى سوريا، ١٠٠٠ إلى بيروت و ٥٠٠٠ إلى بنغازي بمجموع تقريبي وصل إلى سبعة آلاف نسمة.[2]

ومن بين ١٠٠٠ نسمة ممن أرسلوا إلى سوريا، تم إسكان الجزء الذي يعرف بأمور الزراعة في القصير التابعة لمدينة حمص، أما من برع منهم في التجارة والحرف فقد أسكنوا في الصالحية التابعة للشام، ومن كان لا يملك حرفة ولا صنعة فقد أسكن في جبل قاسيون. وقد تم إنشاء مسجد ومدرسة لهذه العائلات في جبل قاسيون.[3]

أما بالنسبة لمن أرسل إلى بيروت، فقد تم إسكان من يجيد أمور الزراعة في الغامقة وعرب الجحش التابعتان لمدينة طرطوس، أما من برع في التجارة والصناعة فقد تم إسكانه في طرابلس الشام في منطقة باب التبانة، ومن لم يكن له أي حرفة معينة و مهنة فقد أسكن في قرية الحميدية التي تم إنشاؤها خصيصاً لهم.[4]

لقد انخفض عدد المسلمين في جزيرة كريت من ٩٢.٠٠٠ نسمة في أواسط القرن التاسع عشر إلى ما يقارب ٢٨.٠٠٠ نسمة قبيل عملية المبادلة. وبحسب الإحصاء الذي تم في العام ١٩١١م فقد وصل عدد المسلمين في جزيرة كريت إلى ٢٨.٠٠٠ نسمة أرسلوا جميعاً إلى تركيا بناءً على إتفاقية مبادلة الأتراك بالروم التي وقعت في العام ١٩٢٣ بين الجانبين التركي واليوناني. هكذا تم نقل من بقي من المسلمين في كريت وميديللي وبقية الجزر

---

(١) الأرشيف العثماني، هـ.ر. س ي س، ملف رقم ١/٥٠٥، وثيقة رقم ١٤.

للحصول على معلومات مفصلة حول الكريتيين الذين تم إرسالهم إلى شمال أفريقيا أنظر: مليكة كارا، "مسلمي كريت في شمال أفريقيا، سيوبو-٢٠، ٢٧ حزيران – ١ تموز ٢٠١٢، ريثيمنو كريت، إشعار لم يتم نشره.

(٢) الأرشيف العثماني، هـ.ر. س ي س، ملف رقم ١/٥٠٥ وثيقة رقم ١٤.

(٣) قصاب، أ.غ.م، صفحة ٦٩٩.

(٤) نفس المكان. تقف أمامنا كحالة مهمة للدراسات الأنثروبولوجية لمسلمي كريت الذين حافظوا على ثقافتهم ووجودهم حتى اليوم في المنطقة. فقد تمكنوا من تناقل ألقابهم الأصلية التي حملها أهلهم في جزيرة كريت وما زالوا يستخدمونها حتى اليوم، كما استمروا بتحدث اللغة اليونانية فيما بينهم تماماً كما كان يتحدث بها أهلهم هناك، إضافة إلى طهي مأكولات الأعشاب التراثية لديهم وغيرها من الخصائص المتميزة. ولهذا تعتبر دراسة هذه المجموعات التي تشكل لوناً خاصاً لها في الجغرافيا التي تعيش فيها أمراً مهماً جداً بالنسبة لتاريخ جزيرة كريت وتاريخ المنطقة.

اليونانيـة إلى منــاطق أيفاليـك، وإدريميـت، ومرسـين وجوارهــا في الجمهوريـة التركيـة. وكـان مـن بـين المبادلين مـا يزيـد عـن ٣١٤.٠٥٢ نسـمة تم إرسـالهم إلى تركيـا مـن مختلـف مناطق اليونان لغاية منتصف شهر تموز عام ١٩٢٤م منهم ١٣.٩٧٥ مسلم كريتي من مدينة قنديـه و٨.٨٣٧ مسـلم كـريتي مـن مدينـة خانيـا تم إسـكانهم في الأناضـول.[1] ويعـبر الصـحفي الكـريتي الشـهير تحسـين جـي زاده عـن معنـى إتفاقيـة المبادلـة بالنسـبة لمسـلمي كريت بقوله: "إنه تبديل الموت بالحياة".[2]

إن عدد المهاجرين الذين خرجوا من جزيرة كريت في القرن التاسع عشر هرباً من التهديد والقتل يزيد بمقدار ضعفي عدد الذين هاجروا لاحقاً بناءً على اتفاقية لوزان للمبادلة الموقعة في العام ١٩٢٣م والتي هاجر بموجبها قرابة ٣٠.٠٠٠ نسمة إلى الأناضول. لقد وصل عدد المهاجرين من جزيرة كريت في نهاية القرن التاسع عشر إلى ما يزيد عن ٦٠.٠٠٠ نسمة. ويمكن الوصول إلى هذه الأرقام أيضاً من خلال تعقب نتائج الإحصاءات الرسمية المتلاحقة لعدد سكان الجزيرة.

هناك فرق رئيسي بين المهاجرين (الأقدمين) ومهاجري المبادلة من كريت يتمثل في الخسارة المادية التي تعرض لها هؤلاء خلال مراحل هجرتهم المتباعدة. فلقد تمت عملية المبادلة بموافقة دولية تحت مراقبة لجان المبادلة العالمية، وقد تم الأخذ بعين الإعتبار الحفاظ على حقوق المبادلين المادية ولو بشكل جزئي من خلال عمليات التصفية المتبادلة للأملاك التي حصلت في ذلك الوقت. بموجب ذلك، تمكن المهاجرون من اليونان أن ينالوا أملاكاً خاصة في تركيا تم تركها من قبل المهاجرين الروم إلى الوجهة المعاكسة عوضاً عن تلك التي خلفوها وراءهم في جزيرة كريت. من جهة أخرى، فمن المعلوم أيضاً أن أعمال التصفية التي تمت خلال عملية المبادلة كانت تشمل بحكم المادة الثالثة من اتفاقية مبادلة المهاجرين بعد عام ١٩١٢ فقط. وفي هذا السياق، تم نشر الإعلانات الموجهة إلى كل من هرب من جزيرة كريت في العام ١٩١٢م وما بعده لتنفيذ هذا البند من الإتفاق.[3] وقد استفاد من ذلك كل كريتي يمتلك وثائق ملكيته في يده. ولكن يبقى الجدل قائماً حول نسبة النجاح الذي حققه هذا الإتفاق ومدى فعالية تطبيقه. إن معظم من هاجر من جزيرة كريت هم ممن فروا خلال الأعوام الممتدة بين ١٨٩٦ لغاية العام ١٩١١م.

---

[1] "إن كان هناك من شيء قد حافظ على أرواح ٣٠.٠٠٠ مسلم ممن بقي في جزيرة كريت، فإن ذلك هو عملية المبادلة." تحسينجي زاده، الصفحة ٥٠.

[2] تحسينجي زاده، الصفحة ٥٠.

[3] أهينك (إزمير)، ١٩ كانون الأول ١٣٣٩ (١٩٢٣م)، أنظر الإضافة

وعلى الرغم من أن الهجرة قد استمرت بعد العام ١٩١١م إلا أن أعداد المهاجرين بعد هذه الفترة تبقى قليلة جداً إذا ما قورنت بالأعداد التي هاجرت قبل هذا التاريخ لأن أعداد المسلمين الذين بقوا في كريت بعد هذه التاريخ كانت قليلة. أضف إلى ذلك أن معظم من هاجر في العام ١٩١٢ وما بعده قد فعلوا ذلك بهدف إنقاذ أرواحهم وهو أمر يدفعنا إلى التساؤل عن مدى نجاح هؤلاء فعلياً في إحضار وثائقهم الثبوتية لأملاكهم أم لا.

أما بالنسبة لمن هاجر قبل العام ١٩١٢م، خلال فترة أحداث القرن التاسع عشر، فلم يكن أمام هؤلاء أي فرصة حقيقية لمثل هذا الأمر. بل إن معظمهم قد اضطر إلى الهجرة هرباً من دون أن يتمكن لا من تصفية أملاكه في الجزيرة أو حتى إحضار أي ورقة ثبوتية أو سند ملكية لعقار او مزرعة أو منزل. كما أن جزءاً منهم قد أخراج نفياً من الجزيرة ولو بالشكل الظاهر لإنقاذ حياتهم من الإعدام والأحكام الجائرة. لقد استطاعت قلة قليلة من المهاجرين بيع أملاكهم قبل الهجرة بأثمان بخسة رغبةً في تحويل ما يملك إلى عملة نقدية يستعملها في وطنه الجديد. وقد تعاون الروم فيما بينهم للحصول على هذه الممتلكات التي باعها أصحابها جبراً بأبخس الأثمان، ويمكن متابعة هذا الموضوع والتأكد من تفاصيله من خلال حجم القروض التي تم تقديمها من قبل البنوك اليونانية لهؤلاء من أجل تحقيق هذا الهدف[1]. يتحدث بيراكيس في مقالة له بعنوان: "هجرة المسلمين وإعادة توزيع الأراضي خلال فترة الحكم الذاتي في كريت (١٨٩٨-١٩١٣)" عن تغيير الملكية في الجزيرة خلال هذه المرحلة وظهور فئة جديدة من الأغنياء. كما يتحدث عن سبب ظهور هذه الفئة الغنية بأنها كانت بسبب سيطرتهم على أملاك المسلمين في تلك المرحلة.

بينما كان ٨٠٪ من مسلمي جزيرة كريت يعيشون في المدن الكبرى وسهول ماسيرا في الفترة الممتدة بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٩٨م، فقد كان ٧٥٪ من مسيحيي الجزيرة يعيشون في الأرياف. وفي العام ١٨٨١م (وبحسب الإحصاء السكاني الرسمي) وبينما كان عدد المسلمين في الأرياف يصل إلى ٤١.٥٩٦ أي ما نسبته ١٨٪ من إجمالي عدد سكان الجزيرة، فقد انخفض هذا العدد إلى ٦٩٨١ فقط أي ما نسبته ٣٪ فقط من مجموع سكان كريت. إن هذه الأرقام تظهر سرعة انخفاض أعداد المسلمين في الأرياف خلال فترة وجيزة جداً.

---

[1] بيراكيس، أ.غ.م، صفحة ١٣٥-١٥٠.

لقد استولى المسيحيون على أراضـي المسلمين التي تركوها خلفهم إما احتلالاً أو عبر شرائها منهم بأبخس الأثمان. من جهة أخرى، لم تكن هناك آلية طابو منتظم أو مراكز رسمية لكاتبي العدل في كل منطقة في كريت ولا حتى خدمات محلية للطابو. وخلال عمليات الثورات التي تمت في الأعوام ١٨٩٦-١٨٩٨ تم تدمير بعض مؤسسات قيود الملكية ومختلف مكاتب كتاب العدل بشكل مقصود وممنهج.

لم تكن تقتصر عمليات الاحتلال على الأملاك التي تركها المسلمين فقط، بل كانت في نفس الوقت تتم عبر وضع اليد بالقوة على الأملاك العامة وأموال الأوقاف أيضاً. وخلال هذه الفترة أيضاً، تغيرت ملكية الكثير من العقارات والأراضي في كريت، وكان جزء قليل فقط من أصحاب هذه الأملاك الجدد يمكنه فعلياً شراء أو استملاك هذه العقارات بقدرته الإقتصادية الذاتية. لقد كان معظم المالكين الجدد من الفقراء الذين سهل لهم الحصول على قروض كبيرة بفوائد قليلة جداً من مصرفين كانا موجودان في كريت بهدف تسهيل حصولهم على أملاك المسلمين.

لقد اضطر قسم كبير من المهاجرين من جزيرة كريت في القرن التاسع عشر إلى مغادرة الجزيرة دون أن يتمكنوا من بيع أملاكهم أو من تحويلها إلى سيولة أو تصفيتها بأي وسيلة أخرى. وقد بدأت بعض العائلات التي قدمت إلى تركيا ببدء معاملات قانونية لاسترجاع أملاكهم التي بقيت لهم ميراثاً من أجدادهم إستناداً إلى ما يملكون من وثائق ملكية وحجج بين أيديهم (في حال لم يكن هناك أي عملية بيع طبعاً). وتعتبر هذه الدعاوى التي يتم تقديمها وفق قوانين الاتحاد الأوروبي سابقة لا نظير لها. ولكن، وقبل التمكن من الاستفادة من قوانين الإتحاد الأوروبي، فإنه يجب في بداية الأمر استنفاد كافة الطرق القانونية المحلية في الدولة اليونانية، بمعنى أنه يجب التقدم قبل كل شيء بدعاوى قضائية في المحاكم اليونانية لطلب إستعادة ملكية هذه العقارات، وهو أمر مكلف جداً وصعب وطويل الأمد. وللتمكن من القيام بمثل هذه الدعاوى القضائية، يشترط حتماً وجود أوراق ثبوتية تؤكد ملكية المدعي للعقارات التي يطالب بها.

ملحـــق

إلى الإخوة الكريتيين

تبلغ رئاسة لجنة مساعدة المهاجرين المسلمين ما يلي:

يتوجب على المسلمين المهاجرين القادمين إلى إزمير وجوارها منذ العام ١٩١٢ وحتى اليوم، وبهدف تحديد وإحصاء ما تركوه من أملاك وعقارات في وطنهم من قبل لجنتنا، أن يتقدموا بما يملكونه من وثائق وسندات ملكية تتعلق بالمكان الذي قدموا منه، وذلك كل يوم في الساعة الثانية بالتوقيت الغربي في مركز جمعية المهاجرين الإسلامية التي تم تشكيلها، وذلك في مكتبها الواقع في الرقم ٣٠ في سوق حليم آغا في مدينة إزمير.

(أهينك إزمير، ١٩ كانون الأول ١٣٣٩-١٩٢٣)

الفصل الثالث

واقع المهاجرين المسلمين
من جزيرة كريت
في أوطانهم الجديدة

التراث الثقافي للمهاجرين الكريتيين في تركيا بين الماضي والحاضر

السيد يونس تشانغيل بهلولاكي [1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جئتكم من اهلكم الكريتيين في تركيا بالتحية والمحبة والسلام. الكل هناك يبادلكم أسمى أنواع المحبة والإشتياق. إنني لا أستطيع أن أجد الكلمات المناسبة للتعبير عن مدى سعادتي وفرحي لأنني اليوم بينكم. إنها الفرصة الأولى التي تسمح لي بأن ألتقي مع أقربائي من مهاجري كريت خارج حدود تركيا. لعل لقاء اليوم هو نهاية شوق عمره ١١٧ سنة، إنها مناسبة عظيمة أن يتحقق لقاء بيننا وبينكم هنا في لبنان. إنني أؤمن أن أجدادنا ينظرون إلينا اليوم بأعين يمتزج فيها الدمع مع الفرح والرضى، لأنهم هم أكثر من يعرف قيمة لقاء الجيل الثالث والرابع من احفادهم بعد مرور أكثر من قرن على تشتت العائلات الكريتية بين بلدان كثيرة ومدن شتى. هنا لا بد أن نذكر أجدادنا الذين غادروا هذه الحياة بقلوب منكسرة مقهورة، فنقف أمام دموعهم وقفة احترام وإجلال ونترحم على أرواحهم الطاهرة ونطلب لهم من الله العفو والغفران.

لم يعرف أهل كريت طعم الهناء والإستقرار لأكثر من قرنين فائتين بالرغم من أن كل الناس تنظر إلى هجرتهم ومحنتهم على أنها جرت خلال مئة عام خلت. ولكنني أرى إن الهجرة من الجزيرة قد مرت في أربع مراحل متعاقبة، كانت أولاها مع إعلان قيام

---

[1] رئيس جمعية المهاجرين الكريتيين في داوودلار - إزمير



ولد في داوودلار التابعة لمدينة أيدين عام ١٩٧٧أتم دراسته الثانوية في كوش أضاسي ثم تابع في جامعة التاسع من ايلول وحاز على شهادة الليسانس في الإقتصاد وادارة الأعمال. يتابع دراساته في قسم التاريخ في جامعة الأناضول. عمل موظفاً في رئاسة قلم بلدية داوودلار بين عام ١٩٩٩ و ٢٠٠٥.

أسس الجمعية التعاونية الكريتية للصداقة عام ٢٠٠٨ ولا يزال يترأسها حتى الآن. أسس جريدة (الكريتيون) وهو رئيس تحريرها كما أعد كتاب المصطلحات الكريتية باللغتين التركية والكريتية.

متزوج وله ولدان

الدولة اليونانية عام ١٨٣٠م وامتدت حتى العام ١٨٩٧م وهي فترة طويلة امتدت ٦٧ سنة، شهدت خلالها كريت موجات خفيفة من الهجرة وترك ارض الوطن. أما الثانية فكانت منذ العام ١٨٩٧ وحتى بداية القرن العشرين، وهي الفترة التي ترك فيها معظم سكان الجزيرة بيوتهم وخرجوا في قوافل كبيرة بحثاً عن الأمن والأمان فكانت تلك هي مرحلة هجرة معظم اجدادنا من كريت. المرحلة الثالثة كانت نتيجة معاهدة المبادلة، حيث خرج معظم من بقي من المسلمين من كريت في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٢٤ و١٩٢٦. المرحلة الأخيرة والنهائية كانت بين عام ١٩٣٠ و١٩٥٠ حيث لم يبق في كريت مسلماً واحداً بعد أن غادرتها البقية الباقية التي لم تدخل ضمن نطاق معاهدة المبادلة فكان ذلك النهاية الفعلية للعنصر التركي في جزيرة كريت.

اصبحنا نعلم اليوم أنه قد تم إسكان المهاجرين الكريتيين في العديد من الجزر وبلاد العالم العربي خارج حدود الأناضول التركي في وقت كانت كل هذه البلاد تقع تحت الحكم العثماني. ويمكننا اليوم ان نتحدث عن وجود مهاجرين في القارة الأوروبية وأمريكا. أما في تركيا، فنحن نوجد بأعداد كبيرة في مدن إزمير ومرسين وأنطاليا وآيدين وبورصة. وكما أن من الممكن جداً ان تصادفوا كريتياً في مدن سواحل المتوسط وإيجة، فهذا ايضاً هو الحال في الكثير من مدن البحر الأسود وقراه. لقد تم اسكان المهاجرين خلال العهد الحميدي في مناطق وسط الأناضول ولكن معظم أهل كريت المهاجرين غادروا هذه المدن بحثاً عن مناطق تطل على البحر فيعودوا الى الجو والطبيعة التي عرفوها وعاشوها في كريت. ولذلك فإننا نؤكد عدم بقاء اي كريتي في مدن قونيا وافيون ودنيزلي بعد أن مكثوا فيها فترة من الزمن. ويمكن لمن يقوم بالبحث عن اماكن اسكان المهاجرين في كريت ان يصل الى نتائج متعددة وكثيرة تشير الى اسكانهم في الكثير من المواقع التي ما لبثوا ان غادروها باتجاه السواحل والشطآن. ان السبب الحقيقي وراء مثل هذا التبديل السريع في المسكن ومكان الإقامة هو رغبة الجيل الاول ممن هاجر مكرها من جزيرة كريت في العودة الى وطنه الأم عندما تسنح له الفرصة في تحقيق ذلك... هكذا كان الجيل الأول يمني نفسه دائماً بالعودة الى جزيرة كريت!

لقد غادر أجدادي مدينة قنديه هرباً عام ١٨٩٧م فكانت وجهتهم الى الأناضول. لقد تركوا وراءهم كل ما يملكون من مال وملك وعقارات، ووطن وذكريات، وقبور وآمال... بل لقد تركوا كل شيء خلفهم إلا ما استطاعوا حمله من رداء ولباس قليل يستر اجسادهم متوجهين الى الأناضول، إلى ارض لا يعرفونها وأماكن لم تطأها اقدامهم من قبل. لقد أخذت الدولة العثمانية على عاتقها حماية أجدادي واسكانهم فبنت لهم القرى والدور. لقد بنيت قرية (عثمانية)، التي أصبحت اليوم تعرف بمحلة (عثمانية) التابعة لمنطقة داوودلار التي اعيش فيها، بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني، فكان فيها ١٠٨ بيتاً أوت اكثر من ٤٠٠ مهاجر كريتي الى منطقة كوش اضاسي التابعة لمدينة ازمير. لقد زودتهم الدولة بالمواشي والأراضي الزراعية والادوات اللازمة للحراثة وبذر الأرض وريها، فكانت هبة السلطان هذه جنة للمهاجرين في الأرض بعد نار الجحيم التي اكتووا بها في بلادهم. لقد وصف هيرودوتس المكان الذي نعيش فيه اليوم بأنه المكان الأجمل تحت قبة السماء في هذا الكوكب، مكان لا يمكن قياسه بأي موقع آخر، لا في الشمال ولا في الجنوب، ولا في الشرق ولا في الغرب، حيث البرد والرطوبة في بعضها، والشمس والجفاف في بعضها الآخر. وبالرغم من كل ذلك، فقد بقي جدي يعيش امل العودة الى كريت حتى قدوم طلائع المهاجرين الجدد بموجب معاهدة المبادلة التي قضت على كل احلامه بالعودة الى بيته ووطنه. مات حلم العودة الى كريت، وكان نبأ ذلك يأتي مع كل مهاجر جديد يأتي الى بلدتنا. هكذا كان جدي يتأمل الشاطئ بعينين دامعتين ترمقان جزيرة كريت من بعيد. لقد حلوا في اماكن بعيدة عن وطنهم الذي ولدوا وترعروا فيه، في أماكن لا يعرفون لغتها ولا عاداتها ولا ثقافتها. لقد استمرت صعوبات اللغة وآثارها السلبية الى الجيل الثالث منا، وكانت اللغة التي يتكلمها اجدادنا سبباً في نعتهم بأنصاف الكفار وفي استبعادهم عن الحياة الإجتماعية في وطنهم الجديد. لقد اضطررنا الى طمس عاداتنا وتناسي لغتنا وعدم ممارسة رقصاتنا الشعبية ليتسنى لنا أن نتأقلم مع الوطن الجديد الذي حللنا فيه.

لقد كان سكن المهاجرين في المدن الكبرى أو انتقالهم للعيش في مدن لا يوجد فيها مهاجرون كريتيون سبباً في نسيان العادات والتقاليد وضياع اللغة بشكل مبكر، لدرجة اننا بتنا لا نجد من يحسن التكلم باللغة الكريتية الأصلية إلا من فئة العجائز

الذين تخطوا عتبة عقدهم السابع. أما في القرى والأماكن الصغيرة، فقد استطاع المهاجرون ان يحافظوا على عاداتهم وتقاليدهم بشكل اكبر، ولكنهم فشلوا ايضاً في الحفاظ على اللغة التي ضاعت من ايدي الجيل الجديد، وانحصرت في من تخطوا العقد الخامس من عمرهم دون غيرهم من الناس. إن اللغة الكريتية الأصلية مهددة بالإنقراض في وقت قصير جداً.

صحيح أن الكثير من ابناء الجيل الثالث والرابع لا يزالون يدركون هويتهم الكريتية، إلا أن كثيراً من العادات والتقاليد والموروثات الكريتية قد اضمحلت واندثرت وضاعت من بين ايديهم. من هنا وجدنا الدافع الأكبر لتأسيس الجمعيات في الكثير من المدن والقرى التركية التي يسكنها المهاجرون، والتي تهدف اولاً وآخراً إلى الحفاظ على الهوية وإنقاذ ما تم نسيانه من التراث والثقافة والتاريخ. نحن اليوم نتحدث عن ١٣ جمعية كريتية في تركيا. نحن جمعية الصداقة الكريتية التعاونية الثقافية مركزنا في آيدين، جمعية الصداقة الثقافية للكريتيين الأتراك في مرسين، الجمعية الثقافية التعاونية للكريتيين الأتراك في طرسوس، الجمعية الثقافية التعاونية للكريتيين الأتراك في سيليفكا، جمعية المبادلين الكريتيين في تشوكوروفا – أضنه، جمعية الكريتيين في انطاليا، جمعية الصداقة والثقافة للكريتيين في ازمير، جمعية المبادلين الكريتيين في تشاشمه روملي، الجمعية التعاونية الثقافية للكريتيين والرومليين الأتراك في غامليك – بورصه، جمعية المبادلين في مودانيا، الجمعية التعاونية الثقافية لأبناء كريت ويانيا في مودانيا، جمعية الكريتيين في ايفاليك- باليكاسير. ونحن نفخر بالتعاون فيما بيننا لإنشاء اتحاد الجمعيات الكريتية في تركيا، ونبشركم بحسن سير الأعمال والتنسيق التام لإعلان هذا الإتحاد في العام ٢٠١٥ بإذن الله.

إن الجمعيات الكريتية كلها تنظم في المدن والقرى التي توجد فيها نشاطات ولقاءات ومهرجانات تهدف جميعها الى احياء التراث ولم شمل الأهل الذين بعثرتهم الأيام الخالية بين مدن وبلدان مختلفة في تركيا.

لقد نشأت جمعيتنا عام ٢٠٠٨ في وقت شعرنا فيه جميعنا ان هويتنا وتاريخنا وتراثنا مهدد بالضياع كلياً إن لم نتدارك الأمور ونقوم بما يلزم، فكان قرار تأسيس هذه

الجمعية لكي لا تبقى القضية الكريتية حبيسة بضع سطور مخطوطة في كتب التاريخ القديمة. لقد عزمنا أن نقوم بما كان يوصف بالمستحيل، واضعين نصب اعيننا لم شمل الكريتيين في تركيا اولاً ثم في البلاد المجاورة ثانياً وحيثما حل مهاجر كريتي في عالمنا الصغير. لقد وحدنا جهودنا كلها خدمة لهدف واحد هو إظهار ما خفي من حقائق قضيتنا وإعادة الروح الى ما بلي من عاداتنا وموروثاتنا الثقافية والإجتماعية.

إن أول ما قمنا به هو التواصل المباشر مع المسنين الكريتيين لرواية التاريخ كما عرفوه او شاهدوه، فقمنا بأكثر من عشرين مقابلة مع اشخاص مختلفة ولدت بين العام ١٩١٦ و ١٩٣٦. وقد كان الفضل الكبير لنجاح هذه المهمة يعود للدكتور تونجاي ارجان ساباتشي اوغلو الموجود بيننا في هذا المؤتمر. لقد كان تواصلنا مع هذا الأستاذ الكريم فرصة ذهبية لا يمكن تعويضها لبحث تفاصيل الهجرة من كريت والوقوف على ما خفي من معلومات بطريقة اكاديمية وعلمية بحتة. وإنني من هنا أجدد شكري العميق لهذا الأستاذ الكبير الذي لم يتوانى عن تقديم جميع انواع الدعم لنا ولجمعيتنا.

ثم فكرنا في طريقة اخرى للتواصل المنظم مع ابناء عمومتنا من جذور كريتية في كل تركيا فكان القرار بتحرير جريدة فصلية للكريتتين نتبادل من خلالها الأخبار والإعلانات ونعيد احياء التراث والحكايات عبر صفحاتها ونذكر الناس بالأمثال الكريتية والمطبخ الكريتي وغير ذلك من امور ثقافية واجتماعية. لقد نجحنا في توزيع خمسة آلاف نسخة من جريدتنا بشكل مجاني تماماً لتصل الى القراء في مختلف ارجاء الجمهورية التركية، كما اصبحت جريدتنا في متناول ايدي الجميع عبر نشرها على صفحة الجمعية على الانترنت على عنوان www.giritlilerdernegi.com

ثم كان مشروع احياء اللغة الكريتية بما تيسر من امكانات، فقررنا طباعة كتاب الكلمات والمصطلحات الكريتية كما نطق بها اجدادنا باللغتين التركية والكريتية، ونحن نتعاون اليوم مع اخوتنا في جمعية اولي النهى في لبنان لاستكمال هذا الكتاب وإضافة اللغة العربية اليه حتى يستفيد منه أبناء عمومتنا في البلاد العربية. نحن نهدف من كل ذلك الى التواصل مع احفاد المهاجرين في كل مكان، فنقول لهم اننا لم ننس ألمهم وأننا نريد ان نكون حلقة الوصل بين جميع الكريتيين في كل مكان في

العالم، نتبادل الأخبار والمعلومات ونتعاون لما فيه مصلحة قضيتنا وإنقاذ موروثاتنا. نحن اليوم نعلن للجميع اننا وبالتعاون مع الدكتور علي بكراكي وشقيقه الدكتور وسيم بكراكي، وبفضل الجهود الجبارة التي بذلاها استطعنا انجاز العدد الاول لجريدة الكريتيين باللغتين العربية والتركية لنضعها اليوم بين ايديكم. إنني احيي عائلة بكراكي واشكر جهودهم وتضحياتهم وتعاونهم معنا الى ابعد الحدود.

ومن اضخم النشاطات التي ننظمها سنوياً ونفخر بها هو المهرجان السنوي الذي يشارك فيه الكريتيون من جميع القرى والمدن الكريتية إضافة الى مشاركة متميزة من لبنان وليبيا، حيث نقوم بإعداد الأطباق الكريتية، وإقامة معارض الصور التاريخية القديمة للجزيرة وأبائها المهاجرين الأوائل الى تركيا، كذلك يقوم نساؤنا بمعرض أعمالهم اليدوية من حياكات وتطريز فني موروث من التراث الكريتي، واستضافة فنانين من جزيرة كريت يعيدوننا بألحانهم وأغانيهم القديمة الى أجواء الجزيرة فنستذكر امثال اجدادنا وترانيمهم والحانهم التي كانوا يرددونها على مسامعنا خلال ايام الطفولة والصغر. إن هذا المهرجان اصبح وسيلة لتلاقي الكريتيين من مختلف الأماكن، كما شهدنا من خلاله عودة التلاقي بين عائلات فقدت آثار اقربائهم فأضاعتهم ليعودوا ويلتقوا من جديد خلال هذا العمل الكبير الذي يشارك فيه الآلاف من ابناء المهاجرين واحفادهم.

لقد نظمت جمعيتنا الكثير من اللقاءات والمحاضرات التي اشرف عليها ونفذها ثلة من العلماء والمؤرخين المختصين بتاريخ جزيرة كريت من دون اي مقابل، نذكر منهم البروفسورة نوكيت اضي ياكا وزوجها مساعد بروفسور نوري اضي ياكا الموجودان بيننا اليوم. اننا نغتنمها فرصة لشكرهم من جديد على كل ما قدموه في سبيل خدمة تاريخ المهاجرين.

ومن آخر انجازاتنا فتح مراكز فرعية لجمعيتنا في الكثير من المناطق التركية، هدفها نشر ثقافتنا وتاريخنا واحياء تقاليدنا وعاداتنا. كما اننا بدأنا بشكل متواضع ومحدود تقديم المساعدات الى المحتاجين والمرضى وقمنا بتوزيع الهدايا خلال المناسبات الدينية إضافة الى مشاركتنا مع جمعيات المجتمع المدني في تركيا لحماية المرأة ضد

العنف وغيره من النشاطات الإجتماعية الأخرى. لقد قمنا بتكليف السيدة ملكة هاب دمير، وهي من جذور كريتية وخبيرة متقاعدة من مديرية الخدمات الاجتماعية، بأعباء الشؤون الاجتماعية في جمعيتنا وهي تقوم بالإشراف المباشر على معظم نشاطاتنا منذ اول العام ٢٠١٤.

إن المشاريع التي يجب تنفيذها لإحياء قضيتنا هي كثيرة جداً ولها أهميتها وأولوياتها. ومع مرور الزمن، وجدنا أن تأسيس مركز للبحوث الكريتية يأتي على رأس كل هذه الأولويات. من هنا تقتضي رؤيتنا ضرورة الحصول على نسخة من كل الوثائق العثمانية المتعلقة بجزيرة كريت والموجودة في ارشيف الدولة، وترجمتها الى اللغة التركية الحديثة لتسهيل فهمها وقراءتها، ومن ثم وضع ذلك في كتب وسجلات بحسب المضمون الذي تتحدث عنه تلك الوثائق. كما يجب تنقية الكثير من المغالطات المنشورة على صفحات الإنترنت والتي قام بوضعها الكثيرون من الذين قاموا بدراسات او بحوث تتعلق بتاريخ الجزيرة وخرجوا بمقالات ومنشورات تنقصها الدقة والحقيقة. إن الوصول الى المنبع الحقيقي الموثوق لهذه المعلومات هو السبيل الوحيد لتنقية الإنترنت من مثل تلك الدراسات والمعلومات المبثوثة يمنة ويسرة بشكل مضلل وغير صحيح. إننا وعلى هامش كل ذلك نقوم بتنفيذ مشروع إقامة مركز ثقافي للكريتيين سنقوم من خلاله بتعليم اللغة الكريتية مع الامثال والاشعار وكذلك تعليم الأشغال اليدوية التي برع بها الكريتيون بالاضافة الى احياء المطبخ الكريتي والموسيقى الكريتية القديمة. وسيكون من مهمات هذا المركز مساعدة الراغبين بالوصول الى اقربائهم في الشتات والتواصل معهم وبذل ما يمكن فعله لتحقيق هذا القصد. إن المادة الثالثة من قانون الاحوال الشخصية في تركيا الصادر عام ١٩٣٤ والذي دخل حيز التنفيذ في العام الذي يليه ينص على حظر استعمال القاب اجنبية تدل على انتماءات عرقية غريبة. لقد أفضى ذلك إلى ضياع معظم الالقاب التي كان يستعملها المهاجرون والمبادلون الكريتيون في الجزيرة، خصوصاً وأن معظمهم كان لا يتكلم التركية عندما طلب منه تغيير الكنية واستبدال الالقاب. هكذا سقطت (اكي) من كل القاب المهاجرين واتخذ الاقرباء المبعثرون بين المدن والقرى المختلفة كنيات متنوعة مما ادى الى انفراط عقد العائلات الكريتية وقضى على امكانية التواصل بين الاقرباء في البلد الواحد. وأحب ان اضرب المثل على عائلتي المعروفة بكنية

(بهلولاكي) في جزيرة كريت والتي اصبحت بموجب قانون العام ١٩٣٤ (تشانغيل) من طرف جدي عارف بهلولاكي، في حين اعطي لأخيه علي بهلولاكي لقب (ألتون)، وكل ذلك يعود إلى جهل اجدادي بالتركية وجهل مأمور النفوس بالكريتية. ويا ليت الأمور وقفت عند هذا الحد، إلا أن أحد اولاد أجدادي قد اعطي لقب (بيليش) وابن عمه مصطفى بهلولاكي صار من عائلة اسمها (هواردا)، وآخر من اولاد العم صار من عائلة (حق ألماز) وهو يدعى حسن بهلولاكي. لقد صارت عائلتنا مقسومة الى خمس عائلات لا تشبه بعضها ابداً ولا يمكن التعرف على ادنى صلة وصل فيما بينها بأي شكل من الأشكال. وبهذه الطريقة ضاع الأقرباء وضاعت فرص التلاقي بين افراد العائلة الواحدة من جديد. من هذا المنطلق، بدأنا بإعداد بنك معلومات لحصر العائلات القديمة وما آلت اليه فيما بعد بموجب القانون الجديد لنصل ما انقطع ونعيد اللحمة الى العائلات الكريتية المشتتة.

إن مهمات مركز البحوث الذي نعده لا ينحصر فقط بالعائلات الكريتية الموجودة في تركيا ولكنه سيتعدى ذلك للوصول الى كل العائلات الكريتية في الشتات وخصوصاً في البلاد العربية. إننا نؤمن ان كثيراً من الكريتيين الاتراك لهم اقارب في لبنان وسوريا وليبيا وغيرهامن البلاد، لذلك لا بد من التواصل الفعلي مع ابناء العم في البلاد العربية لنكمل رسم الصورة ونحقق الهدف المنشود بأفضل طريقة ممكنة. ولن نقف عند هذا الحد وحسب، لأننا نؤمن ايضاً بوجود اقرباء لنا في داخل الجزيرة الى اليوم، ولا بد من التواصل مع مراكز للبحوث داخل كريت لانجاز المهمة بشكل كامل. إننا نبذل قصارى جهدنا لتحقيق مشروع مركز البحوث الكريتية في تركيا ونأمل ان نخبركم بهذا الإنجاز الكبير في القريب العاجل بإذن الله.

نحن نمشي بخطى ثابتة نحو تنظيم جدي للكريتيين الأتراك في تركيا. لقد بدأت فروعنا تعمل بشكل جيد في معظم المناطق التي يعيش فيها المهاجرون، كما نتمنى ان نصل الى يوم نعلن فيه عن قيام الإتحاد العالمي للجمعيات الكريتية ليكون صوتنا مسموعاً بشكل افضل وتكون نشاطاتنا منظمة ومنسقة على المستوى المطلوب. هذه هي

الطريقة الوحيدة لتحقيق النجاح المنشود ، ونحن نرى ان التواصل بيننا وتكاتفنا ومساندة بعضنا لبعض هي السبل الناجعة للوصول الى هذا الهدف.

يجب ان نسأل أنفسنا عما يستطيع كل فرد منا ان يفعله على هذا الطريق، وماذا يعني لنا انتماؤنا الى الهوية الكريتية. إن المحاضرات التي القيت خلال هذا المؤتمر ستساعد الكثير منا للوصول الى اجوبة لطالما بقيت عالقة في الاذهان لفترات طويلة من الزمان.

انا اعلم ان لكل كريتي مهاجر الى لبنان حكاية حزينة يرويها. حكايات عذاب وقهر سمعناها من آبائنا وأجدادنا وبقيت حبيسة صدورنا لفترات طويلة. ولكن اسمحوا لي ان اشارككم قصة سمعتها من عائلة كريتية كان لها أثرها الذي لا يمحى من عقلي وذاكرتي.

إن العام ١٩٢٤ كان عام حزن وكدر في جزيرة كريت. آلاف المسلمين كانوا على موعد مع من سبقهم بمغادرة الجزيرة. آلاف العائلات تتحضر للهجرة وترك الوطن. كانت عائلة من قرية (هاراكي) التابعة لمدينة قندية تحزم امتعتها وتتهيأ للرحيل إلى تركيا. كان كبير العائلة يوصي ولده (كاظم) الذي لم يتجاوز السادسة عشر من العمر ويقول: "نحن ذاهبون الى تركيا ، أما أنت فستبقى هنا للحفاظ على أملاكنا وبيوتنا. سنقيم الوضع هناك، فإذا رأيناه أفضل أرسلنا اليك لتلحق بنا ، وإن لم يكن كذلك فسنعود كلنا اليك. حذار من أن تفرط بما لديك من مال وملك، لأننا لا نريد أن نشقى إن كتبت لنا العودة الى هنا". هكذا انطلقت العائلة الى إزمير تاركة وراءها ابنها كاظم وابنها الآخر مصطفى الذي كان منخرطاً بالإكراه في صفوف الجيش اليوناني. لقد استطاع مصطفى ان يهرب من الجيش ويتوجه الى القرية ، كان ينوي أن يصل الى اخيه ليفرا معاً الى تركيا. ولكنه فشل في الوصول الى ما يريد وسقط اسيراً ليلقى به في سجن الفارين من الخدمة العسكرية. لقد استطاع مصطفى بمساعدة بعض رفاقه الروم ان يهرب من السجن بعد فترة من الزمن، ولكنه لما عاد الى القرية لم يجد اخاه واضطر الى مغادرة كريت حاملاً في قلبه ألم فقدان أخيه وعلى جسده وشم السجن العسكري.

لقد سمعت قصته من العم بلال تورك أوغلو وهو الإبن الأكبر لمصطفى. يقول: كنت اسمع ابي يروي لنا تفاصيلاً عن اخيه كاظم، كيف كان شكله، وكيف كانت حركاته وعاداته وماذا كان يحب ويكره. كانت النساء كلما نظرت في فنجان القهوة تحكي انها ترى ما يدل على ان كاظم لا يزال على قيد الحياة في مكان ما في الجزيرة. كان الكل يعيش امل لقياه في يوم من الأيام.

وفي العام ١٩٦٨ لم تمنح السفارة اليونانية السيد (زهني) صهر مصطفى تورك أوغلو لأخته الكبرى تأشيرة الذهاب الى كريت لأنه كان من مواليد الجزيرة. فما كان منه الا ان ذهب الى فرنسا وحصل من هناك على إذن الدخول الى كريت. هناك لم يوفق العجوزان في الوصول الى اثر يوصل الى الأخ الضائع (كاظم) وعادا الى تركيا خائبين حزينين. لقد غضب مصطفى من اخته وصهره ولم يتقبل فكرة ان يعودا الى كريت ولا يصلا الى أخيه الضائع أو عن أي خبر يمت اليه بصلة. ثم تمضي السنوات وتغمض الأخت الكبرى عيناها وكذلك مصطفى بعد ذلك دون ان تكتب لهما رؤية اخيهما أبداً. ولكن الحكاية لم تمت بموتهما، وها هو بلال ابن مصطفى يتجهز للسفر الى القرية التي ترعرع فيها والده في جزيرة كريت في يوم من الأيام.

وخلال الزيارة هذه، استطاع بلال تورك أوغلو الذي كان لا يزال يتقن اللغة الكريتية كسب مودة الكثيرين من اهل كريت، ونشأت بينهم صداقة ومودة، ليبادلوه الزيارة الى بيته في منطقة (سوكه) التابعة لمدينة ازمير. وفي احد الأعياد، إتصل احد الكريتيين بالعم بلال بقصد المعايدة، وكان من كبار التجار الذين يوزعون البضاعة على المحلات في كل مدن وقرى كريت. خلال الحديث الهاتفي، طلبت ام العم بلال من التاجر ان يقوم بالبحث عن اي اثر لكاظم بعد مرور اكثر من ستة وثلاثين عاماً على مغادرة الجزيرة.

ولم تطل المدة حتى عاد التاجر بالخبر اليقين. لقد أصبح اسم كاظم في تلك القرية (توركو ليفتيري) وهو التركي الوحيد الذي بقي في تلك القرية. فكان سكانها يتهمونه بكل سيئة تحصل فيها ويسوقونه الى المخفر مرة تلو المرة، حتى ضاق ذرعاً بنفسه وحياته فتنكر تحت اسم مستعار واخفى هويته الأصلية واستقر في مكان لا يعرفه جيرانه

القرويون. هكذا ضاع كاظم ولم يعد بإمكان احد ان يجده كل تلك المدة. لقد استطاع التاجر الكريتي ان يجد عم السيد بلال تورك أوغلو واستطاع ان يصل الخيوط بينه وبين مختار القرية التي هاجر اليها كاظم داخل كريت. ثم كانت مكالمة بين بلال وعمه كاظم وكان سمعه قد صار ضعيفاً جداً. يروي السيد بلال ان عمه كاظم ناداه باسم ابيه مصطفى، وجاوبه بأن مصطفى قد رحل عن هذه الدنيا... ثم طلب منه بلال ان يأتي الى تركيا ولكن كاظم رفض ذلك وقال انه اصبح رجلاً مسناً وعاجزاً ولا يقدر ان يغادر بيته الذي يسكن فيه. لقد روى كاظم تفاصيل ما عاناه في كريت، كيف تنكر مع رفيقه حسين وهربا الى الجبال وعاشا في الكهوف وأكلا التين البري وشربا من مياه النهر شهوراً طويلة. ثم رويا كيف التقيا بسيدة من الروم، رأفت لحالهما فأخذتهما معها بعد أن طلبت منهما ان يتعمدا في الكنيسة ليصدقهما الناس ولا يؤذونهما. وهكذا كان...

يقول السيد بلال: لم أجرؤ على سؤال عمي عن دينه في تلك اللحظة... ماذا انتظر من رجل مسن يعيش آخر لحظات حياته؟! مسلماً كان أم نصرانياً! لقد كان كاظم ضحية عائلته التي تركته وحيداً أمام قدر مجهول بهدف الحفاظ على بيت وقطعة ارض. لقد واجه العجوز في شبابه كل الوان القهر والعذاب، فعاش وحيداً يتحدث عن عائلة وإخوة فقدهم فلا يصدقه احد، بل كان ذلك أداة سخرية وهزء يستمتع بها الشباب في ذلك الحين ليزيدوا قهر هذا الرجل البائس وتعاسته. اما اليوم، فها هو كاظم يقف امام ابن اخيه، بعد كل تلك السنوات، يصرخ في وجه كل من اتخذه هزواً في يوم من الأيام... هاكم عائلتي التي تحدثت عنها طول عمري... هاكم ابن اخي الذي وجدني بعد كل تلك السنين!

لقد كان اللقاء الأول بين العم وابن اخيه في جزيرة كريت عام ١٩٨٥... سأل عن أخيه فقال: إيدا كان او موستافاس؟ كيف حال مصطفى؟؟ فجاوبه السيد بلال: أفتوس إيبوتيني .. لقد مات!!! فضرب يده على رأس وقال: الله! ثم سأل العجوز مرة اخرى: تشي زينب إيدا كان؟ كيف حال زينب... فكان نفس الجواب: أفتوس إيبوتيني... فضرب يده على رأسه مرة أخرى وقال: الله!!!

لم يكتب لكاظم او توركو ليفتيري ان يرى تركيا أو ان ينطق بالتركية ابداً ، ولكنه تعرف الى فتاة تركية من كابادوكيا فتزوجها في كريت وعاشت معه الى ان لفظ انفاسه الاخيرة بعد ان نجح في إثبات ما قاله دائماً : ها هي عائلتي التي انتمي اليها ، هي امامكم اليوم رغم اني عشت كل عمري من دونها...

هذه حكاية واحدة من آلاف الحكايات الحزينة التي صنعتها هجرة المسلمين من كريت، حكايات عائلات تشرذمت وبيوت هدمت واوصال تقطعت... اللهم لا تذق أي ملة وأي شعب على الكرة الأرضية مثل هذا العذاب ومثل هذا الظلم.

مع فائق المحبة والاحترام

رئيس جمعية الصداقة الكريتية الثقافية التعاونية

الكريتيون المسلمون في لبنان... من أين... وإلى أين؟

د. علي إبراهيم بكراكي [١]

تعتبر طرابلس المدينة الثانية في لبنان وعاصمة الشمال فيه. صحيح أن غالبية سكان هذه المدينة هم من المسلمين السنة، إلا أن طرابلس غنية بتنوع المذاهب والأديان فيها وجديرة بحق أن يطلق عليها لقب مدينة التعايش والتسامح.

يتكون النسيج الطرابلسي من مسلمين سنة وشيعة وعلويين، ومسيحيين موارنة وروم، وتركمان وأرناؤوط، وشراكس وأرمن واكراد وغيرهم ايضاً. من ضمن هذا النسيج مكون مهم وأساسي، مثله مثل أي مكون آخر في نسيج طرابلس الجميل، ولكنه تعرض للنسيان من قبل كل من أرخ لهذه المدينة، فأغفل في المقالات والكتب والبحوث. لم يره السياسيون ولم يشعروا حتى بوجوده... إنهم جماعة إثنية صغيرة تعيش في تؤدة وسلام في طرابلس الشام... إنهم المهاجرون المسلمون من جزيرة كريت. صحيح أن كثيراً من اهل طرابلس ينادونهم بالمهاجرين، إلا أن قلة قليلة فقط تعرف تاريخهم وحكاية هجرتهم. ولطالما كان لقب المهاجرين كلمة محببة عند الكثيرين لما يحمله من دلالة اسلامية واضحة تجعل من هذه الإثنية المختلفة في الأصل والتاريخ من لبنات المجتمع الأساسية في طرابلس ولبنان.

---

[١] طبيب اختصاصي في الجراحة العامة والمنظارية

مواليد طرابلس ١٩٧٢

درس الطب في جامعة مرمرة في اسطنبول وتخرج منها عام ١٩٩٤ ثم أخصائياً في الجراحة العامة من نفس الجامعة عام ٢٠٠٠

مارس الجراحة في العديد من مستشفيات طرابلس والشمال منذ العام ٢٠٠٠ وحتى اليوم.

أسس جمعية أولي النهى عام ٢٠٠٦ وترأس الجمعية منذ العام ٢٠٠٩ حتى الآن.

كتب العديد من المقالات والكتب التي تؤرخ لجزيرة كريت والمهاجرين المسلمين كما شارك في العديد من المؤتمرات والمحاضرات في لبنان والخارج.

أما إذا سألنا أهل طرابلس القدامى فسنجد إجابة مشتركة بين الجميع تدل باختصار على ما جرى وقتها، وهو أن العثمانيين أتوا بالمسلمين المهاجرين من جزيرة كريت وأسكنوهم في لبنان. إن أجمل من روى حكاية المهاجرين بعد أن عاصرها هو الأستاذ فضل المقدم رحمه الله، وهو رئيس سابق لدائرة التربية الوطنية والتعليم في لبنان. يقول: (لقد ارسل العثمانيون الى ولاتهم في طرابلس يخبرونهم بقدوم المهاجرين ويأمرونهم بالوقوف على جميع احتياجاتهم وتأمين كل ما يلزمهم من مال ومسكن وطعام. لقد أعطيت اوامر الباب العالي ببناء البيوت وإنشاء الأماكن اللائقة لإسكانهم كما يجب دون تلكؤ ولا تقصير، كما أمر أرباب الأمور باستقبالهم فكان والي المدينة يرافقه أعيانه ومساعدوه ويقف معه مسؤول الخزينة وبيت المال موجودون جميعهم بانتظار البواخر التي تحمل المهاجرين. كان الخزندار يقوم بتدوين كل عائلة تنزل من السفينة ويحدد أفرادها وعدد الأولاد فيها ويسلم رب العائلة نقداً ما قررته الحكومة العثمانية وقتها. وبعد انتهاء هذا العمل، تم توزيع المهاجرين على الخانات والبيوت. كان من بين القادمين أصحاب حرف وأغنياء وأغوات حملوا معهم مالا من الجزيرة التي قدموا منها. كان هؤلاء قادرون على أن يشتروا بِحُرِّ أموالهم ما يلائم عائلاتهم من دور وما يتناسب مع حالاتهم الإجتماعية التي تميزوا بها في كريت.)

أما السيد مصطفى النعوشي فقد روى لي كيف تعرف إلى جدي وأخيه. قال: (كنت أمشي إلى مشغل الخياطة الذي أملكه في ساحة النجمة كل يوم، فأمر بباب مشغل أحذية المهاجر الذي كان في شارع المطابع. كان يشدني منظر رجلين حمر الوجوه، أحدهما له عينان زرقاوان يلمعان في وجهه كالنجمة في السماء. كانا يلبسان صدريات مزركشة وسراويل عربية ويعتمران الطرابيش التركية. كانا يتكلمان مع بعضهما لغة لم نكن نفهمها ولا نعرفها. كان من الواضح أنهما من أغوات العثمانيين الذين يسكنون في طرابلس ويملكون مصنعاً للأحذية كان يصنّف على أنه الأفضل في المدينة. لقد استطاع علي وخالد آغا أن يدخلا إلى قلوب الجميع بابتسامتهما ورقتهما وشهامتهما التي بات يعلمها القاصي والداني. نعم فهؤلاء الأغوات هم أولاد عبد الحميد آغا بكراكي المهاجر من جزيرة كريت. لقد فقدت التواصل معهما بعد أن جرى تنظيم جديد للمدينة فضم مكان عملهما فذهبا من محلتنا إلى مكان آخر.)

يروي لي والدي كيف كان يصطحبني إلى مقهى عمه عبد السلام أو إسلامي كما يناديه الجميع في عائلتنا. كان هذا المقهى هو ملتقى العائلة في يوم من الأيام. كانت تختلط فيه اصوات النراجيل مع روائح الزهورات وشراب الفاسكوميليا الذي كان لا ينقطع من أي بيت كريتي. أذكر جدتي تضيفه إلى كل من يأتي الى بيتها. وبالرغم من طعمه المر نسبياً إلا ان رائحته الجميلة كانت تملأ المكان، وكانت جدتي تجبرنا على شربه لأنه مفيد لكل آلام البطن وحالات الغثيان وعسر الهضم، كما أنه شراب الكريتيين المفضل. لقد توفي اسلامي في اول سنوات طفولتي، فانتقلت ملكية المقهى الى شخص آخر لأنه توفي عازباً ولم يقدر له أن يترك نسلاً وذرية، ثم ضاع مقهى الكريتيين كما ضاعت الكثير من الآثار التاريخية في لبنان بسبب الحروب الداخلية وانتشار الدمار في كل مكان. إن مصير هذا المقهى يشبه مصير معظم الخانات التي حل فيها المهاجرون في يوم من الأيام. حتى حي المهاجرين الذي بناه العثمانيون في باب التبانة لاستقبال العائلات الكريتية، يوم كانت التبانة منطقة من أكثر مناطق طرابلس حيوية وحركة تجارية، أصبح مهجوراً من المهاجرين إلا من بيت أو بيتين. إن لوحة البلدية التي كتب عليها اسم حي المهاجرين لا تزال صامدة رغم كل الحروب التي شهدتها المدينة، ولكن المهاجرين لم يصمدوا. لقد خرج كل من استطاع منهم أن ينتقل إلى مكان أكثر أمناً ليبتعد عن منطقة كثرت فيها الحروب وزاد فيها الفقر والحاجة فلم يبق من حي المهاجرين الا اسمه. لم يبق في طرابلس ما يمكن أن ينسب للمهاجرين يوم قدموا إلى هنا منذ أكثر من مئة عام.

في الحقيقة أننا بتنا لا نفكر كثيراً في ما ضاع من بناء او خان أو حي، فالقضية بذاتها أصبحت مهددة بالضياع. إن قسماً لا بأس به من المهاجرين في طرابلس لا يزالون يحاولون الحفاظ على الهوية الكريتية، ولكن طبيعة العيش في المدن واضطرار المهاجرين الى السكن في مختلف المناطق في المدينة جعلهم حكماً يبتعدون عن بعضهم البعض، وهو ما يهدد التراث بالإنقراض مع مرور الزمن. إن من واقع المدينة في يومنا هذا أن المهاجرين موجودين في كل احيائها وأزقتها ومناطقها، وهنا تجدر الإشارة إلى ان بعض المناطق في طرابلس تزدحم بالمهاجرين اكثر من غيرها كمنطقة النوري وباب الرمل ومحيط الجامع الكبير وكذلك في بعض احياء الميناء. صحيح ان المهاجرين قد انتشروا في كل

طرابلس، كل حسب امكانياته المادية وطبيعة عمله أو صنعته، ولكن الجميل ان كل ابناء المهاجرين وأحفادهم لا يزالون يتواصلون بشكل من الأشكال ويعرف بعضهم بعضاً بطريقة أو بأخرى، ويتلاقون في المناسبات السعيدة أو الحزينة كالأفراح او في مجالس العزاء. قد يكون هم الجميع عندما يتلاقون يتلخص في ضرورة الحفاظ على التراث ولغة الأجداد. صحيح أن هذه الأمنية تبدو بسيطة أو ممكنة، إلا أنها ليست كذلك في مجتمع عربي ناطق بالعامية، خصوصاً مع ازدياد حالات الزواج بين أحفاد المهاجرين والسكان الأصليين لمدينة طرابلس وجوارها. لقد كان الجيل الأول من المهاجرين حريص على ان لا يتكلم غير اللغة الكريتية الأصلية وان لا يتزاوجوا مع العرب، إلا ان هذا الأمر قد سقط ايضاً بحكم الضرورة وتعمق العلاقات بين اولاد المهاجرين ومحيطهم. إننا اليوم نتكلم عن نسل هجين لأبناء المهاجرين وأحفادهم، وسيزداد هذا الأمر قسراً مع مرور الزمن ولن يكون في استطاعة أحد أن يوقفه. في الحقيقة اننا نعيش في طرابلس بين اهلنا ومجتمعنا الذي نشبهه في كل شيء تقريبا وهو ما يجعل عملية انصهار احفاد المهاجرين أمراً حتمياً غير قابل للنقاش. لقد كثرت العائلات في طرابلس التي نجد فيها جدة أو أماً من ابناء المهاجرين او احفادهم، كما بتنا نجد من بعض عائلات المهاجرين من تبدل اسم عائلته لأسباب كثيرة ومتعددة. هناك بعض من أحفاد المهاجرين الذين لا يلقون بالاً لتاريخ أجدادهم ويبادرنا بجمل مفادها ان لا فائدة من استذكار الماضي او البحث في اعماق التاريخ ونبش الجذور، فنحن اليوم عرب ولبنانيون ولا شيء اكثر. ويتابع هؤلاء فيقولون أن استحضار الجذور الكريتية قد يجلب الضرر لنا في بلدنا الذين ولدنا فيه، وأن العودة إلى الماضي أو البكاء على الأطلال أمر مذموم وأن النجاح يكمن دائماً في التطلع إلى الأمام وليس أبداً بالعودة إلى الخلف. قد يكون ذلك تفكيراً عقلانياً، ونحن لا نريد باستحضارنا لما عاشه أجدادنا أي رجعية أو نبش لمشكلة طوتها الأيام، ولكن ذلك لا يبرر ضياع الحقائق والحقوق ولا طمس التاريخ.

هكذا نجد أن المجتمع الكريتي الجديد في طرابلس يتأرجح بين من يحاول نسيان تاريخ جده بالكامل ومن يريد أن يعيش الحكاية والتراث والتقاليد إلى أبعد حد ممكن. كذلك نرى بعداً آخر لأولئك الذين يهمهم الحفاظ على التراث يتمثل في نقاش طويل وجدل عقيم حول هوية المهاجرين. هل نحن يونانيون أو أتراك؟ إنه جدال يشبه النقاش في

جنس الملائكة ولا طائل منه بأي شكل من الأشكال. ففي حين يقول البعض أن أجدادنا كانوا يتكلمون اللغة اليونانية ولا يعرفون غيرها، وأن هذا خير دليل على قوميتنا اليونانية، يقول الآخرون وأنا واحد منهم أن ذلك لا يشكل بتاتاً أي دليل على انتماء قومي، وأننا أخرجنا من ديارنا بسبب انتمائنا للأمة العثمانية، وهذا انتماء ديني غير قومي ولا عرقي. ولو كان للانتماء القومي اعتبار في كل ما جرى لبقينا في جزيرة كريت ولما خرج منها مسلم واحد. إننا نرى ان كل مهاجر من جزيرة كريت قد خرج منها بسبب انتمائه العثماني وأن الدولة العثمانية هي الطرف الذي بذل الغالي والرخيص في سبيل إيواء أجدادنا بأفضل طريقة وعلى أتم وجه.

وفي نفس الإطار، يمكننا الغوص في صراع الهوية الكريتية بشكل أعمق، فهناك من الأحفاد من هو شغوف بحس انتمائه لليونان. لقد كان اليونانيون سريعون في التواصل مع مجتمع الكريتيين في طرابلس والحميدية في سوريا، واستطاعوا أن يقوموا بالكثير من الدراسات والمقابلات التلفزيزنية والصحافية، كما انهم استطاعوا أن يضعوا في رؤوس البعض فكرة ان الأتراك قاموا بإجبار أجدادهم إلى التحول من المسيحية إلى الإسلام، وأن الأساس العرقي لكل المهاجرين هو الإيوني دون غيره. ونحن نقول بأن الجزيرة قد فتحها آلاف العساكر من الإنكشاريين، ورافقت الطرق الصوفية وخاصة البكطاشية فرق العسكر العثماني وفتحت التكايا في كل مدن كريت دون استثناء، كما أن الدولة العثمانية حكمت الجزيرة فترة ٢٥٠ عاماً تعاقب فيها موظفون حكوميون على تسلم مختلف المهمات وتقلد الكثير من المناصب، واستقدم خلالها العلماء والمشايخ لتدريس الإسلام، فهل يعقل بعد كل هذا ان لا يكون بين المسلمين في كريت إلا العرق الإيوني؟؟؟ وإن لم يكن الأتراك هم من بنوا المساجد والزوايا والمدارس والحمامات في جزيرة تقع في وسط المتوسط فمن فعل كل ذلك؟؟؟

إننا نقول وبكل وضوح أن أحفاد المهاجرين لا يملكون من حقائق التاريخ إلا النذر اليسير، وان الأمور مختلطة في عقول الكثيرين بشكل كبير جداً، ولا يعرف معظمهم إسم المدينة او القرية التي هاجر منها جدهم أو العام الذي خرج فيه من هناك. الحق ان سبب النقاش العقيم الذي ذكرنا تفاصيله سابقاً ينبع من هذه الحقيقة. إن التواصل اللغوي كان الأساس الذي بنى عليه الطرف اليوناني جسور التواصل مع أحفاد المهاجرين

لإيصال أفكاره ودعاياته، ولم يكن هناك على المقلب الآخر من يقول عكس ما يدعون. قضيتنا تضيع اليوم بسبب ضياع قدرة بعض شبابنا على إدراك ما جرى في جزيرة كريت منذ أكثر من مئة عام.

من حسنات هذا النقاش أننا اتفقنا دون خلاف على هويتنا الإسلامية وأن أجدادنا تعرضوا للمجازر و تم إخراجهم من الجزيرة لأنهم مسلمون. تبقى قلة قليلة من الذين ارسلوا أولادهم إلى قبرص او اليونان للعمل او الدراسة يجتنبون الخوض في هذه المسائل حتى لا يعرضوا أرزاقهم وما يكسبون لأي خطر ونحن نتفهم ذلك بشكل تام.

من النقاط الأخرى التي لا يختلف عليها اثنان في مجتمع المهاجرين هو الحب للسلطان عبد الحميد الثاني والشعور بالمنة لما قامت به حكومته من أعمال لإنقاذ الأجداد من العقاب او القتل، وكذلك استذكار بنائه لقرية الحميدية الواقعة اليوم ضمن حدود سوريا من أجل إيواء المهاجرين وإسكانهم بالشكل الذي يرغبون فيه ويريدونه. ونحن نرى ان هذه هي نقطة الإنطلاق الأنسب للتواصل مع مختلف الآراء للإلتقاء معهم على مفهوم واحد.

لعل معظم ابناء المهاجرين وأحفادهم في طرابلس قد سمعوا من آبائهم او أحد أجدادهم عن وجود أقارب لهم في تركيا. لذلك فإننا نجد محاولات الوصول الى الأقارب الموجودين خارج حدود الجمهورية اللبنانية نقطة مشتركة عند الكثيرين منهم. ونحن نعترف ان ذلك هو من اصعب المهام التي قد يحاول المرء تنفيذها، لأنها تشبه البحث عن ابرة في كومة قش، فأسماء العائلات قد تغيرت في تركيا واستبدلت بألقاب لا علاقة لها باللقب الذي كان سارياً بين المهاجرين من جزيرة كريت، كما أن العائلات تفرقت بين ليبيا ومصر والأردن ولبنان وسوريا وربما في بلاد اخرى لم نعلمها حتى تاريخ كتابة هذا المقال. لقد استطعنا التواصل مع الكثيرين من احفاد المهاجرين في مختلف البلاد، كما ساعدنا الكثيرين من الراغبين في البحث عن الأقارب بأن نمسكهم طرف الخيط، وقد حققنا نجاحاً في تعريف الكثيرين من أحفاد المهاجرين في لبنان مع جيرانهم في البلاد الأخرى، ونحن نكمل مشوارنا مع كل أصدقائنا الموجودين في معظم البلاد التي هاجر إليها المسلمون الكريتيون على الرغم من كل الصعوبات التي تقف في وجهنا.

إننا وبعد مرور اكثر من ١٢٠ عاماً على هجرة أجدادنا من جزيرة كريت لا نزال نقتنع أن إمكانية توحيد أحفاد المهاجرين هي كبيرة جداً، ذلك لأن الأشياء التي تجمعنا هي اكثر بكثير من الأشياء التي تفرقنا، كما أننا نتفق على نقاط أعمق من تلك التي نختلف عليها. يكفي أن يكون حب كريت هو العامل المشترك الأبرز بيننا، وأن الشوق إلى حكايات الأجداد وإبقاء التقاليد والتراث حياً هو من الهواجس الموجودة في كل بيت ورث من المهاجرين الأوائل شيئاً مهما كان قليلاً. إن مشاغل الحياة اليومية قد جعلت كل شخص منا مهتماً بكسب قوت يومه وكفاية عائلته، مما جعل معظم احفاد المهاجرين لا يملك وقتاً ولا مالاً يصرفه في سبيل الحفاظ على تراث او تاريخ. هنا وكما نقول دائماً، فإن العبء الأكبر في تحقيق ذلك يقع على كاهل الطبقة الغنية والمتعلمة من ابناء المهاجرين واحفادهم.

إن ما يجب فعله كثير وكثير، ولكننا أوجزنا ما نراه على أولويات جدول أعمالنا.

أولاً : تنظيم مؤتمرات سنوية او محاضرات دورية لتناول القضايا المتعلقة بالمسألة الكريتية، يشرف عليها اساتذة متخصصون في التاريخ، يستمعون الى الأسئلة ويجاوبون عليها فيوضحون العالق من المسائل ويضيؤون على الجوانب المظلمة من التاريخ التي لم يفلح الآخرون في سبر أغوارها. يجب ان تنتهي هذه المؤتمرات السنوية بوضع خطة عمل قد تكون خمسية أو عشرية، تكلف بها فعاليات مجتمعنا المدني والجمعيات الفاعلة القادرة على حمل المسؤولية.

ثانياً : تحفيز طلبة التاريخ في كل البلاد التي سكنها المهاجرون المسلمون من كريت إلى القيام بأبحاث تتعلق بهذا التاريخ وتأمين وصولهم الى الأرشيف العثماني وحصولهم على الوثائق التي تثري بحثهم لكتابة الأطروحات المتعددة التي ستكشف يوماً بعد يوماً ما خفي من أحداث هذه الهجرة وتضع الأمور في نصابها الصحيح. ونحن نحبذ أن يكون من بين جماعتنا من يرغب في دراسة التاريخ والتخصص في احداث كريت ونحن على استعداد لـامين كل سبل الدعم له لتحقيق ذلك.

ثالثاً : تحرير جريدة (المهاجرون الكريتيون) بشكل دوري قد يكون بداية ينحصر في اربع نشرات سنوية، هدفها ايصال المعرفة الى المهاجرين وتحقيق اللحمة بينهم عبر

تعريف الناس ببعضها ووضع دعايات لأصحاب المهن والحرف من ابناء المهاجرين وأحفادهم وكذلك نشر تفاصيل نشاطات سابقة والإعلان عن نشاطات قادمة. كما نأمل بأن نصل الى اليوم الذي نستطيع فيه ان نول توزيع الجريدة بشكل مجاني على كل المهتمين بهذا الشأن.

رابعاً : لقد بات ضرورياً ان يكون لدينا مركز ثقافي كريتي يكون مكاناً للقاء الناس والقيام بأنشطة نافعة دورية ومستمرة. ولقد أنجزنا الكثير على هذا الطريق وما بقي الا القليل لنحقق هذا الأمر.

خامساً : العمل على رفع المستوى الثقافي والتعليمي عند ابناء المهاجرين الأذكياء ليستطيعوا متابعة المشوار وحمل اعباء القضية عندما يحين أوان تسليم المهمة الى الجيل القادم. إننا نؤمن أن مثل هذا الجيل هو المخول لفهم القضية الكريتية بالشكل الصحيح وهو من سيحمل المسؤولية بعدنا ، ونأمل أن نصل الى يوم نفتتح فيه مؤسسات تعليمية تركية في لبنان يكون لأبناء المهاجرين فيها مراعاة خاصة ومعاملة متميزة.

أخيراً : لقد صار لزاماً على كل من يملك أي وثيقة أو تذكرة هوية أو صورة فوتوغرافية تتصل بالتراث الكريتي ان يحافظ عليها لتكون في المستقبل جزءاً من معرض المقتنيات والوثائق الكريتية التي ننوي تنظيمها بشكل مستمر ونأمل من الجميع أن يشاركنا في ما يملكه ويحافظ عليه.

ما يجب القيام به كثير وكثير، فلنبدأ بالعمل منذ الآن، لأن النجاح هو حليف العاملين ولن يكون ابداً إلى جانب القاعدين.

الدراسات باللغات العربية والغربية عن القضية الكريتية

سعيد إبراهيم كريدية (١)

أستعرض في هذه المحاضرة المؤلفات التي تناولت القضية الكريتية والصادرة باللغات العربية والغربية والأعمال المترجمة إليها، وقد استثنيت من هذا الدراسات باللغتين التركية واليونانية لعدم إلمامي بهما.

لقد انتهجت هذا السبيل لسبر معرفة واطلاع العالمين العربي والغربي بهذه القضية، فتوصلت إلى نتيجة مفادها أنه لو أراد أي شخص (طبعا غير تركي او يوناني) أن يطلع على القضية الكريتية أو يكتب عنها بحثاً لوجد صعوبة كبيرة جدا في ذلك بسبب ندرة المراجع والمصادر المتعلقة بها. فما كتب عن هذه القضية هو يسير بالمقارنة مع ما كتب ونُشر عن أحداث وقعت تقريبا في نفس الفترة وفي مناطق مجاورة لجزيرة كريت مثل: الانقلاب العثماني (١٩٠٨) – حروب البلقان (١٩١٢- ١٩١٣) – قضية إزمير (١٩١٩–١٩٢٢) [والتي عُرفت عند الأتراك بحرب التحرير وبالكارثة الكبرى عند اليونانيين] .

يمكن عزو هذه الندرة في المراجع والمصادر للأسباب التالية:

١. ضعف الإهتمام الدولي بجزيرة كريت وبالمسلمين الكريتيين. فبالنسبة للجزيرة لم تظهر أهمية موقعها الجغرافي للغرب إلا خلال الحرب العالمية الثانية حين تنازع عليها الألمان والحلفاء. أما بخصوص المسلمين الكريتيين فلم يكترث بهم أي من الدول الغربية النافذه آنذاك كما حصل على سبيل المثال لموارنة ودروز جبل لبنان

---

(١) **أستاذ اختصاصي في علم المكتبات - الجامعة اللبنانية الأمريكية**

تاريخ الولادة: ٦. ١٠. ١٩٥٥ مكان الولادة: بيروت – لبنان
التحصيل التعليمي: ليسانس إدارة أعمال ١٩٧٨ (BUC) - شهادة في علم المكتباتAA ١٩٨٠ (BUC)
ليسانس في التاريخ ١٩٨٣ Haigazian College
ماجستير في علم المكتبات ١٩٩٦ Loughborough University (England)
الخبرة العملية: رئيس قسم المراجع في مكتبة الجامعة اللبنانية الأميركية منذ عام ١٩٨٣
تصنيف الكتب العربية في مكتبة الجامعة اللبنانية الأميركية منذ عام ١٩٨٣- ٢٠٠٠

الـذين تمتـوا بحمايـة القناصـل الاوروبـيين ممـا أدى إلى الكتابـة عـنهم وعـن اوضاعهم ومشاكلهم.

٢. عـدم وجود لـوبي كـريتي مسلم في عواصم القـرار يُعـرف عـن قضيـة الكـريتين المسلمين في المحافل الدوليـة وفي وسـائل الاعـلام بعكـس مـا هـو عليـه اللـوبي اليوناني وحتى الارمني.

٣. ضـعف الابحـاث والدراسـات في العـالمين العربـي والاسـلامي المتعلقـة بالأقليـات الاسلامية في سائر انحاء العالم ومن بينها الكـريتيين المسلمين.

٤. ضعف الأبحاث التاريخية في كل مـن تركيـا واليونـان وقلـة مراكزهـا في هـذين البلدين.

٥. عدم إلمام معظم المؤرخين الغربيين باللغتين التركيـة واليونانيـة ممـا يجعـل العـودة للمراجع والوثائق عملية صعبة ومضنية لا تشجع أي باحث على القيام بها.

٦. وجـود أفكـار مسـبقة لـدى البـاحثين الاتـراك واليونـان عـن كـريـت العثمانيـة بشكل عام وعن المهاجرين بشكل خاص. فبالرغم مـن وجـود عـدة دراسـات عـن كريت العثمانية فإن معظم الدراسات تدور حول الفتح العثماني لكريت وإنشاء إدارة ومؤسسـات عثمانيـة هنـاك. فـالمؤرخين اليونـان ينظـرون عـادةً إلى الأحـداث التي وقعت في كريت العثمانية خلال القرن ١٩ من وجهة نظرهم القوميـة، بينمـا يركـز نظـراؤهم الأتـراك علـى الصـفة العثمانيـة لكـريـت كونهـا آخـر منطقـة فتحهـا العثمـانيون مـن دون الولـوج في الأوضـاع الإجتماعيـة او السياسـية او الاقتصادية.

في السطور التالية سوف أعلق على هذه المراجع بشكل سـريع وأبـرز أهـم مـا ذُكـر فيها عن قضية كريت المهاجرين مـن خـلال مراجعتهـا وتلخيصـها وذكـر كـل المعلومـات البيليوغرافية عنها، بعدها سـأذكر مـا توصلت إليه مـن نتيجـة وأقـدم بعـض الاقتراحـات والتوصيات لتفعيل الإهتمام بالكتابة عن هذه القضية على مختلف الصعد.

المراجع العربية:

المراجع التي كتبت بالعربية قليلة جدا جداً، أهمها كتاب د. علي بكراكي تحت عنوان : تاريخ جزيرة كريت والمهاجرين، وهو عمل فردي رائد نشر في طرابلس عن دارالمنى عام ٢٠٠٤. المؤلف طبيب من المهاجرين الكريتيين وملم باللغة التركية وعلى اطلاع وباع واسعين بقضيته وتطوراتها التاريخية والانسانية بما في ذلك نشوء قضية المسلمين الكريتيين وترحيلهم عن الجزيرة واستقرارهم في سوريا ولبنان، وينعكس ذلك في العرض التاريخي الذي انتهجه المؤلف في تدوين الاحداث والتطورات كاشفا عن كل خبايا محنة الكريتين وماساتهم. ويمكن إعتبار الكتاب انه إلا انه صرخة ألم وأمل لمحنة يعاني منها شعب مسلم يتطلع إلى مستقبل عادل ومحق بالإضافة إلى ولوجه في عالم التاريخ. الكتاب ينتهي بلائحة مراجع بالعربية والتركية والانكليزية.

ومن جهة أخرى نُشرت ٣ مقالات باللغة العربية للأستاذ تحسين على الكردلي وهو مسلم كريتي من سكان الاردن. تتناول هذه المقالات تاريخ جزيرة كريت في ظل الفتح الاسلامي بشقيه الأندلسي والعثماني، وقد صدرت في مجلة المجال في ٣ أعداد في ربيع وصيف وخريف عام ٢٠٠٩. وعلى الرغم من أن هذه المقالات تعرض تاريخاً شاملا ومختصراً لكريت الإسلامية إلا انها عمل رائد في هذا المجال قلما نجد منه.

وبالإضافة إلى هذين المرجعين هناك معلومات مقتضبه جداً عن مسلمي كريت مذكورة في كتاب على حسني الخربوطلي تحت عنوان : الاسلام في حوض البحر المتوسط (ط. ١) بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٧٠، وكتاب المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ، ط٢، لمحمود شاكر، بيروت: المكتب الإسلامي ، ١٩٧٩.

الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية:

- من التركية:

أما بالنسبة للأعمال المترجمة إلى اللغة العربية، فهناك مقال وتقرير وكلاهما باللغة التركية.

- المقال هو على الانترنت بقلم هاشم سويلاماز وترجمة د. وسيم بكراكي تحت عنوان : "الكريتيون الأتراك في لبنان" نشر في مجلة ***الأكسيون*** (الأسبوعية) الصادرة في

استانبول - العدد ٧٢٢/ تاريخ: ٠٦-١٠-٢٠٠٨ (وهو موجود على صفحة جمعية أولي النهى).

HAŞIM SÖYLEMEZ, Lübnan'daki Giritli Türkler, Aksiyon, 6 Ekim 2008.

يركز هذا المقال كما يبدو من عنوانه على المهاجرين الكريتيين في لبنان ويعتبرهم أتراكاً وليسوا بعثمانيين. استهل المؤلف مقاله بواقعة حصلت في قرية الحميدية السورية التي تبعد بضع كيلومترات عن الحدود اللبنانية الشمالية حيث لاحظ مراسل أحد الصحف اليونانية ومن معه من وفد سياحي ان سكان هذه القرية يتكلمون اللهجة الكريتية فيقوم بالاتصال مع أحد وجهاء الكريتين في طرابلس وهو السيد إبراهيم بكراكي ويقدم له عرضاً يتضمن المساعدة في عودة هذه الجالية المقيمة في الحميدية وطرابلس إلى كريت وتقديم جميع أنواع المساعدة لها بما في ذلك الدعم الإقتصادي والمادي، كل ذلك مقابل إعتناقهم المسيحية. لكن هذا العرض رُفض، إلا انه تكرر عرضٌ آخر شبيه له عام ١٩٨٨ من الحكومة اليونانية مباشرة ورفض ايضاً. ورداً على هذا الرفض منعت السفارة اليونانية في بيروت مهاجري كريت من الحصول على تأشيرة للسفر إلى اليونان.

بعد هذه المقدمة يذكر الكاتب من خلال مقابلة مع د. علي بكراكي عدد الكريتيين في طرابلس، ويضيف أنه امتنع عدد كبير منهم من المشاركة في أحصاء عام ١٩٣٢ الذي أجرته سلطات الانتداب الفرنسي لانهم إعتبروا أنفسهم اتراك حيث احتفظ العديد منهم بوثائق الملكية (طابو) لإعتقادهم أنهم سيعودون يوما إلى كريت على الرغم من عدم شمولهم في عملية التبادل السكاني التي جرت بين تركيا واليونان عام ١٩٢٣، كما يتطلع الكثير منهم لطلب المساعدة من الجمهورية التركية. ثم انتقل المؤلف للكلام عن هوية المهاجرين الكرتيين التي بدأت حسب رايه تضمحل بعد زواج العديد منهم من العرب وتحول اللغة العربية إلى اللغة الأم في حين أن المهاجرين الأوائل لم يتكلموا إلى اليونااينة والتركية.

ثم يلقي المؤلف بعد ذلك الضوء على تطلع المهاجرين في طرابلس لطلب العون من تركيا وسعيهم لتأسيس جمعية لهم تهتم بشؤونهم المعيشية، وينتقل بعد ذلك إلى سرد

تاريخي لقضية المهاجرين في لبنان منذ ان تركوا كريت وسكنوا في لبنان محافظين على أسماء كنيتهم التي تنتهي ب (أكي) اي ابن.

وفي النهاية يعزو المؤلف السبب الرئيسي في عدم المعرفة بوجود المهاجرين الكريتين هو اندلاع الحروب والإضطرابات في هذه البقعة من العالم مما أثنى العدد منهم من بالقيام بأي عمل يبرز هويتهم وقضيتهم.

المرجع الثاني المترجم إلى العربية عن المهاجرين الكريتين هو تقرير صادر عن مركز الشرق الأوسط للدراسات الإستراتيجية "أورسام ORSAM" في أنقره تحت عنوان : الأتراك المنسيون : الوجود التركماني في لبنان، تقرير رقم ١١، الصادر في شباط ٢٠١٠ (وهو في ثلاث لغات: التركية والانكليزية والعربية):

Unutulan Turkler : Lubnan'da Turk varligi, Ankara: Ortadogu Stratejik Arastirmalar Merkezi, 2010

في هذا التقرير نبذة على ما يسميه "أتراك كريت" حيث يستعرض بدء محنة الكرتيين في الجزيرة ورحيلهم إلى الحميدية وطرابلس، ويفيد أن أهالي طرابلس يدعون الكريتيين بالمهاجرين بدل أتراك بسبب إستعمال كلمة "مهاجرين" من قبل الدولة العثمانية، ويضيف أيضاً أن أتراك كريت يشعرون بالود والتقارب مع تركيا لانها بنظرهم هي امتداد للدولة العثمانية التي كانوا تحت سيطرتها. وقد انصهر معظمهم في مجتمع طرابلس العربي وأقاموا علاقات مودة مع اخوانهم في الحميدية التي ما زال البعض من سكانها يتكلم اليونانية.

يختم التقرير هذا الجزء عن الكريتيين بالقول أنه في عام ١٩٦٢ أسس إبراهيم بكراكي في طرابلس جمعية باسم "جمعية المهاجرين الكريتين" وحصل على إجازة لنشاطها، ولم تكن تركيا تعلم بوجود أتراك كريت في لبنان لحين عام ١٩٨٥ بعد مراجعة بعضهم السفارة في العاصمة بيروت.

الأعمال باللغات الغربية:

أبرز وأهم ما كتب في هذ المجال هو باللغة الإنكليزية لمؤلفين أتراك ويونان وقليل من الغربين.

ففي الإطار التركي: هناك كتاب ومقالين لنفس المؤلفة وهي: بنار شنشيك Pınar Şenışık, (مساعد إستاذ في قسم الانسانيات في جامعة دوغاش Doğuş في إستانبول).

الكتاب تحت عنوان : The transformation of Ottoman Crete: Revolts, Politics and Identity in the late nineteenth century (تحول كريت العثمانية: الثورات والسياسات والهوية في اواخر القرن التاسع عشر)

صادر عن دار : I. B. Tauris في لندن عام ٢٠١١.

الكتاب بمجمله عن كريت العثمانية، تستهله الباحثة بالتاريخ ثم الفولوكلور ثم الجغرافيا، ومن بعدها تنتقل إلى فترة السلطان عبد الحميد لتصل إلى اندلاع ثورة عام ١٨٩٧. هنا تتناول المؤلفة بشكل مختصر ترحيل المسلمين الكريتين حيث تذكر ان ممثلي الدول الأوروبية أعتبروا أن هذا الترحيل هو حلاً للأوضاع المتدهورة في الجزيرة. وفي مكان آخر من الكتاب تتطرق الباحثة بشكل مقتضب إلى عمليات إغاثة المسلمين المهاجرين. وهكذا فإن هذا الكتاب يؤرخ الوجود الإسلامي العثماني في الجزيرة لغاية عام ١٨٩٧ ولا يرافق المهاجرين في شتاتهم.

الكتاب موثق بشكل جيد والمراجع في نهايته هي باللغات الانكليزية والتركية واليونانية وتشمل على كثير من أرشيف الدول.

أما المقالين فهما:

المقال الاول: تحت عنوان:

Rethinking Muslim and Christian communities in late nineteenth century Ottoman Crete: Insights from Cetan Revolt of 1897.

(رؤية جديدة لأوضاع الجاليتين الإسلامية والمسيحية في كريت العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر من خلال ثورة ١٨٩٧). وقد نشر في مجلة : Journal of Modern Greek Studies (الصادرة من جامعة جون هوبكنز Johns Hopkins University في بلتيمور ولاية ميرلاند بالولايات المتحدة) في أيار (مايو) عام ٢٠١٠.

يتطرق المقال إلى إندلاع ثورة ١٨٩٧ من قبل اليونانيين ضد العثمانيين، وتقول الباحثة في هذا الإطار انه مما لا شك فيه أن الإتحاد مع اليونان (إينوسس) كان دائما هدفاً للثوار المسيحيين في كريت، لكن هؤلاء الثوار سعوا أيضاً للتخلص من الحكم العثماني واحيانا التوجه إلى نظرائهم في الارثوذكسية في روسيا لطلب العون لتحقيق ذلك. ثم تتناول الباحثة هجرة المسلمين نتيجة هذه الثورة باسلوب مفصل غني بالمراجع والوثائق الرسمية اليونانية والبريطانية. هذا المقال لا يتكلم عن كريت او المهاجرين في المرحلة التي تلت عام ١٨٩٩، وهو يعتبر مرجعا موثوقا لوصف واقعة الترحيل وما رافقها من آلام ومصاعب. المقال بنتهي بلائحة مراجع بالتركية والانكليزية.

المقال الثاني تحت عنوان:

Cretan Muslim immigrants, imperial governance and the ‘production of locality’ in the late Ottoman Empire.

(المهاجرون السلمون الكريتيون والحكم الامبراطوري وإنشاء "المحلة" في أواخر عهد الأمبراطورية العثمانية) [ويُقصد المحلة هنا أي اماكن سكنية لعدد من السكان كالأحياء او القرى]. وقد نشر في مجلة : Middle Eastern Studies (التي تصدر من بريطانيا) عدد ٤٩ بتاريخ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٣.

تُظهر الباحثة في هذا المقال أن قضية المهاجرين الكريتيين هي حالة جيدة لفهم مواقف وسياسات الدولة العثمانية تجاه الهجرة والنزوح ولإلقاء الضوء على العلاقة بين الدولة والمهاجرين بالإضافة إلى دراسة العلاقات بين كريت و مناطق السكن في شرق البحر المتوسط. هذا المقال لا يتناول الاوضاع السياسية او الإجتماعية للمهاجرين بل يدرس مواقف وأداء الدولة العثمانية تجاه هذه الهجرة وما قامت به لإستيعاب المهاجرين. وككل أعمال هذه الباحثة، المقال ينتهي بمراجع بالانكليزية والتركية.

١ـ ومـن وجهـة النظـر التركيـة ننتقـل إلى الرؤيـة اليونانيـة للمهـاجرين الكـريتيين في قرية الحميدية في سوريا وفي طرابلس شمال لبنان، ويتجلى هذا في ورقة باللغة الانكيزية قدمتها باحثة يونانية هي "رولا تسوكاليدو Roula Tsokalidou" من جامعة "تساليا Thessaly" (الواقعة في مدينة فولوس) خلال المشاركة في "الندوة (سيمبوزيوم) الدولية الثانية لثنائية اللغة التي عقدت في جامعة "فيغو" في اسبانيا بين ٢٣ و ٢٦ تشرين الاول (أوكتوبر) عام ٢٠٠٢.

Tsokalidou, R. (2004) Greek-speaking enclaves in Lebanon and Syria. In Anxo M. Lorenzo Suarez, Fernado Ramallo & Xoan Paulo Rodriguez-Yanez (eds.) *Bilingual socialization and Bilingual language acquisition. Proceedings from the Second International Symposium on Bilingualism*. University of Vigo (Vigo, Galicia-Spain, October 23-26, 2002). Vigo: Servizo de Publicacions da Universidade de Vigo, pp. 1245-1255.

http://webs.uvigo.es/ssl/actas2002/05/08.%20Roula%20Tsokalidou.pdf

تتركز دراسة هذه الباحثة على النواحي اللغوية بشكل اساسي ومدى استعمال المهاجرين للغة اليونانية وكيفة الحفاظ عليها وتطويرها من دون التطرق بعمق إلى أي منحى تاريخي او سياسي او إجتماعي. فحسب رأي الباحثة فان الأوضاع الدينية والإجتماعية في هاتين المنطقتين (الحميدية وطرابلس) تجعل دراسة هذا الجيب اليوناني-العربي أمراً مهما ومطلوبا مما يقود إلى السعي لإقتراحات من أجل الحفاظ على ديمومة اللغة اليونانية. ثم تفصح الباحثة أن دراستها تركز بشكل خاص على مجموعة من المسلمين الناطقين باللهجة الكريتية اليونانية والقاطنين على حدود سوريا ولبنان ويتراوح عددهم بين ٧٠٠٠ و ١٠٠٠٠ نسمة (٧٠٠٠ في لبنان و ٣٠٠٠ في سوريا) والتي تشكل الجيل الخامس للمهاجرين الذين اتوا الى هذه الاراضي منذ ١٠٠ عام، ومع ذلك وحسب رأي الباحثة، مازال هؤلاء يتقنون اللهجة الكريتية. ثم تستعرض الباحثة طريقة بحثها ومن ثم تعرض النواحي الإجتماعية واللغوية التي تلعب دوراً في إستعمال اللغة اليونانية والمحافظة عليها في هذين المنطقتين الناطقتين باللغة اليونانية من سوريا ولبنان.

وفي استعراضها لوضع "الجالية الكريتية في لبنان"، تقول الباحثة أنه تم تأسيس الجمعية الكريتية الإجتماعية الخيرية في طرابلس عام ١٩٩٦ حيث عرّف أعضاؤها أنفسهم بأنهم مهاجرين، وكان هدف هذه الجميعة تحسين الوضع المعيشي لأفراد الجالية، وهذه الجمعية غير سياسية ولا تبغي الربح. وتضيف الباحثة أن الدين لم يلعب أي دور في الانضمام إلى هذه الجمعية، ومع ذلك تنقل عن ممثلي هذه الجمعية أنه بسبب إنتمائهم الديني فقد تعرضوا للإهمال واحيانا للعدواة من قِبل السلطات اليونانية، وهذا أمر يتناقض حسب رأي المؤلفة مع إحترامهم لكل المعتقدات بسبب وجودهم في مجتمع متعدد المعتقدات مما جعلهم متسامحين دينياً. وتتابع الباحثة أنه بالرغم من العزلة التي تعيشها هذه الجالية إلا أنها حافظت على هويتها الكريتية وعلى الرغبة في إقامة علاقات مع الوطن الأم : اليونان، وتنقل عن رئيس الجمعية أن زيادة نشاط هذه الجالية خلال السنوات الأخيرة أدى إلى تحسين علاقتها مع السفارة اليونانية في بيروت. ما بالنسبة للغة فتذكر الباحثة أن الجيل الجديد لديه إلمام ضعيف باللغة رغم ان الجميع يفتخر بعاداته وتقاليده الكريتية. وتختم هذا القسم من ورقتها بالقول أنه رغم كونهم مسلمين فإنهم متأثرين ببعض التقاليد اليونانية الكريتية مثل الإلتزام بزوجة واحدة وإعتبار الطلاق أمر مخزي.

أما بالنسبة لقرية الحميدية، فتقول الباحثة أنه لدى القرويين علاقات ممتازة مع جيرانهم العرب ويحافظون على عادات وتقاليد أجدادهم التي جلبوها معهم من كريت خصوصاً الإبتعاد عن تعدد الزوجات وعدم حرمان البنات المسلمات من التعليم. وفي نهاية هذا القسم تفيد الباحثة أن سكان الحميدية لديهم معرفة مميزة باللغة اليونانية بالإضافة إلى العربية والانكلزية،

وفي النهاية تختم الباحثة ورقتها بعرض بعض الملاحظات بخصوص العوامل التي تجعل تعليم اللغة اليونانية في تلك المنطقة ضروري وهام لمستقبل الوضع اللغوي الثنائي لهذه المجموعة السكانية، وهذا يمكن إنجازه عبر بذل المزيد من الإهتمام والجهد للحفاظ على الوضع اللغوي الثنائي للأجيال القادمة من خلال تنفيذ بعض التدابير التربوية والإجتماعية-السياسية، فعلى الصعيد الجتماعي-السياسي يمكن تشجيع الجهات الرسمية اليونانية بإعتبار هذه المجموعة السكانية جزءاً من الشتات (دياسبورا) اليوناني

رغم الفارق الديني، والسماح لأفرادها بزيارة أقربائهم في اليونان او المشاركة في برامج وضعت للناطقين باللغة اليونانية في كافة أنحاء العالم، هذا بالإضافة إلى إقامة علاقات بين الجهات الرسمية اليونانية وتلك المنطقة مما سيؤدي إلى نتائج إيجابية على صعيدي التجارة والمال للجميع. أما على الصعيد التربوي فيمكن دعم جهود هذه المجموعة السكانية في الحفاظ على لغتها من خلال المساعدة في تطوير برامج التعليم الملائمة.

وتنتهي الورقة بلائحة مراجع بالإنكليزية واليونانية.

هناك وجهة نظر يونانية أخرى عن المسلمين الكريتين عبّر عنها المحلل السياسي اليوناني "إليناس غنيساي دن غنيساي Ellinas Genniesai Den Ginesai" وهو من اليونانين الأمريكيين من جذور كريتية وينادي بوحدة أهل كريت بغض النظر عن الانتماء الديني ويحاول ان يقول ان كل أهل كريت سواء كانوا مسلمين او مسيحيين او يهود هم من العرق الأيوني، وذلك في مقال نشر على موقع e-Epanastasi عبر موقع Hellasfrappe بتاريخ ٢٥ آذار ٢٠١٢، تحت عنوان "أخوتنا المسلمون"، ومعظمه مقابلة مع د. على بكراكي.

Ginesai, Ellinas Genniesai Den. "The Tourkokritikoi: Our Muslim Brothers". 25 March 2012, Hellasfrappe,

http://hellasfrappe.blogspot.com/2012/03/tourkokritikoi-our-muslim-brothers.html

يقول المؤلف أن هوية دولة اليونان الحديثة بنيت على المسيحية الأرثوذكسية بسبب عوامل وأحداث تاريخية تتعلق بالدولة العثمانية، وأنه كما قام الأرمن المسيحيين بالإعتراف بالأرمن المسلمين الذين يعرفون بإسم : "هامشين" فعلى اليونانين المسيحيين ان يخطوا نفس الخطوة ويعترفوا باليونانيين المسلمين، فهناك جاليات اسلامية يونانية خارج حدود دولة اليونان أحداها المسلمون الكريتيون الذين يقطنون في تركيا وليبيا ومصر وسوريا ولبنان، وهم يُعرفون بإسم الكريتيين الأتراك، وهم يونانيون إعتنقوا الاسلام بملئ إرادهم خلال الفترة العثمانية، وعلى مدار التاريخ حافظوا على لغتهم اليونانية. وبعد عرض سريع ومقتضب للقضية الكريتية يتناول الكاتب وضع الكرتيين المسلمين في لبنان من خلال مقابلة مع د. على بكراكي الذي اسس جمعية كريتية تحت اسم أولي

النهى في طرابلس. فيعرض د. بكراكي وضع المسلمين الكريتين الذي يعرفون بطرابلس تحت اسم "المهاجرين" ويتناول هويتهم ونشاط الجمعية وضعف علاقتهم مع تركيا. ويقول د. بكراكي أن معظم المهاجرين يعتبرون تركيا حليف وليس بلد الأم، فبلد الأم بالنسبة لهم هو كريت، وهم يتكلمون اللهجة الكريتية اليونانية وهذا حسب د. بكراكي سبباً كافياً لعدم طلب العون من تركيا. ويتابع د. بكراكي أن الاتصال مع الدول اليونانية هو أمر صعب، ويعتقد أن سبب محنتهم الأساسية في كريت هو النية لإزالة الوجود الإسلامي من أوروبا واليونان، لكنه يلقي نظرة تفاؤلية فيقول أن الامور بدات تتغير باليونان مع انحصار موجة التعصب وتحسن العلاقات مع تركيا.

ينهي الكاتب المقال بتشديده على اتباع النموذج الأرمني وإعتراف اليونانين المسيحيين باليونانيين المسلمين.

نبقى في الجو اليوناني، حيث كتب "مانوس براكس Manos Perakis (وهو مساعد إستاذ Adjunct في كلية العلوم الإجتماعية، دائرة الإقتصاد في جامعة كريت ملم بالشؤون العثمانية) مقالاً عن أراضي المسلمين في جزيرة كريت بعد رحليهم عنها، وذلك في مجلة Mediterranean Historical Review (التي تصدر في بريطانيا) عدد كانون الأول (ديسمبر) عام ٢٠١١. المقال تحت عنوان : الهجرة الجماعية للمسليمن وإعادة توزيع الاراضي في كريت المستقلة ذاتيا: ١٨٩٨-١٩١٣

Muslim exodus and land redistribution in Autonomous Crete (1898–1913)□

يذكر الكاتب في هذا المقال أنه بعد الهجرة الجماعية للمسلمين بين عامي ١٨٩٨ و ١٨٩٩ أصبحت قضية حيازة أراضي المسلمين من قبل المسيحيين أمراً واقعياً بسبب رخص أسعار أرضي المسيحيين نتيجة هجرتهم السريعة وبسبب الوفرة المفاجئة للأرضي في الجزيرة بعد حصولها على الاستقلال الذتي. إن ما يهمنا في هذا المقال هو تناول المؤلف ولو بصورة سريعة قضية الرحيل الجماعي للمسلمين بين عام ١٨٩٨ و ١٨٩٩، فهذا العرض يشمل معلومات موثقة جيدا وغنية بالأرقام وإلى حد كبير موضوعية.

وفي الإطار اليوناني أيضاً هناك فصل في كتاب تأليف باحثة يونانية هي صوفيا كوفوبولو Sophia Koufopoulou، الفصل بعنوان:

Muslim Cretans in Turkey: The reformulation of ethnic identity in an Aegean Community□

(الكريتيون المسلمون في تركيا: إعادة صياغة الهوية الإثنية لمجموعة من السكان من منطقة بحر إيجة)، وهو الفصل الخامس عشر لكتاب تحت عنوان :

Crossing the Aegean: An appraisal of the 1923 compulsory population exchange between Greece and Turkey□

(عبور بحر إيجه: تقييم للتبادل السكاني القسري بين تركيا واليونان الذي جرى عام ١٩٢٣) الصادر عام ٢٠٠٤ عن دار : Berghahn في نيويورك.

هذا الفصل يعالج أوضاع المهاجرين الكريتيين في تركيا فقط بعد عملية التبادل السكاني، وهو موثق المراجع المصادر الانكليزية فقط.

وأخيراً هناك مرجع باللغة الانكليزية بقلم : بروس كلارك Bruce Clark تحت عنوان:

Clark, Bruce. Twice a stranger: The mass expulsions that forged modern Greece and Turkey. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 2006.□

(غرباء مرتين: الطرد الجماعي التي كون شكل اليونان وتركيا الحديثين)، وهو كتاب صادر عن جامعة هارفارد في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٦.

المؤلف يمر بسرعة جدا على اوضاع المهاجرين الكريتيين في تركيا ويبرز شعورهم بالحنين لجزيرتهم بعد أن تم ترحيلهم ومبادلتهم مع يونان تركيا. الكتاب خالي من المراجع، لكنه يشمل العديد من المقابلات الشخصية.

الاستنتاج

بعد هذا العرض للمراجع يمكن ان نتوصل إلى الاستنتاجات التالية:

١. الكتابات عن قضية كريت من مؤلفين عرب هي شبه معدومة، ويبدو أن هذه القضية مجهولة في العالم العربي خصوصاً لدى الدوائر التاريخية سواء كانت تعليمية ام مراكز أبحاث.

٢. إن ما كُتب باللغة العربية من مؤلفين ذوي أصول كريتية لا يعتبر عمليا أكاديمياً بمعناه العلمي، إنما جهد شخصي نابع من تراكم سنوات من حنين الأجداد وذكريات عن وطن موجود في الوجدان وقصص الكبار.

٣. ما زال الاهتمام التركي بهذه القضية خجولا خصوصا فيما يتعلق بالمهاجرين خارج الأراضي التركية بالرغم من وجود نواة للتطرق إلى هذا الموضوع. ومن ناحية أخرى فإن ما كتبه الأتراك عن المهاجرين في سوريا ولبنان يشمل أحيانا معلومات غير دقيقة ومنقولة أحيانا بطريقة سطحية من دون التدقيق.

٤. الإهتمام اليوناني بهذه القضية مبني على اللغة والهوية وأحيانا الدين، وليس على معالجة الأوضاع المعيشية لهذه المجموعة من السكان.

٥. كل الدراسات لم تشمل جميع المهاجرين، فهناك مهاجري ليبيا لم يتطرق إليهم أي باحث او حتى ذكرهم في كتاباته مع العلم أن في ليبيا جالية كريتية مسلمة ما زالت تحتفظ باسمائها الكريتية حتى الآن.

٦. شبه إنعدام للكتابات الغربية بشقيها الاوروبي والأمريكي عن هذه القضية بالرغم من نشر بعض الدوريات ومراكز الأبحاث هناك لأعمال مؤلفين من تركيا واليونان تتناول قضية كريت والثورة ضد الدولة العثمانية والترحيل الجماعي للمسلمين الكريتين.

اقتراحات لتشجيع الكتابة عن القضية الكريتية والمهاجرين

١. مراجعة الماضي واستخلاص الأسباب الكامنة وراء هذ التقصير في نشر مواد عنها.

٢. تشجيع الأجيال الصاعدة بتعلم التركية او اللهجة الكريتية او كلاهما.

٣. تأسيس المزيد من الصفحات الإلكترنية على مواقع الاتصال الإجتماعي لتكون منبرا لإبداء جميع الآراء ونشر كل ما هو متعلق بالقضية .

٤. إقامة المزيد من الندوات عن هذه القضية في المؤسسات الثقافية والجامعات والتي لديها دوائر تصدر منشورات.

٥. تشجيع اللقاءات بين أفراد الجالية وخصوصا في المناسبات الدينية لتذكير الأجيال الصاعدة بجذورها وحثها على الاطلاع والكتابة عنها.

٦. الإتصال مع مهاجرين آخرين في دول أخرى ودراسة الإحتمالات لنشر وإصدار أعمال مشتركة.

نظرة عامة حول أهالي كريت المهاجرين في لبنان

البروفسور د. نكهت أدي ياكا

كان العدد الأكبر من سكان الجزيرة خلال الحكم العثماني لجزيرة كريت هم أهالي الجزيرة الأصليون من الروم الأورثوذوكس. كان المسلمون يشكلون المرتبة الثانية من حيث التعداد السكاني. كما كان هناك أقلية من اليهود الذين سكنوا كلاً من مدينة خانيا وقندية، واستطاعوا حتى اليوم أن يحافظوا على وجودها في الجزيرة بالرغم من كل ما حصل من تغيرات وتبدلات.

بعد أن فتح العثمانيون جزيرة كريت، حافظ الأورثوذوكس على حرية عبادتهم وتجمعاتهم الدينية وتركت لهم حرية التنظيم والعمل الإجتماعي. وباستثناء مدينة قنديه التي كانت لا تزال تحت الحصار، فإن معظم سكان الجزيرة المحليين عادوا إلى حياتهم الطبيعية والروتينية. حتى أن الأهالي من الأورثوذوكس في مدينة ريسمو بدؤوا بحلحلة مختلف مشاكلهم القانونية وفقاً لأحكام قوانين جماعتهم الخاصة تارة وأمام القاضي العثماني تارة أخرى.

إلى جانب ذلك، بدأ العديد من سكان الجزيرة باعتناق الدين الإسلامي دون أي ضغط أو إكراه، الأمر الذي أدى إلى عملية تحول مهم في المجتمع الكريتي آنذاك. كان السبب الرئيسي في هذا التحول عنصران أساسيان: الهداية (وهو ما تم عبر الدعوة إلى الإسلام من قبل الفاتحين الجدد) والتزاوج المتبادل بين المسلمين الفاتحين والأهالي من الروم. هنا أرغب أن أتحدث بالتفصيل عن كيفية حصول ذلك وكيفية تداخل هذين العاملين.

بحسب سجلات القضاء في جزيرة كريت خلال القرن السابع عشر، يمكننا أن نشاهد بشكل واضح مرحلة الهداية (أي اعتناق الدين الإسلامي) من قبل أعداد كبيرة من سكان كريت المحليين، وكان ذلك في الفترة التي تلت الفتح العثماني للجزيرة مباشرة. كما نلاحظ أن السلطات العثمانية في جزيرة كريت لم تعتمد على سياسة

"التطعيم السكاني" - عبر النفي أو التهجير- التي كانت تطبقها في كل البلاد التي تبسط سلطانها عليها بعد فتحها لتحقيق توازن سكاني معين وذلك من خلال إسكان المسلمين المهاجرين من مناطق مختلفة في الأناضول إلى الدول الحديثة التي تم فتحها، وهو ما حصل على سبيل المثال في دول البلقان بشكل خاص. ولكن، وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد أن التكوين السكاني لجزيرة كريت بعد مئة سنة من الفتح العثماني كان يتجه نحو زيادة كبيرة في أعداد المسلمين فيها وهو ما لا يمكن تفسيره إلا من خلال التحول الديني (واعتناق الإسلام) الذي حصل في تلك الفترة. وقد وثق العثمانيون ذلك في كريت من خلال تدوين كل التحولات الدينية الحاصلة في سجلات كانت تحت إشراف القضاء وتسمى بسجلات الهداية. لقد كان التحول إلى الإسلام يتم على شكل حالات فردية أحياناً، وبشكل جماعي تارة أخرى كأن يعتنق كل سكان قرية ما الدين الإسلامي مثلاً، وهي حالات مدونة بالتفصيل في سجلات الهداية المذكورة.

لقد كان للطريقة البكطاشية دور مهم في عملية اعتناق الأهالي المحليين للدين الإسلامي في كريت. ويعتبر الدرويش الجد علي الخراساني الشيخ البكطاشي الأول الذي أسس لهذه الطريقة في جزيرة كريت. ويعود السبب في ذلك الى التحاق هذا الشيخ – مع مجموعة كبيرة من مريديه- إلى الحملة العثمانية التي فتحت كريت، فقام بعد الفتح بتأسيس أول تكية بكطاشية سميت بالتكية الخراسانية على مسافة ٣.٥ كلم جنوبي مدينة قندية، وذلك بمساهمة وعطاء كبير تقدم به الغازي حسين باشا شخصياً. هكذا دخلت الطريقة البكطاشية إلى جزيرة كريت وتمكنت من الإنتشار في كافة أرجائها خلال فترة وجيزة. وبعد وفاة الجد علي الخراساني خلفه في قيادة هذه الطريقة السيد أحمد أمين بابا الذي برع هو الآخر في نشر الطريقة البكطاشية في الجزيرة.

بعد عملية المبادلة وخروج كل المسلمين من الجزيرة، إنتقل آخر مشايخ الطريقة البكطاشية في جزيرة كريت الجد صادق بابا من مدينة قنديه إلى طرسوس التابعة لمدينة مرسين في تركيا برفقة العديد من أبناء كريت المسلمين. وقد تمكن هذا الشيخ البكطاشي بمساعدة اتباعه ومريديه من الكريتيين المبادلين أن ينقل قبر البابا/الشيخ علي الخراساني من جزيرة كريت إلى طرسوس.

الجدير بالذكر أن الشيخ سليمان شمسي ديده قد أسس في القرن التاسع عشر تكية مولوية في مدينة خانيا لتصبح الطريقة المولوية من أكثر الطرق انتشاراً بعد البكطاشية في كريت وذلك منذ العام ١٨٨٠ .

وليتكامل المشهد ، كان لا بد من بداية حالات التزاوج في الجزيرة بين المسلمين والمسيحيين. وقد تجلى ذلك بوضوح ابتداء من العام ١٦٥٠ حيث ظهرت زيادة كبيرة في أعداد التزاوج الإسلامي المسيحي كما هو مدون في سجلات الأرشيف العثماني وسجلات القضاة.

يعتبر الموظفون البيروقراطيون القادمون من مركز الخلافة العثمانية إلى الجزيرة ، إضافة للعساكر العثمانيين الذين استوطنوا هذه الجزيرة ثم تزوجوا بنسائها من الروم ، هم النواة الأساسية للمجتمع الإسلامي الناشىء في جزيرة كريت.

وكما يمكننا متابعة ذلك في السجلات المتعلقة بجزيرة كريت والموجودة في الأرشيف العثماني ، فإن عملية التزاوج بين الرجال المسلمين بالنساء المسيحيات كانت كبيرة جداً. وقد شهدت هذه العملية تزايداً في فترات مختلفة من فترات الحكم العثماني للجزيرة. فيمكن القول بأن فترة ما بعد الفتح العثماني مباشرة كانت هي الفترة الأكثر رواجاً لمثل هذا النوع من الزواج المختلط بين المسلم وغير المسلم.

هنا يجدر التنويه ألى أن نساء كريت من الروم كانت تتزوج من الرجل المسلم دون الحاجة لتغيير ديانتها. ولكن ، وبحسب قوانين الشريعة الإسلامية المتبعة أصلاً في قانون الأحوال الشخصية في السلطنة ، فإن الأولاد الناجمون عن هذا النوع من الزواج كانوا حتماً مسلمين. وعلى الرغم من أن هذا النوع من الزواج كان يبدو ظاهراً أنه زواج بين امرأة رومية ورجل مسلم ، إلا أن حقيقة الأمر كانت عبارة عن زواج اثنين من نفس الأصل والقومية ولكنهما يتبعان لدين مختلف.

بهذا الشكل ، شهد المجتمع في جزيرة كريت خلال فترة وجيزة من حكم العثمانيين تغيراً إجتماعياً وعرقياً كبير أدى إلى ظهور زيادة كبيرة في أعداد المسلمين مع نهايات القرن الأول من الفتح.

وإن كان لا بد من تلخيص للتواجد الإسلامي التركي في جزيرة كريت فإن هذا الأمر يمكن أن يقسم إلى ثلاثة أشكال: الأول هو جزء من جيش الإنكشارية العثماني الذي شارك في فتح جزيرة كريت واستوطن فيها ثم تزوج من نسائها. والثاني هو التحول السريع الذي حصل في الجزيرة باتجاه اعتناق الدين الإسلامي من قبل السكان المحليين. أما الثالث فهو عملية التزاوج الذي حصل لاحقاً بين المسلمين والروم، وهو أمر استمر في الجزيرة حتى آخر عهد المسلمين فيها. وبالتالي، ومن خلال هذه الأشكال الثلاث، ازدادت أعداد المسلمين في جزيرة كريت خلال فترة قصيرة. ومن خلال الأبحاث التي قمنا بها في سجلات الشريعة في جزيرة كريت تأكدت لنا هذه المعلومات أيضاً. علماً أن بالإمكان مصادفة قيود الهداية وقيود الزواج بين المسلمين والروم بشكل كثيف فعلاً في سجلات كريت الشرعية (محاضر محاكم القضاء) بدءاً من العام ١٦٤٥ أي منذ تاريخ فتح مدينة خانيا مباشرة.

وهنا يجب الإشارة إلى نقطة مهمة. إن عملية البحث عن الأصول التركية أو غير التركية للمسلمين في جزيرة كريت هي عديمة الجدوى وتولد نقاشاً لا يليق أبداً بالمعطيات العلمية الموجودة في القرن الواحد والعشرين . إن العالم اليوم لا يمكن أن تجد فيه عرقاً أصلياً واحداً أو مجتمعاً واحداً صافياً من تداخلات عرقية مع مجتمعات أخرى. إن إثبات الصفاء العرقي جينياً هو أمر لا يمكن تحقيقه بشكل علمي أبداً. فعلى سبيل المثال، يمكننا أن نرى اليوم كيف تداخل المهاجرون الكريتيون في لبنان من خلال تزاوجهم مع المسلمين المحليين فيه وكيف تصاهروا وتناسبوا مع هذا المجتمع الذي يعيشون ضمنه حتى أصبحوا جزءاً لا يتجزأ منه. هذه هي القيمة الحقيقية لبني آدم. قيمة الإنسان في قدرته على استيعاب الآخرين والقبول بهم. لذلك فإن هوية المجتمعات اليوم لا يمكن تقييمها أبداً من الناحية العرقية. وأكبر مثال على ذلك هو أناضول اليوم نفسه. لقد كانت مناطق الأناضول على مر التاريخ مسرحاً لتناقل حضارات مختلفة توالت على هذه المنطقة الجغرافية. ولهذا لا يمكن أبداً تصنيف من يعيش في هذه المنطقة الجغرافية بناء على أساس عرقي صاف أبداً. نحن محكومون بقبول ما يطلق الناس على أنفسهم ومجبرون على احترام هويتهم كما يرونها هم.

في عالمنا الحاضر، يقوم الناس بتعريف أنفسهم بناءً على قيم معنوية يرونها ويتبعون لها (كالوطن، والأرض، والعلم، والإعتقاد الديني). كذلك الأمر، فإن الواجب يملي علينا في الأصل بقبول التسمية والهوية التي تضعها المجتعات لنفسها، تماماً كما هي تلك التسمية. مثلاً هناك مهاجرون مسلمون ينظرون الى أنفسهم على أنهم كريتيون أتراك، ومنهم من لا يرى ذلك، ونحن نحترم الرؤيتين ونقبلهما معاً. أما أن نسعى لإثبات أو مناقشة أصول هذه التسميات أو أن نسعى لإثبات حقيقة هذه الهويات فإن الأمر غير ضروري ولا مجد ولا يحمل في طياته إلا سوء نية وقلة بصيرة وعلم.

لقد اضطر بعض الناس إلى تقديم الكثير من التضحيات للحفاظ على هويتهم في البلاد والمجتمعات التي يعيشون فيها. نحن رأينا في التاريخ المعاصر كيف بذل المسلمون في البوسنة والهرسك أرواحهم وأملاكهم للحفاظ على هويتهم الإسلامية ومعتقداتهم الدينية، ومثلهم أيضاً كان المجتمع الإسلامي في جزيرة كريت آنذاك. لقد حارب المسلمون في جزيرة كريت في القرن التاسع عشر بكل قوتهم ليحفاظوا على الوجود العثماني في الجزيرة آنذاك. لقد قدموا أرواحهم في سبيل الحفاظ على الهوية العثمانية والإسلامية فعاشوا الحروب والمجازر وكل أصناف القهر والظلم والفظائع التي ارتكبت في الجزيرة آنذاك. إن هذا الأمر هو بحد ذاته كاف لإثبات هويتهم التركية والإسلامية. ولا يجب أبداً البحث عن دليل آخر لهذا الأمر.

يبقى أن نذكر أن المجتمع الإسلامي التركي في جزيرة كريت، وعلى الرغم من أنه كان ينطق باللغة اليونانية في حياته اليومية، إلا أنه أصر على أن تكون اللغة التعليمية في مدارس الجزيرة هي اللغة التركية. لقد كان في جزيرة كريت عدد كبير من الجرائد المحلية التي كانت تصدر باللغة التركية، وكانت هذه الجرائد تسعى بكل جهدها لإظهار هذا الكفاح الذي يقدمه أتراك جزيرة كريت للرأي العالمي بأسره. ولهذا، بمكننا القول بشكل واضح تماماً أن الأتراك الكريتيين قد كافحوا بشكل كبير جداً للحفاظ على هويتهم التركية الإسلامية هناك، وهم جديرون بهذه الهوية تماماً مثلهم كمثل أي فرد مسلم تركي يعيش اليوم في الأناضول.

من الأمور المشتركة بين المهاجرين والمبادلين هو ما تركه كلاهما من أقارب لهم في الجزيرة. لقد كان لعملية الهداية (اعتناق الدين الإسلامي) أثر كبير في تكوين

عائلات تحتوي على أفراد من أديان مختلفة. وقد اضطر هؤلاء الأقارب والأهل إلى الابتعاد عن بعضهم البعض سواءً خلال عملية الهجرة أو بعدها من خلال عملية المبادلة. كذلك الأمر، يمكننا أن نشاهد اليوم في تركيا الكثير من العائلات الكريتية التي تمتلك ألقاباً ما زالت منتشرة بشكل كبير في يومنا هذا بين سكان الجزيرة من الروم.[1] ومن خلال الأنشطة التي تقوم بها العديد من الجمعيات الكريتية اليوم في تركيا، تمكن الكثير من الكريتيين الأتراك من الوصول إلى أقاربهم في جزيرة كريت اليوم وتمكنوا من اللقاء بهم والتعرف إليهم[2].

---

(١) ما زالت أبحاثنا المتعلقة بالعائلات الكريتية مستمرة. وأول أعمالنا المتعلقة في هذا الصدد كان الكتاب الذي قام بإعداده كل من الأستاذة الدكتورة نكهت أدي ياكا والأستاذ المساعد الدكتور نوري أدي ياكا بعنوان :"دفتر الزواج في جزيرة كريت واسماء العائلات الكريتية (١٩١٦-١٩٢١)"، من منشورات وقف لوزان للمبادلة، اسطنبول ٢٠١١. *Girit Nikah Defteri ve Girit'teki Adları (1916-1921),* Lozan Mübadilleri Vakfı Yay., İstanbul 2011.

(٢) أحد هؤلاء هو السيد يوكسيل هنشيرلي الذي يعيش في مدينة اضنا. فهو يقوم ببحث مفصل حول ما بقي من أفراد عائلته في الجزيرة. وأعتقد بأن هذا البحث الذي يقوم به، والذي آمل أن يتم نشره قريباً، سيحتوي على مثال ملفت للنظر حول وضع هذه العائلات.

مراجع عن كريت العثمانية والمهاجرين

اعداد سعيد ابراهيم كريديه

Bibliography of Ottoman Crete and the Immigrants
Bibliographie de la Crète ottomane et les Immigrants
Osmanlı Girit ve Göçmenler Bibliyografyas ı
2014
Said Ibrahim Kreidieh

إهداء إلى كل من تهجروا وتعذبوا في حنينهم لوطنهم إلى مهاجري جزيرة كريت

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرض المسلمون على مر العصور إلى عدة عمليات تهجير ونفي، فأجبروا على ترك أوطانهم وديارهم واللجوء إلى أماكن أخرى في بقاع الارض والإستقرار فيها .وهذا ما حدث لمسلمي جزيرة كريت الذين اضطروا الى ترك جزيرتهم بعد رحيل العثمانيين منها في أواخر القرن التاسع عشر هرباً من اضطهاد السلطات اليونانية، وقد استمر هذا الإضطهاد حتى العقد الثاني للقرن العشرين، عندما أصبح تهجيرهم قانونيا بعد توقيع معاهدة المبادلة بين تركيا واليونان عطفاً على معاهدة لوزان الموقعة عام . 1923 لقد عرف هؤلاء باسم" المبا د لين"، بينما عرف كل من ترك الجزيرة قبل هذا التاريخ ب(المهاجرين.)

وضعت عدة كتب ومؤلفات ودراسات عن جزيرة كريت خلال الفترة العثمانية وكذلك عن المهاجرين أنفسهم في أماكن إقامتهم الجديدة .وهذا الكتيب يعرض بطريقة بيبليوغرافية معظم هذه الاعمال التي صدرت باللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية، لعلها تكون خطوة إلى الأمام للمساعدة في التعريف عن كريت العثمانية والمهاجرين، وكذلك لتفتح الباب أمام الباحثين في التاريخ لتناول هذا الموضوع والإستفاضة فيه دراسة وتحقيقاً.

Throughout ages Muslims suffered from expatriation and expulsion and forced to abandon their homelands and settle in another places. This is exactly what happened to the Muslims of Crete when the Ottomans

withdrew from the island by the end of the 19th century, while their sufferings continued till the second decade of the 20th century turning this displacement into a “de jure” case resulting from bilateral treaty between Turkey and Greece singed in 1923, and hence all those who left the island before were known as “Immigrants”

Several works have been published about Ottoman Crete and the Immigrants, and this booklet is a bibliography of most of these works and it is prepared to assist researchers in expanding their studies on these topics.

بالعربية:

- الكتب:

بكراكي، علي ابراهيم .تاريخ جزيرة كريت والمهاجرين .طرابلس، لبنان :دار المنى، ٢٠٠٤

القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - راشد، زينب عصمت .كريت تحت الحكم المصري،

غنيم، عصمت .الامبراطوريه البيزنطيه وكريت الاسلاميه .الاسكندرية :دارالمعارف،

- مقالات:

- الكردلي، تحسين علي " . جزيرة كريت في ظل الفتح الاسلامي: الاندلسي والعثماني ."المجال .عدد91 . -ص67 61

- الكردلي، تحسين علي " . جزيرة كريت في ظل الفتح الاسلامي : الاندلسي والعثماني ."المجال .عدد90 ص76 69

- الكردلي، تحسين علي " . جزيرة كريت في ظل الفتح الاسلامي: الاندلسي والعثماني ."المجال .عدد 99 ص67 66

- تقارير:

مركزالشرق الاوسط للدراسات الاستراتيجية اورسام .الاتراك المنسيون :الوجود التركماني في لبنان

.تقرير .رقم . 33 أنقره :مركزالشرق الاوسط للدراسات الاستراتيجية اورسام،

مواد على الانترنت:

سويلاماز، هاشم .الكريتيون الأتراك في لبنان.

مواقع على الانترنت:

http://www.ulinnoha.com موقع جمعية أولي النهى
http://www.ulinnoha.com/topic/21

English:

I. Books:

Ankori, Zvi. *Jewish life in Crete under Muslim rule as reflected in the Ottoman sicillāt*. [Poona, India, 1970].

Bowring, John. *Report: Egypt and Candia*. London: Printed by W. Clowes for H.M.S.O, 1840.

Brewer, David. *Greece, the hidden centuries: Turkish rule from the fall of Constantinople to Greek independence*. London: I.B. Tauris, 2010.

Chester, Samuel Beach. *Life of Venizelos*. London: Constable and Company, 1921.

Clark, Bruce. *Twice a stranger: The mass expulsions that forged modern Greece and Turkey*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 2006

Davison, Roderic H. *Ottoman Diplomacy and the Ending in 1869 of the Crisis with Greece Caused by the Rebellion in Crete of 1866-69." VIII. Türk Tarih Kongresine*

Sunulan Bildiriler. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1986.

Demetriades, Vassilis & Elisavet A. Zachariadou. *The Eastern Mediterranean under Ottoman rule: Crete 1645-1840, Halcyon Days in Crete VI. A Symposium held in Rethymnon, 13-15 January 2006*. Edited by Antonis Anastasopoulos. Heraklion: Crete University Press, 2008

Detorakis, Theocharis. *History of Crete*. translated by John C. D. Iraklion: Detorakis, 1994.

Eliot, Charles, Sir (Odysseus [pseud.]). *Turkey in Europe*. London: Edward Arnold, 1900.

Greek atrocities in the Vilayet of Smyrna (May to July 1919) : Inedited documents and evidence of English and French officers (first series), Published by

The Permanent Bureau of the Turkish Congress at Lausanne. Lausanne: Imprimerie Petter, Giesser & Held. Caroline 5, 1919.

Greene, Molly. *A shared world: Christians and Muslims in the early modern Mediterranean*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2000.

Hephaestus Books Staff. *Ottoman Crete, Including : Austrian Post Offices in Crete, Anthopoulos Costaki, Sfakians, Pact of Halepa, Cretan War (1645-1669), Cretan Revolt*. Charleston, South Carolina: BiblioBazaar, 2011.

Kuneralp, Sinan & Center for Ottoman Diplomatic History. *The final stage of the Cretan question, 1899-1913*. Ottoman diplomatic documents on the origins of World War One series, 3. Istanbul: The Isis Press Aygaz, 2009

Marcoglou, Emmanuel E. *The American interest in the Cretan revolution, 1866-69*. Athens: National Centre of Social Research, 1971

Miles, George Carpenter. *Arabic epigraphical survey in Crete*. [Philadelphia]: American Philosophical Society, 1956.

Miles, George Carpenter. *The coinage of Arab Amirs of Crete*. New York: The American Numismatic Society, 1970.

Ottoman Crete: Cretan War. Memphis, Tennessee: General Books, 2010

Pashley, Robert. *Travels in Crete*. London: John Murray, 1837.

Sensik, Pinar. *Transformation of Ottoman Crete : revolts, politics and identity in the late nineteenth century*. London : I.B. Tauris, 2011.

Spratt, T. A. B. *Travels and Researches in Crete*. London: John Van Voorst, 1865.

Stillman, William James. *American consul in a Cretan war*. American interest in the Cretan struggle, 1866-1869 series, v. 1. Austin, Center for Neo-Hellenic Studies [1966].

II. Chapters in a book:

Dimitriadis, Vassillis. "Conflicts of interests in Crete, between local Muslims and the central government in Istanbul during the Greek War of Independence, 1821-28". In *Ottoman rule and the Balkans, 1760-1850: Conflict, transformation, adaptation, proceedings of an international conference held in Rethymno, Greece, 13-14 December 2003*. Edited by Antonis Anastasopoulos and Elias Kolovos. Rethymno: University of Rethymno, 2007. pp: 205-211.

Koufopoulou, Sophia. “Muslim Cretans in Turkey: The Reformation of Ethnic Identity in an Aegean Community”. In: *Crossing the Aegean: An appraisal of the 1923 compulsory population exchange between Greece and Turkey.* Edited by Renée Hirschon. New York: Berghahn Books, 2004, pp: 209-219.

Perakis, Manos. *"An ineffective attempt at implementing Tanzimat in the Ottoman Empire. Ethno-religious and socio-political dispute in Crete during the Chalepa era (1878-89)",* In *Power and Influence in South-Eastern Europe, 16th-19th century,* Maria Baramova and als (eds.). Berlin: Lit Verlag, 2013, pp.119-129.

-----. "Revolution and socio-economic change in the Ottoman periphery. The case of the island of Crete in 1821", In *Empires and Peninsulas: Southeastern Europe between Carlowitz and the Peace of Andrianople, 1699-1829,* Plamen Mitev, Ivan Parvev, Vania Racheva (eds.). Berlin: Lit Verlag, 2010, pp.178-190

III. Theses & dissertations

Bayraktar, Elif. *The Implementation of Ottoman Religious Policies in Crete 1645-1735: Men of faith as actors in the Kadi court.* Ankara: Bilkent University, 2005. Thesis (Master's).

Kostopoulou, Elektra. *The Muslim millet of autonomous Crete: An exploration into its origins and implications.* Istanbul: Boğaziçi University, 2009. Dissertation: Thesis (Ph.D.).

Macrakis, A. Lily. *Cretan Rebel: Eleftherios Venizelos in Ottoman Crete.* Cambridge, MA: Harvard University, 1983. Dissertation: Thesis (Ph.D.).

Şenışık, Pınar. *The transformation of Ottoman Crete: Revolts, politics and identity in the late nineteenth century.* Istanbul: Boğaziçi University, 2007. Dissertation: Thesis (Ph.D.)

IV. Journals & magazines articles

Brailsford, H. N. “The Future of Crete”. *The North American Review,* Vol. 181, No. 585 (Aug., 1905), pp. 251-260.

Bourne, Kenneth. “Great Britain and the Cretan Revolt, 1866-1869”. *The Slavonic and East European Review,* Vol. 35, No. 84 (Dec., 1956), pp. 74-94.

Greene, Molly. “An Islamic Experiment? Ottoman Land Policy on Crete." *Mediterranean Historical Review,* Vol.11, Issue 1 (1996): 60-78.

Greene, Molly. "Commerce and the Ottoman Conquest of Kandiye". *New Perspectives on Turkey*,10 (1994), pp 95-118.
Kettani, M. Ali. "Muslims in Southern Europe". *Journal Institute of Muslim Affairs*, 2(1) (1980), pp: 145-157.
May, Arthur J. "Crete and the United States, 1866-1869". *The Journal of Modern History*,Vol. 16, No. 4 (Dec., 1944), pp. 286-293.
Miller, William. "Finlay's 'History of the Insurrection in Crete'". *The Annual of the British School at Athens*, Vol. 27 (1925/1926), pp. 92-112.
Perakis, Manos. "An Eastern Mediterranean economy under transformation. Crete in the late Ottoman era (1840-98)", *The Journal of European Economic History*, 39/3(2010), pp.481-526.
-----. "Muslim exodus and land redistribution in Autonomous Crete (1898–1913)". *Mediterranean Historical Review*, Vol. 26, Issue 2 (2011), pp. 135-150.
-----. "Structural Shipping Transformation under Radical Political Changes on the Island of Crete, 1877-1913", *International Journal of Maritime History*, 25/1(2013), pp.127-148.
Robson, Maureen M. "Lord Clarendon and the Cretan Question, 1868-9". *The Historical Journal*, Vol. 3, No. 1 (1960), pp. 38-55.
Sariyannis, Marinos. "Notes on the Ottoman poll-tax reforms of the late Seventeenth Century: The case of Crete". *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, 54 (2011), pp. 39-61.
Şenışık, Pınar . "Cretan Muslim Immigrants, Imperial Governance and the 'Production of Locality' in the Late Ottoman Empire". *Middle Eastern Studies*, 49(1) (2013), pp. 92-106.
-----. "Rethinking Muslim and Christian Communities in Late Nineteenth Century Ottoman Crete: Insights from the Cretan Revolt of 1897". *Journal of Modern Greek Studies*, 28. 1 (May 2010), pp. 27-47.
Soucek, Svatopluk. "Navals Aspects of the Ottoman Conquests of Rhodes, Cyprus and Crete". *Studia Islamica*, No. 98/99 (2004), pp. 219-261.
Tsitselikis, Konstantinos. "The Legal Status of Islam in Greece". *Die Welt des Islams*,
Vol. 44, Issue 3 (2004), pp. 402-431.
Zarkadakis, G. "Cretans of Hamedye". *Odyssey* 3(1), 1995, pp.40-44.

V. Encyclopedia articles

Greene, Molly. "Crete". *Encyclopedia of the Ottoman Empire*. [Edited by Gabor Agoston & Bruce Masters]. New York, N.Y.: Facts On File, 2009.

Kolovos, Elias. "Cretan War". *Encyclopedia of the Ottoman Empire*. [Edited by Gabor Agoston & Bruce Masters]. New York, N.Y.: Facts On File, 2009.

VI. Government Documents

Great Britain. Foreign Office. *Further correspondence respecting the affairs of Crete: In continuation of "Turkey No. 3 (1898)" C.8853.* London : Printed for H.M.S.O. by Harrison and Sons, 1898. Great Britain. Foreign Office. *Further correspondence respecting the affairs of Crete: In continuation of "Turkey No. 5 (1898):" C.9084*. London : Printed for H.M.S.O. by Harrison and Sons, 1898. Great Britain. Foreign Office. *Further correspondence respecting the affairs of Crete: In continuation of "Turkey No. 1 (1899)"*. London : Printed for H.M.S.O. by Harrison and Sons, 1899.

VII. Online materials

Adıyeke, Ayşe Nükhet. "Crete in the Ottoman administration before the population exchange", Common Cultural Heritage, the Foundation of Lausanne Treaty Emigrants, 2005, pp.208-215,

http://adiyekeleringiritcalismalari.blogspot.com/2012/03/crete-in-ottoman-administration-before.html

Ginesai, Ellinas Genniesai Den. "The Tourkokritikoi: Our Muslim Brothers". 25 March 2012, *Hellasfrappe*,

http://hellasfrappe.blogspot.com/2012/03/tourkokritikoi-our-muslim-brothers.html

Tsokalidou, R. (2004) Greek-speaking enclaves in Lebanon and Syria. In Anxo M. Lorenzo Suarez, Fernado Ramallo & Xoan Paulo Rodriguez-Yanez (eds.) *Bilingual socialization and Bilingual language acquisition. Proceedings from the Second International Symposium on Bilingualism*. University of Vigo (Vigo, Galicia-Spain, October 23-26, 2002). Vigo: Servizo de Publicacions da Universidade de Vigo, pp. 1245-1255.

http://webs.uvigo.es/ssl/actas2002/05/08.%20Roula%20Tsokalidou.pdf

VIII. **Internet sites**:
Ulinnoha Association. http://www.ulinnoha.com
Municipality of Heraklion: A City Through Ages
[:] .
http://history.heraklion.gr.
IX. Proceedings of congresses:
Makrypoulias, Ch. G. "Byzantine Expeditions against the Emirate of Crete c. 825-949". *In Proceedings of the Sixth International Congress of Graeco-Oriental and African Studies: Nicosia, 30 April-5 May, 1996*. Edited by Vassilios Christides & Theodōros Papadopoullos. Nicosia: Archbishop Makarios III Cultural Centre, Bureau of the History of Cyprus, 2000

Türkçe:

I. **Kitaplar**
Adıyeke, Ayşe Nükhet. *Kıbrıs sorununun anlaşılmasında tarihsel bir örnek olarak Girit'in Yunanistan'a Katılması*. Ankara: SAEMK, 2002
Adıyeke, Ayşe Nükhet. *Osmanlı İmparatorluğu ve Girit Bunalımı (1896-1908)*. Ankara: Türk Tarih Kurumu yayınları, 2000.
Adıyeke, Ayşe Nükhet & Nuri Adıyeke. *Fethinden Kaybına Girit,* Istanbul: Babıali Kültür Yayıncılığı, 2007.
Aydın, Mahir. *Girit: sarı kitap*. İstanbul: Arkeoloji ve Sanat Yayınları, 2008.
Balta, Evangelia & Mustafa Oğuz. *Liva-i Resmo tahrir defteri*. Ankara: Atatürk Kültür, Dil ve Tarih Yüksek Kurumu Türk Tarih Kurumu, 2009.
Banoğlu, Niyazi Ahmet. *Tarihte Girit ve Osmanlılar Dönemi*. Tarihsel Araştırmalar Belgeseli Dizisi. Istanbul: Kastaş Yayınları, 1991.
Bilgehan, Hakkı . *Her Yönü ile Girit*. Izmir: Barış Yayınları, 2011.
Damalı, Atom. *Sultan'ın Kermesi : Osmanlı Girit Sorunu / Sultan's Fete: Ottoman Crete Issue*. Çevirmen Ayşe Natalie Turgut. Istanbul: Nilüfer Damalı Eğitim, Kültür, 2005.
Girid: mazisi, hali, istikbali: cezire hakkında en etraflı en mükemmel malumatı camidir. İstanbul: Matbaa-i Ebuzziya, 1328 [1910].
Hanyavi, Hüseyin Kami. *Girid tarihi* تاريخي كريد . Dersaadet [Istanbul]: Mühendisoğlu Ohannes Matbaası, 1288 [1871].

Hanyavi, Hüseyin Kami. *Girid tarihi: Giridde neler olmuş*. [S.l.: s.n.], 1325 [1907].

Kalkan, Halit Fesih. *Belgelerle Girit Faciası*. Istanbul: Milenyum Yayınları, 2012.

Kara, Melike. *Girit Kandiye'de Müslüman Cemaati 1913 – 1923*. İnsan ve toplum dizisi. Istanbul: KitabYayınevi, 2008.

Kentel, Ferhat & M. Ragip Zik. *Giritli Mübadilleri kimlik oluşumu ve toplumsal hafiza, gündelik hayatin sosyolojisi*. Istanbul: İstanbul Bilgi Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Kültürel Çalışmalar Yüksek Lisans Programları, 2005.

Mehmed, Salahi. *Girid Meselesi (1866-1889)*. İstanbul Üniversitesi. prepared by Münir Aktepe. Edebiyat Fakültesi yayınalrı; No. 1223. İstanbul: İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, 1967.

Pekin, Müfide (Ed). *Belleklerdeki güzellik Girit: maniler, atasözleri, deyimler, tekerlemeler*. Hazırlanır Sefer Güvenç ve Umut Aktaylı. İstanbul: Lozan Mübadilleri Vakfı, 2007.

II. İnternet Malzemeleri

Hoş, Bekir Yüksel. "Kayip vatan Girit ve ne Kaldiysa". *Balkan*, Çarşamba, 29 Şubat 2012,
http://www.balkangunlugu.com/v3/index.php?option=com_content&view=article&id=7538:kayip-vatan-grt-ve-ne-kaldiysa&catid=94:arama-celeme&Itemid=563

Söylemez, Haşim. "Lübnan'daki Giritli Türkler". *Aksiyon*, 6 Ekim 2008,
http://www.aksiyon.com.tr/aksiyon/haber-22802-34-lubnandaki-giritli-turkler.html

III. Internet Siteleri:

Ulinnoha kimdir: www.ulinnoha.com

Français:

I. **Livres**

Berard, Victor. *Les Affaires de Crète.* Paris: Armand Colin et Cie, Editeurs, 1900.

France. Ministère des Affaires Etrangères. *Documents diplomatiques: Affaires d'Orient, autonomie Crétoise, Janvier-Octobre 1898.* Paris: [Imprimerie Nationale], 1898.


T.C. BAŞBAKANLIK
YURTDIŞI TÜRKLER
VE AKRABA TOPLULUKLAR BAŞKANLIĞI


TÜRKİYE CUMHURİYETİ
DIŞİŞLERİ BAKANLIĞI


Yunus Emre Enstitüsü
المركز الثقافي التركي
بيروت


جامعة الجنان
Jinan University
Université Jinan


ULİNNOHA DERNEĞİ